شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة
تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت
علم وخبر 287/ 2009

العدد السادس والأربعون، السنة الرابعة، ربيع أول ١٤٣٥ - كانون٢ ٢٠١٤

المدير المسؤول
خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي
أحمد شقير - محمد كوراني

الخطّاط
علي زينة

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 60 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد
دول عربية وإسلامية، وأوروبا وأمريكا الشمالية
تضاف أجور البريد

الأسعار

لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل. - سوريا: ٥٠٠ ل.س. - العراق: ٤٠٠٠ دينار - مصر: ١٧ جنيه - السودان: ٢٠ جنيه
المغرب: ٣٠ درهم - الجزائر: ٢٥ دينار - السعوديّة: ٢٠ ريال - تونس: ٣ دينار - اليمن: ٢٢٥ ريال - الأردن: ٢ دينار
- الإمارات: ١٥ درهم- البحرين: ١،٥ دينار - قطر: ٢٠ ريال - الكويت: ١،٢٥ دينار - عمان: ١،٥ ريال
تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي
03/725246 - 01/544955
ص.ب: 25/5141
www.saraer.org/shaaer
shaaer@saraer.org

شعائر

مجلة شهريّة تعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة
تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة	زيارةُ الأربعين، نبْضُ وحدةِ الأمّة والمُستَضعَفين .... الشّيخ حسين كوراني	٦
تحقيق	استمرارُ العدوان لِهَدْمِ معالم النّبوّة ..... إعداد: د. أليس كوراني	٨
مراقبات	أعمال شهر ربيع الأوّل ..... إعداد: "شعائر"	١٣
أحسن الحديث	عن المفاضلة بين البشر والملائكة..... العلّامة الطباطبائيّ رحمه الله	١٦
	سورة "الجاثية" ..... إعداد: سليمان بيضون	١٩
أيام الله	مناسبات شهر ربيع الأوّل ..... إعداد: صافي رزق	٢١
وقال الرسول	إذا أراد اللّهُ بعبدٍ خيراً.. ..... إعداد: محمّد ناصر	٢٤
حدود الله	صلاة الهديّة للميت ..... إعداد: "شعائر"	٢٥
يزكّيهم	قلب المؤمن هو الجزيرة الخضراء ..... شيخ الفقهاء العارفين الشّيخ بهجت قدس سره	٢٦
الملف	إقرأ في الملف: قراءةٌ في الكرامات النّبويّة	٢٧
	استهلال ..... من صِيَغ "الصّلوات" عن الإمام الصّادق عليه السلام	٢٨
	أشعّةٌ من أحوال النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله ..... الفقيه القطب الرّاونديّ قدس سره	٢٩
	من خصائص النّبيّ صلى الله عليه وآله: أشجعُ أهلِ زمانه ..... إعداد: أسرة التّحرير	٣٤
	جاءَت الشجرة ولها دَويٌّ شديد..... ابن أبي الحديد المعتزليّ	٤٠
لولا دعاؤكم	دعاء غرّة ربيع الأوّل ..... برواية السّيّد ابن طاوس قدس سره	٤٣
صاحب الأمر	مقامات أصحاب الإمام المهدي عليه السلام وصفاتُهم ..... إعداد: "شعائر"	٤٤

حوارات

مع شيخ الفقهاء العارفين، المرجع الدّينيّ
الشّيخ محمّد تقي بهجت قدس سره:

محتويات العدد

كتاباً موقوتا	أذانُ بلال فوق الكعبة للمرّة الأولى	السّيّد جعفر مرتضى العامليّ	٤٦
يذكرون	من أذكار سيّد النّبيّين صلى الله عليه وآله	العلّامة الطباطبائيّ رحمه الله	٤٧
حوارات	مع شيخ الفقهاء العارفين، الشّيخ محمّد تقي بهجت قدس سره ..	إعداد: أسرة التّحرير	٤٨
فكر ونظر	خاتميّة النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله	د. عبد الله نصري	٥٢
	الإيمان: بحثٌ كلاميّ في معانيه ومراتبه	المحقّق السّيّد علي خان رحمه الله	٥٥
أعلام	الشّيخ حسين آل عصفور البحرانيّ قدس سره	إعداد: سليمان بيضون	٥٧
كلمة سواء	إيمان ما بعد الحداثة	محمود حيدر	٦١
وصايا	من وصايا الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ	إعداد: "شعائر"	٦٢
مرابطة	نحو خالفٍ مشرقيٍّ ضدّ الوهّابيّة	أحمد فاخر	٦٤
وثائق	تواريخ وفيّات أجداد الشّيخ البهائيّ العامليّ	مركز الفقيه العامليّ	٦٦
دوائر ثقافية			٦٧
موقف	وهل يخشى المُؤمن مغادرة هذا العالم؟!	الإمام الخميني قدس سره	٦٨
فرائد	الاستشفاء بتربة سيّد الشّهداء عليه السلام	إعداد: "شعائر"	٦٩
قراءة في كتاب	"سَدادُ العِباد ورَشادُ العُبّاد" للفقيه البحرانيّ	قراءة: سلام ياسين	٧٠
بصائر	قومٌ مالت أرواحُهُم إلى معرفتِنا..	العلّامة المجلسيّ قدس سره	٧٢
مصطلحات	الخُلُق	المحقّق السّيّد علي خان رحمه الله	٧٤
مصطلحات	الاستراتيجيّة والتّكتيك	مهى أرسلان	٧٥
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو	٧٦
إصدارات	عربية، أجنبية، دوريات	إعداد: ياسر حمادة	٧٩
أيّها العزيز	الأنبياء مصدرُ كمال الإنسانيّة	الإمام الخميني قدس سره	٨٢

بسملة

زيارةُ الأربعين، نبْضُ وحدةِ الأمّة والمُستَضعَفين

■ الشيخ حسين كوراني

عندما قال سيّدُ النّبيّين «**حسينٌ منّي وأنا من حسَين**» كان يؤسِّسُ للفَرزِ بين الأمّة (السّنّة والشّيعة من جهةٍ) وبين الدُّخَلاء (من الجهة المقابلة) على أساس حبِّ الحسين عليه السلام.

وعندما خاطبَ الإمامُ الحسين عليه السلام الجموعَ المتدفِّقةَ كالسَّيل لحربِه بقوله: «**يا شيعةَ آل أبي سفيان**» أبلغَ أجيالَ الأمَّةِ كلِّها أنَّ الفرز المحمّديّ - الحسينيّ إنّما هو بين خطَّين: حبِّ أهل البيت، وحبِّ آل أبي سفيان.

من أبرز العلاماتِ الفارقةِ في حبّ أهل البيت: حبُّ الإمام الحسين عليه السلام. وفي «حبّ آل أبي سفيان» حبُّ يزيدِ بنِ معاوية بنِ أبي سفيان الّذي قادَ أكثرَ الحروب ضدّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي إحداها - معركة «أُحُد» - أَسَرَّتْ زوجتُه «هند» إلى «وحشيٍّ» الإسم والفعل باغتيال «حمزة» عمّ الرّسول صلى الله عليه وآله واستخراج كَبِده لتَلوكَ قطعةً منها!!

مَن يدافع عن «يزيد» محاولاً تبرئتَه من دمِ الحسين، فهو يحبّ «يزيد» وإنْ كان يخجلُ بأن يُشعِرَ بذلك. لا يمكن لِمَن كان يحبُّ يزيد أنْ يحبَّ أهلَ البيت وبالخصوص الحسين عليه وعليهم السَّلام. مُؤدَّى ذلك أنَّه لا يُمكن أن يكون محمَّديّاً.

في خطبتها النّبويّة في الشّام قالت السّيّدة زينب بنت عليّ عليها السلام، مخاطبةً «يزيد»: **وكيفَ يُرتجَى مراقبةُ مَن لَفظَ فوه أكبادَ الأزكياء، ونبتَ لحمُه بدماءِ الشّهداء؟ وكيف يُستبطأُ في بُغضِنا أهلَ البيت مَن نَظَر إلينا بالشّنف والشّنآن، والإحنِ والأضغان؟**

***

هذه الملايينُ الزّاحفةُ إلى كربلاء في موسم **زيارة الأربعين**، وملايينُ أفئدةٍ محمّديّةٍ في أربعِ رياحِ الأرض تَهوي إليها وتتمنّى لو أنّها معها بالجَسد - تُشكِّلُ أعظمَ تظاهرةٍ جماهيريّةٍ حضاريّةٍ في بداية الألفيّة الثّالثة.

صارت زيارةُ الأربعين علامةً بارزةً من علامات المؤمنين.

لم تَكن كذلك في القرن الهجريّ الثّاني ولا أواسط القرن الثّالث - عصر الإمام العسكريّ عليه السلام، الإمام الحادي عشر من أئمّة المسلمين - حين تحدّث عن «زيارة الأربعين» باعتبارها إحدى علاماتِ المؤمنِ الأبرز.

بعد أنْ قال الإمامُ العسكريّ عليه السلام ذلك -وإلى الأمس القريب- لم تكُن زيارةُ الأربعين أبرزَ زياراتِ الإمام الحسين عليه السلام.

كثيرةٌ هي زيارات الحسين عليه السّلام ومتعدِّدةٌ، والمشهور منها متعدِّدٌ أيضاً وليس من بينه «**زيارة الأربعين**».

لقد حُوربت **زيارةُ الأربعين** ولو عن غير قصدٍ إلى حدِّ أنَّ البعض يُفسِّرُها بزيارة أربعين مؤمناً!!

ها هي «زيارة الأربعين» تتجاوزُ حدودَ العراق في طريق تَبلوُرِها كأكبر مظاهرةٍ مليونيّةٍ تقطعُ أطولَ مسافةٍ سيراً على الأقدام، للتّعبير عن التزام الأمَّة الإسلاميّة كلِّها، شيعةً وسُنّةً، حبَّ أهل البيت عليهم السلام، في مقابل مَن التزموا طاعةَ الشّيطان وآلَ أبي سفيان.

***

كانت كربلاء - في العهد الملَكيّ في العراق، وفي مرحلة عبد الكريم قاسم والأخوَين عارف - تشهدُ في «الأربعين»، أي

العشرين من شهر صفر، حشوداً جماهيريّةً غفيرةً. لكنّها لم تكُن تأتي مَشياً ولم تكُن بهذه العَظَمة ولا بِما يَقرُبُ منها.

تَختزنُ الذّاكرةُ الشّعبيّةُ العراقيّةُ أنّ «نوري السّعيد» رئيس الوزراء - في حينه - قد حذَّرَه بعضُ ناصحيه من الشّعارات السّياسيّة الّتي كانت تُرفَعُ في كربلاء في عهده من قِبَل الحشود الغفيرة الّتي تتظاهرُ في كربلاء منددّةً بالنّظام مطالبةً بإسقاطه، فقال: «دَعْهُم يَحكمون العراقَ يوماً وأحكُمُه باقي أيّام السّنة»!

وفي مرحلةٍ ما بعد سقوط الطّاغية صدّام، شَهدت كربلاءُ تدفُّقَ الشّلالات الجماهيريّة الهائلة - للتّعويض عن القَمعِ طيلةَ عهدِ صدّام - إلّا أنّ السّنوات الأخيرة تميَّزت بأمرَين لافتَين:

* **الأوّل:** غاراتُ شيعةِ آل أبي سفيان على العالَم الإسلاميّ - بِشيعته وسُنّته، وتقديم صورة حقيقيّة عن «وحشيّة» هند وأبي سفيان ومعاوية ويزيد، وأتباعِهم، وما استشهادُ الشّيخ البوطيّ وغيرِه من العلماء السُّنَّة ببَعيد.
* **الثّاني:** تَلاطُمُ أمواجِ زيارة الأربعين بما يفوقُ كلَّ زياراتِ سيِّد الشّهداء ﷺ، حتّى زيارة عاشوراء، لِتُصبحَ زيارةُ الأربعين علامةً للمؤمنين بارزةً، كما أخبرَ الإمامُ العسكريّ ﷺ.

***

*** السُّؤالُ المركزيّ: كيف تحقَّقَ ذلك؟**

كيف تحوَّلتْ زيارةُ الأربعين من موقعِها المُتراجِع في الأذهان، المحارَبِ بشدّة، إلى هذه التّظاهرة المليونيّة الهادرة المُتصاعدة؟

هل تحقَّقَ ذلك نتيجة زيارةٍ عفويّةٍ بادرَ إليها الصّحابيُّ «**جابرُ بنُ عبد الله الأنصاريّ**» إلى كربلاء في العشرين من صفر عام ٦١ للهجرة؟

أم أنّه جاءَ نتيجةَ تأسيسٍ نَبَويٍّ مُعْجِزٍ شَمَلَ كلَّ مفاصلِ «**عاشوراء**»، والكثيرَ جدّاً من مفرداتها، الكبيرة والصّغيرة، حدوثاً واستمراراً، ومن أبرزِ الكبيرةِ استمراراً زيارةُ الأربعين؟

يُرادُ بالتّأسيسِ النّبويّ لزيارة الأربعين، التّأمُّلُ في دلالاتِ زيارةِ الصّحابيّ الظّاهرة «جابر بن عبد الله الأنصاريّ» إلى كربلاء وتلاوة زيارةِ «الأربعين» الّتي بَقِيَت الزّيارةَ الوحيدةَ المُعتَمَدةَ إلى زمنِ الإمام الصّادق ﷺ، حيث أضافَ إليها زيارةً ثانية.

الصّحابيُّ الجليل جابر الأنصاريّ، هو آخرُ مَن تُوفِّيَ من الصّحابة، وكان له مجلسُ علْمٍ في المسجد النّبويّ يأخذ النّاسُ عنه ويرجِعون إليه. وهو من حَمَلَةِ الأسرار النّبويّة حولَ أهل البيت ﷺ، والمشهورُ منها إبلاغُه الإمام الباقر ﷺ سلاماً خاصّاً من رسول الله ﷺ. كان إبلاغُ السّلام بعدَ كربلاء.

وكان مع جابر في كربلاء «**عطيّة العوفيّ**» المحدّث الكبير والقاضي الشّهير في أيّام المهديّ العبّاسيّ.

هل نحن أمامَ موفدٍ نَبَويٍّ خاصٍّ للتّأسيس لزيارة الأربعين؟

ذلكم ما تتراكمُ في تكثيفه الاحتمالاتُ الجادّةُ وأقوى القرائن.

ما بَلَغتْه «زيارة الأربعين» في التّعبير عن نَبْض الأمّة والمستضعَفين يعزّزُ دراسةَ نصوصِ «الأربعين»، ومنها كلّ مقاربة لسيرةِ جابر، في مسار ﴿.. لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ..﴾ التّوبة:٣٣، وإقامة الحكومة العالميّة الواحدة تحت شِعار «**يا لثارات الحُسَين**».

ماذا بقي من آثار الرسول الأكرم ﷺ؟
استمرار العدوان لهدم معالم النّبوّة

صورة قديمة للحرم النّبويّ الشّريف

إعداد: د. أليس كوراني

إنَّهُ شَهْرُ رَبيع الأَوَّل، شَهْرُ ميلاد خَيْر البَشَريَّة، ميلاد مُحَمَّد بْن عَبْدالله صلّى الله عليه وآله الذي أَرْسَلَهُ اللهُ تَعالى هادياً وَمُبَشّراً وَنَذيراً، فَكانَ رَحْمَةً للعالَمينَ... وَالمُسْلمونَ يَحْتَفونَ بِهَذه المُناسَبَة الجَليلَة، وَيُعَظّمونَ شَعائرَ الله فيها، وكانوا، يقصدون المشاهد النّبويّة، قبل تخريبها، ويتبرّكون بلمسها ومَسْح أركانها لقَداستها وجلالتها وارتباطها بخَاتم النّبيّين وسيّد المُرسَلين، إلّا قلّةٌ قَليلَةٌ من الخَوارج عَلى الأمّة، زعمتْ أنّ الاهْتمامَ بمَوْلد النَّبيِّ وَبما يَمُتُّ به منْ صلَة، بدْعَةٌ وَشرْك، فَراحَتْ أَصْواتُها الشَّاذَّةُ تَدْعو إلَى عَدَم الاحْتفال بهَذا اليَوْم العَظيم، وإلى هَدْم الأَمكنة والمَقامات المُقدّسة، فخرّبت وطَمَسَتْ كلَّ ما ارْتَبَطَ بالنَّبيِّ صلّى الله عليه وآله منْ منازل ومواقع ومساجد أثريّة، متسلّحةً بفتاوى مُريبة...

لا يخفى على عاقلٍ أهميّةُ الآثار في أيّ بلد، إذ تشكّل جسرَ عبورٍ إلى ماضيه، فتستحضر الأجيال صوَره، وتستنطقُه، ولا تقطع العلائق به لمرور الأزمان.. فالأمم المتحضّرة، تحافظ على تراثها، وتستوحي منه ما يفيد أجيالها المقبلة، وتستمدّ منه ما تجسدّه تلك المعطيات التّراثيّة على المستوى الرّوحيّ والمعنويّ.. فكيف إذا كانت تلك الآثار تتعلّق بخاتم النّبيّين وسيّد المرسلين! أليس من الواجب المحافظة عليها بأشفار العيون بدلاً من هدمها وإقامة أبنية ومرافق فوقها؟!

على مرّ التّاريخ كانت السّلطات الإسلاميّة الحاكمة، منذ العهد الأوّل وحتّى مطلع القرن العشرين الميلاديّ، تهتمّ بالمعالم النّبويّة، وتسمح للنّاس، بخواصّهم وعوامّهم، بزيارتها والتّبرّك بها، فكانت القلوب قبل الأجساد تشدّ الرّحال إلى مكّة والمدينة، يجذبها الحبّ

المحمديّ ويصعقُها العشق الإلهيّ بحضرة النّبوّة، وكأنّ رسول الله بينهم، يأملون شفاعته وحلول بركاته. والحرص على زيارة المشاهد الشّريفة للتّبرّك ليس جديداً، إذ اعتاد المسلمون، منذ عهودهم الأولى، إلى مسّ ما مسّه النّبيّ ﷺ فعلى سبيل المثال، ورد في صحيح البخاريّ: «...حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ قَالَ: رَأَيْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَتَحَرَّى أَمَاكِنَ مِنَ الطَّرِيقِ فَيُصَلِّي فِيهَا وَيُحَدِّثُ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ يُصَلِّي فِيهَا، وَأَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يُصَلِّي فِي تِلْكَ الأَمْكِنَةِ».

مكان الولادة المباركة تحوّل إلى مكتبة

وعليه، فإنّ الذين يأمرون بهدم آثار النّبيّ ﷺ لا يؤمنون بالتّراث، ولا يعرفون قيمته التّاريخيّة والمعرفيّة، ولا يعظّمون مكانة رسول الله الأكرم، ولا يعيرون اهتماماً لقداسة النّبوّة.. فالحجّةُ المدّعاة في الهدم محاربةُ الشّرك والبدع، واللّازمة المكرّرة عندهم: إنّ الآثار لها رمزيّة، وإنّ الرّمزيّة شرك، وإنّ مسَّ ضريح الوليّ، إن كان نبيّاً أو إماماً أو صالحاً، يعدّ شركاً، تَجِبُ محاربته من خلال هَدْمِه أو منع النّاس من الاقتراب منه والتّبرّك به؛ أما الدّوافع المبيّتة والخفيّة فتتمثّل بقطع ما يمتّ إلى نبيّ الإسلام بِصِلة خدمةً لأعدائه، وتغليبِ مصلحة الرّأسماليّين الذين انتفعوا بإقامة المشاريع التّجاريّة الكبرى في مهبطَي الوحي مكّة والمدينة المنوّرة.. لذلك نراهم يعيثون فيهما تخريباً وتهديماً.. علماً أنّ معالم النّبوّة بتاريخها وجغرافيّتها هي مِلكٌ لجميع المسلمين.. ألم يقرأ هؤلاء ما ورد -على سبيل المثال وليس الحصر- في صحيح مسلم حيث يروي: «حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كَانَ يَأْتِيهَا فَيَقِيلُ عِنْدَهَا، فَتَبْسُطُ لَهُ نَطْعًا فَيَقِيلُ عَلَيْهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْعَرَقِ، فَكَانَتْ تَجْمَعُ عَرَقَهُ فَتَجْعَلُهُ فِي الطِّيبِ وَالْقَوَارِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هَذَا؟ قَالَتْ: عَرَقُكَ أَدُوفُ بِهِ طِيبِي».

أوليست سيرةُ المسلمين أنّهم يفتخرون بكلّ ما مسّه النّبيّ ويتبرّكون بآثاره؟ لماذا ذكر البخاريّ -والحجّةُ على مَن يحتجُّ به- في (صحيحه) أنّ عبدالله بن الزّبير «أَتَوْا بِهِ النَّبِيَّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فَأَخَذَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم تَمْرَةً فَلاَكَهَا ثُمَّ أَدْخَلَهَا فِي فِيهِ، فَأَوَّلُ مَا دَخَلَ بَطْنَهُ رِيقُ النَّبِيِّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم»؟

صورة من الأعلى لمنزل السّيّدة خديجة عليها السلام

الاهتمام بآثار النّبيّ وعِترته على مرّ الأزمان

وُلد رسول الله ﷺ في مكّة المكرّمة، وبقي منزلُه الذي ولد فيه، موضعَ اهتمام المسلمين على مرّ الأجيال، وكانوا يتبرّكون بالبيت الذي عاش فيه مع أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وبالمكان الذي وُلدت فيه فاطمة الزّهراء عليها السّلام، وعن ذلك يقول ابن جُبير في كتابه (تذكرة بالأخبار عن اتّفاقات الأسفار) المعروف بـ (رحلة ابن جبير): «ومن مشاهدها الكريمة [مكّة المكرّمة] أيضاً مولدُ النّبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، والتّربة الطّاهرة التي هي أوّل تربة مسّتْ جسمه الطّاهر، بُني عليها مسجدٌ لم يُرَ أحفل بناءً منه، أكثره ذهبٌ منزّل به. والموضع المقدّس الذي سقط فيه، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، ساعة الولادة السّعيدة المباركة التي جعلها الله رحمةً للأُمّة أجمعين محفوفٌ بالفضّة. فيا لها تربة! شرّفها اللهُ بأنْ جعلَها مسقطَ أطهر الأجسام ومولدَ خير الأنام، صلّى الله عليه وعلى آله وأهله وأصحابه الكرام وسلّم تسليماً. يُفتح هذا الموضع المبارك فيدخله النّاس كافّةً متبرّكين به في شهر ربيع الأوّل ويوم الاثنين منه، لأنّه كان شهر مولد النّبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وفي اليوم المذكور وُلد صلّى الله عليه

[وآله] وسلّم، وتُفتح المواضع المقدّسة المذكورة كلّها. وهو يوم مشهودٌ بمكّة دائماً «..» وعلى مقربةٍ من دار خديجة، رضي الله عنها، المذكورة، وفي الزّقاق الذي الدّار المكرّمة فيه، مصطبةٌ فيها متّكأٌ يقصد النّاس إليها ويصلّون فيها **ويتمسّحون بأركانها، لأنّ** في موضعها كان موضع قعود النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم».

وفي موضعٍ آخر يقول ابن جبير عن بعض تلك المشاهد: «في يوم الاثنين الثّالث عشر منه [من شهر ذي القعدة] دخلنا مولد النّبيّ

قبر السيّدة آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ

صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وهو مسجدٌ حفيلُ البنيان، وكان داراً لعبد الله بن عبد المطّلب، أبي النّبيّ ".." في وسطه رخامةٌ خضراءُ سعتُها ثُلثا شبر مطوّقة بالفضّة ".." **ومسحنا الخدودَ في ذلك الموضع المقدّس** الذي هو مسقطٌ لأكرم مولود على الأرض، ومَمَسٌّ لأطهر سلالة وأشرفها صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ونفعَنا ببركة مشاهدة مولده الكريم. وبإزائه محرابٌ حفيلُ القرنصة، مرسومةٌ طرّتُه بالذّهب ".." وهذا الموضع المبارك هو شرقيٌّ بالكعبة متّصلٌ بصفح الجبل. ويشرفُ عليه بمقربةٍ منه جبل أبي قُبيس ".." ودخلتُ أيضاً في اليوم المذكور دارَ خديجة الكبرى، رضوان الله عليها، وفيها قبّةُ الوحي، وفيها أيضاً مولد فاطمة، رضي الله عنها. وهو بيتٌ صغيرٌ مائلٌ للطّول ".." **ومسحنا الخدودَ في هذه المساقط المكرّمة المخصوصة** بمسّ بشرات المواليد الكرام، رضوان الله عليهم».

ويقول أيضاً: «وعندما تخرج من البلدة بنحو ميل تلقى مسجداً بإزائه حجرٌ موضوعٌ على الطّريق كالمصطبة، يعلوه حجرٌ آخر مسنَدٌ فيه نقشٌ داثرُ الرّسم، يقال إنّه المَوضع الذي قعد فيه النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم مستريحاً عند مجيئه من العُمرة. **فيتبرّك النّاسُ بتقبيله ومسْحِ الخدود فيه، وحقّ ذلك لهم، ويستندون إليه لتنالَ أجسامُهم بركةَ لمسِه**».

منزله المبارك يتحوّل إلى مكتبة!!

حوّلت الحكومة السّعوديّة في الأعوام الماضية منزل أمّ المؤمنين السّيّدة خديجة بنت خويلد رضوان الله عليها، وهو المنزل الذي عاشت فيه مع النّبيّ محمّد ﷺ، إلى جزءٍ من حمّامات عامّة لخدمة الحجّاج، استهتاراً بقِيَم المسلمين ومشاعرهم، وكذلك تحوّل العديد من الأماكن التّاريخيّة التي تعود لزمن الرّسول وعصر صدر الإسلام، إلى سوقٍ أو مكتبة، أو غدت مجرّد أرضٍ

مشربة أم إبراهيم في المدينة المنوّرة

مبلّطةٍ بالرّخام. أمّا الموقع الذي ولد فيه النّبيّ محمّد ﷺ فأصبح سوقاً للمواشي قبل أن يجري تحويلُه إلى مكتبة.

طَمسُ معالم النّبوّة

* لم تكتف الحكومة السّعوديّة بذلك، بل خرّبت كلّ ما يمتّ إلى النّبيّ ﷺ بِصِلة، ففي المدينة المنوّرة أُدخلت «بئر بضاعة» في مواقف سيّارات الحرم، وأضحت مياهها تغذّي دورات مياه الحرم بدلًا من أن يشرب منها المصلّون، وهذه البئر بصق فيها النّبيّ ﷺ ودعا لها، و«بئر أريس» التي سقط فيها خاتمه، و«بئر البصّة» التي صبّ فيها غُسالةَ رأسه الشّريف، وهي قريبةٌ من البقيع، وغيرها من الآبار، أمّا أرض معركة الخندق فإنّها سُفلت وأصبحت طريقاً للسّيّارات. وجرى هدمُ مساجد قديمة نُسبت إلى بعض الصّحابة، منها المساجد السّبعة المشهورة. كما هدُمت مشربة أمّ إبراهيم، منزل مارية القبطيّة زوجة النّبيّ ﷺ والموضع الذي ولدتْ فيه ابنه إبراهيم، والذي صلّى فيه، وكانت عبارة عن غرفة، وقد سُوّيت بالأرض.

وذكر مهندسون معنيّون بالشّأن الأثريّ للمدينة المنوّرة أنّ المخطّط الإرشاديّ الذي تتبعه أمانة المدينة المنوّرة ويهدف إلى تفكيك الأحياء العشوائيّة، لم يكن عليه لزاماً اختراق ذلك الحيّ

التّاريخيّ وغيره من المواقع، وكان بإمكانه اللّجوء إلى وسائل أخرى تفي بالخدمات التي ينتظر أن تؤمّنها ذات الطّرق المخترقة للحيّ التّاريخيّ.

وكانت جريدة الوطن السّعوديّة قد نشرت نهار الخميس الواقع في ٢٠٠٥/٨/٢٥م بأنّه بات من المؤكّد أن يأتي مخطّط المدينة الاستراتيجيّ الذي تنفّذه أمانة المدينة المنوّرة على أحد أهمّ الأحياء التّاريخيّة فيها. وقالت إنّه لم يتبقَّ سوى بضعة أمتار يتوقّع لها أن تلتهم في غضون الأشهر الثّلاثة المقبلة، معالمَ حيّ «الشّريبات» التّاريخيّ الذي يختزل حزمةً واسعة من المواقع الأثريّة المرتبطة بالسّيرة النّبويّة، والتي يعدّها المؤرّخون شاهداً حيّاً على عظمة الدّولة الإسلاميّة الأولى، عندما كانت المدينة المنوّرة عاصمتها.

ويجري التّركيز على هدم المساجد والمقابر والأماكن التاريخيّة التي لها علاقة بالرّسول ﷺ، وصحابته، وبما كان له علاقة بمجريات الرّسالة، وإنّ عمليّات الهدم تتمّ تحت عنوان توسيع المسجد الحرام والمسجد النّبويّ، لكي يتناسب مع الزّيادة الهائلة في أعداد الحجّاج كلّ عام..

** **وفي مكّة المكرّمة** وفي تخطيط توسعة المسجد الحرام، أمر

موقع بئر أريس

المنفّذون بهدم بعض الأعمدة والقباب في الأروقة التي بُنيت في العصور المتأخّرة قُبيل هيمنة آل سعود على الحجاز [أشرنا إلى ذلك بشيءٍ من التّفصيل في تحقيق ذي الحجّة الفائت]، منها عامودٌ يرمز إلى المكان الذي يُعتقد أنّ النّبيّ ﷺ أُسري به منه إلى المسجد الأقصى، وآخر يدلّ على مكانٍ كان يتلو فيه القرآن الكريم، وجرى إزالة نماذج رائعة من التّصميمات المعماريّة، وقد انتقدت المجتمعات الإسلاميّة هذه العمليّات على نطاق واسع.

هذا، ويعتقد الكثير من منتقدي هدم هذه الآثار الإسلاميّة بأنّ التّدفّق السّريع للاستثمارات الرّأسماليّة في مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة جعل المال والنموّ الاقتصاديّ هو بيت القصيد بالنّسبة إلى السّلطات السّعوديّة في نهاية المطاف. وكان يمكن توسعة الحرم دون إلحاق الضّرر بأماكن لها قيمة وقداسة عند المسلمين بلحاظ معالمها النّبويّة، ويقول هؤلاء للعلماء الذين يفتون بعدم جواز تعظيم الأماكن: وهل يشفع لهم هذا بأن يبنوا حمّامات عامّة فوقها!؟ لماذا نغضب فقط عندما يسيءُ الغرب للرّسول برسومه ونتجاهل -بل نحاول تبرير- هذه الجريمة التي هي أعظم وأشدّ من الرّسوم كونها انطلقت من مشايخ الحَرَمين.

وقد ردّ أستاذ الشّريعة والقانون في جامعة الأزهر الشّيخ علوي أمين على السّلطات السّعوديّة التي ترى أنّ الآثار الإسلاميّة أحجارٌ لا قيمة لها، فأكّد أنّ هذه الأحجار والأماكن أخذت قيمة مع الزّمن، واكتسبت قداستها لارتباطها بالتّاريخ النّبويّ والإسلاميّ، وقال إنّ هدم هذه الآثار القيّمة تجعل الذّكريات تضيع، وبالتّالي يضيع جزء كبير من تاريخ الأُمّة الإسلاميّة، ودعا إلى ضرورة المحافظة على التّراث وتاريخ الإسلام لما يمثّله من رمزيّة ومكانة مهمّة.

بئر البصة

الهدم في مكّة والمدينة زمنَ الوهّابيّين

حافظ المسلمون على الآثار النّبويّة والمساجد التّاريخيّة، وكانت موضعَ عنايتهم، يأتون إليها للتّبرّك وأداء الشّعائر الدّينيّة دون أن يدّعي أحدٌ أنّ التّبرّك بدعة تجبُ محاربتها من خلال إزالة المواضع التي يتمسّح بها الزّائر أو يصلّي فيها ركعاتٍ لله تعالى، لكنّ الأمور تبدّلت مع حكّام السّعوديّة الذين تبنّوا الفكر الوهّابيّ، ففي عام ١٨٠٦م جرت عمليّات هدم منظّمة في مقبرة البقيع، وفيها توجد أضرحة العديد من آل البيت عليهم السّلام والصّحابة رضوان

الله عليهم، وفي الحادي والعشرين من نيسان/ أبريل عام ١٩٢٥م سُوّيت جميع الأضرحة المشيّدة حول مقابر البقيع بالكامل، ثم تتالى هدم مواقع لآل بيت رسول الله ﷺ والهاشميّين عموماً، من بينها مقابر شهداء غزوة أحد، بما فيها قبر حمزة بن عبد المطّلب، عمّ النّبيّ ﷺ كما هُدم منزله، وقبّةُ الثّنايا (قبّة بُنيت لموقع دفن أسنان النّبيّ المكسورة في غزوة أحد)، كما هُدم قبر آمنة بنت وهب أمّ النّبيّ ﷺ.

وفي مكّة المكرّمة هُدّمت المواقع التي أشرنا إليها، وهُدّم بيت «الأرقم» وهو البيت كان يجتمع فيه رسول الله ﷺ سرّاً مع أصحابه لهدايتهم وبيان سُبل نشر الإسلام. ومن تلك الآثار التي جرى إزالتها أيضاً «مسجد الإجابة» خارج مكّة في شُعب بالقرب من «ثنية أذخر». أمّا قبور شهداء معركة بدر، فقد هُدمت وطُمست.

ويشير الدّكتور عبد الوهّاب إبراهيم أبو سليمان، عضو هيئة كبار العلماء في السّعوديّة، في كتابه (الأماكن المأثورة المتواترة في مكّة المكرّمة) إلى مسجد البيعة، ويقول عنه: «لا يزال موجوداً في بنائه القديم. قمتُ مع بعض الزّملاء بزيارته يوم كان متوارياً خلف جبل العقَبة قبل نسفه، فوجدناه مهملاً، نُزع بابه، ولم يُعطَ الاهتمام اللّائق بتاريخه في الإسلام».

ويتحدّث المهندس المعماريّ الحجازي سامي محسن عنقاوي بأسى عن القيمة العظيمة لتلك الآثار المطمَسة، وكيف أنّه لم يستطع إيقاف هدْم تلك الآثار، وعن محاولاته الفاشلة في ثَني المسؤولين عن قرارات الإزالة، وعن مواجهة السّلطة الوهّابيّة العنيفة ذات الاتجاه الواحد لكلّ مَن يطالب بالمحافظة على الآثار بحجّة التّخوّف دائماً من البِدَع والشّرك المحتمل حدوثُه بفعل بقائها، ولهذا فهي تعمد إلى سدّ باب الذّرائع قبل حدوث الوقائع! فهل الهدم والطّمس هو الحلّ المناسب لإطفاء البِدَع المحتمل حدوثُها من جرّاء بقاء بيت الرّسول الذي نزلت به الرّسالة وانبثق منه نور الإسلام!

وكان الدّكتور سامي العنقاوي قد أعاد اكتشاف بيت الرّسول ﷺ بمكّة بالقرب من الحرم الشّريف، ووصف ذلك البيت المتكوّن من المدخل وثلاث غرف، منها غرفة الرّسول وأمّ المؤمنين خديجة وغرفة أولاد الرّسول والغرفة التي وُلدت بها السّيّدة الزّهراء عليها السّلام، وذكر كيف أنّه تدرّج بالبحث حيث صنّف الزّيادة التي بُنيت في العهد العبّاسيّ والأصليّة التي يعود تاريخها إلى أكثر من ألف وأربعمائة سنة، وأعدّ تقريراً عن هذا المكان الأثريّ وسلّمه إلى المسؤولين، ولكن المكان في النّهاية دُفن تماماً وأُضيف إلى السّاحات المحيطة بالحرم وبُني فوقه دورات مياه عامّة!

ويتساءل المهندس العنقاوي: ما ذنب هذه الآثار التي حُفظت على مدى ١٤٠٠ عام؟ مشدّداً على أنّ الآثار في مكّة والمدينة هي مرآة تعكس سيرة الرّسول صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ونستطيع أن نرى فيها تاريخنا وماضينا وتراثنا. أمّا الآن فقد تفتّتت إلى شظايا، بل وأصبحت تختفي شظاياها ولم يتبقَّ إلّا القليل جدّاً، وقد تجاوزنا في ذلك الخطّ الأحمر.

ووجّه الدّكتور العنقاوي دعوةً للمسؤولين وهي هدم المرافق التي أقيمت فوق الموقع الأثريّ لبيت الرّسول ﷺ وإبراز ذلك البيت مرّةً أخرى والمحافظة عليه، فهو بيتٌ من بيوت الله، وبقعةٌ مباركة، ولو كان هناك مكانٌ أفضل بَركةً لما اختار اللهُ سبحانه وتعالى أن يكون هذا البيت محلّ سُكنى الرّسول ﷺ ونزولِ الوحي، وأكّد في مقابلة أُجريت معه أنّه يستطيع بالاستعانة بأجهزة وتقنيّات خاصّة تحديدَ الموقع، وأنّ الأمل ما زال موجوداً لظهور ذلك البيت. وطالب بتدخّلٍ فاعلٍ وقويّ يضع حدّاً لمثل هذه الأمور، ووقْف طمس آثار نبيّنا ﷺ ومعالمنا وتاريخنا، سواء كان التّاريخ النّبويّ أو ما تلاه.

صورة قديمة للمساجد السبعة قبل الهدم

حقّاً إنّه من المستغرب والمستهجن أن تقوم السّلطات السّعوديّة بطمس تاريخ المسلمين عبر هدم المعالم النّبويّة وتخريبها، في الوقت الذي تحافظ فيه على مدينة خيبر الأثريّة، ولا تسمح لأحدٍ بالمساس بها، وكيف تجرّأت على هدم أماكن سكنَ فيها أو مرّ عليها أعظمُ أنبياء الله وخاتمُ رُسلِه محمّد بن عبد الله ﷺ.

مراقبات شهر ربيع الأوّل

ميلادُ سيِّدِ العالَمين صلى الله عليه وآله

إعداد: «شعائر»

أبرز المناسبات:	أبرز الأعمال:
* ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله. * الهجرة، ومبيتُ أمير المؤمنين عليه السلام على فراش الرّسول صلى الله عليه وآله. * ولادة الإمام جعفر الصّادق عليه السلام. * شهادة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام وبدء إمامة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف.	* زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام في اليومَين الأوّل والسّابع عشر. * زيارة الإمام العسكريّ عليه السلام في اليوم الثّامن. * صوم اليوم السّابع عشر، والتّصدّق، وصلاة مخصوصة.

اللّيلة الأولى

(**إقبال الأعمال**) **للسّيّد ابن طاوس**: «وفيه [ربيع الأوّل] كانت مهاجرة النّبيّ صلى الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة، وسلامتُه من كيد الأعداء الكارهين لإرساله، ممّا أرادوه من ذهاب نفسه الشّريفة ومنعه من آماله «..» وقال جدّي أبو جعفر الطّوسيّ رضي الله عنه في (المصباح): (**إنَّ هجرته كانت ليلة الخميس أوّل شهر ربيع الأوّل**). والظّاهر أنّ توجّهه من مكّة إلى الغار كان ليلاً ولم يكن بالنّهار، لأنَّ الخائف الّذي يريد سترَ حالِه لا يكون سفرُه نهاراً من بين أعدائه المطّلعين على أعماله، ولأنَّ مبيت مولانا عليٍّ صلوات الله عليه على فراشه يفديه بمهجته، شاهدٌ أنّ التّوجّه كان ليلاً بغير شكٍّ في صفتِه».

ورُوِيَ أنّ الدُّعاء الّذي قرأَهُ أميرُ المؤمنين صلوات الله عليه عند مبيتِه، هو:

أَصْبَحْتُ اللّهُمَّ مُعْتَصِماً بِذِمامِكَ المَنِيعِ الَّذِي لا يُطاوَلُ وَلا يُحاوَلُ، مِنْ شَرِّ كُلِّ غاشِمٍ وَطارِقٍ مِنْ سائِرِ مَنْ خَلَقْتَ وَما خَلَقْتَ، مِنْ خَلْقِكَ الصَّامِتِ وَالنّاطِقِ، فِي جُنَّةٍ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ، بِلِباسِ سابِغَةٍ وَلاءِ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ، مُحْتَجِباً مِنْ كُلِّ قاصِدٍ لِي إِلى أَذِيَّةٍ بِجِدارٍ حَصِينٍ الإِخْلاصِ فِي الاعْتِرافِ بِحَقِّهِمْ وَالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِهِمْ، مُوقِناً أَنَّ الحَقَّ لَهُمْ وَمَعَهُمْ وَفِيهِمْ وَبِهِمْ، أُوالِي مَنْ وَالَوا وَأُجانِبُ مَنْ جانَبُوا، فَأَعِذْنِي اللّهُمَّ بِهِمْ مِنْ شَرِّ كُلِّ ما أَتَّقِيهِ. يا عَظِيمُ، حَجَزْتُ الأَعادِي عَنِّي بِبَدِيعِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ، إِنّا (و) جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ.

وهذا من الأدعية الّتي وَرَد تأكيد قراءتها للحفظ ودفع البلاء عند كلِّ صباحٍ ومساءٍ، وفي الأخير تُستبدَل عبارة «أصبحْتُ» بـ«أمسَيْتُ».

اليوم الأوّل

(**إقبال الأعمال**): «هو يومٌ، صومه منقولٌ وفضلُه مقبول، فصُمه على قدر الفوائد بالشّكر على سلامة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وما فتح بالمهاجرة من سعادة الدّنيا والمعاد، ويحسن أن تصلِّي صلاة الشّكر الّتي ليس لها أوقاتٌ معيّنات وتدعو بدعائها، فإنّه يومٌ عظيمُ السّعادة، فما أحقّه بالشّكر والصّدقات والمبرّات».

[عن الإمام الصّادق عليه السلام: **إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ بِنِعْمَةٍ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، تَقْرَأُ فِي الأُولَى بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، وَتَقْرَأُ فِي الثَّانِيَةِ**

بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وتَقُولُ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى فِي رُكُوعِكَ وسُجُودِكَ: الْحَمْدُ للهِ شُكْراً شُكْراً وحَمْداً. وتَقُولُ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فِي رُكُوعِكَ وسُجُودِكَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي اسْتَجَابَ دُعَائِي وأَعْطَانِي مَسْأَلَتِي].

ومن المناسب زيارة رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام في هذا اليوم. وقد روى السيّد ابن طاوس في (إقبال الأعمال) دعاءً لهذا اليوم، أوّلُه: (**أللّهمَّ لا إلهَ إلّا أنتَ، يا ذا الطَّوْل والقوَّة، والحَوْل والعزّة، سبحانَك ما أعظمَ وحدانيّتك..**). [انظر: باب «لولا دعاؤكم» من هذا العدد]

وفي مثل هذا اليوم من سنة ٢٦٠ للهجرة كانت شهادة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام على قول الشّيخ الطّوسيّ والشّيخ الكفعميّ، والمشهور على أنّها في اليوم الثّامن. ولعلَّ بدء مرضِه عليه السّلام كان في اليوم الأوّل.

اليوم الثّامن

(**المراقبات**) **للميرزا ملّكي التّبريزي**: «رُوي أنّه وَقَع فيه وفاة الإمام أبي محمّد الحسن الزّكيّ العسكريّ عليه السلام، فَلِلمُراقِب أن يحزنَ فيه، لا سيّما بِلِحاظ أنّ صاحبَ المصيبة فيه حُجَّةُ عصره وإمامُ زمانِه، أرواح العالمين فداه، عليه وعلى آبائه صلوات الله، يَزوره بما يَبدو له، ويعزّي الإمام عليه السّلام بما يُناسبه. ثمّ يَشكر اللهَ لخلافة إمامه عليه السّلام، ويَتَأثَّر من غَيْبته وفَقْدِه، ويَتذكَّر زمنَ ظهوره وفوائد أنواره، وخيرَه وبركتَه».

(**مفاتيح الجنان**) **للمحدّث القمّي**: «ومن المناسب زيارتهما [الإمام العسكريّ والإمام المهديّ] عليهما السلام في هذا اليوم. فهذا اليوم يكون أوّل يومٍ من عصر إمامة صاحب العصر أرواح العالمين له الفداء، وهذا ممّا يزيد اليوم شرفاً وفضلاً».

اليوم العاشر

(**إقبال الأعمال**) **عن** (**الحدائق**) **للشّيخ المفيد**: «..اليوم العاشر منه، تزوّج النّبيّ ﷺ خديجة بنت خويلد أمّ المؤمنين رضي الله عنها ".." ويُستحبُّ صيامه شكراً لله تعالى على توفيقه بين رسوله والصّالحة الرَّضيّة المَرْضيّة».

اليوم الثّاني عشر

(**مفاتيح الجنان**): «ميلاد النّبيّ ﷺ على رأي الكُلينيّ والمسعوديّ، وهو المشهور لدى العامّة. ويُستحبّ فيه الصّلاة ركعتان، في الأولى بعد (الحمد) (قل يا أيُّها الكافرون) ثلاثاً، وفي الثّانية [بعد الحمد] (التّوحيد) ثلاثاً. وفي هذا اليوم دَخَل ﷺ المدينة مهاجراً من مكّة».

اليوم الرّابع عشر

(**إقبال الأعمال**): «كان شيخنا المفيد رضي الله عنه قد جعلَ هلاكَ بعض أعداء الله جلَّ جلالُه في يومٍ من الأيّام يقتضي استحبابَ الصّيام شكراً لله جلَّ جلالُه على ذلك الإنعام والانتقام، وقد ذَكَر رحمه الله في اليوم الرّابع عشر ما هذا لفظه: (**الرّابع عشر منه سنة أربع وستّين كان هلاك المُلحد الملعون يزيد بن معاوية لعنَه الله، ولعنَ مَن طَرق له ما أتاه إلى عترة رسوله، ومهَّد له، ورضِيَه، ومالَأه عليه**).

أقول: فهذا اليوم الرّابع عشر حقيقٌ بالصّيام، شكراً على هلاكِ إمامِ الظُّلم والغدر، وهو يومُ الصَّدقات، والمبالغةِ في الحَمد والشُّكر».

ليلة السَّابع عشر

(**مفاتيح الجنان**): «ليلةُ ميلاد خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وعلى آله، وهي ليلةٌ شريفةٌ جدّاً. وحكى السّيّد في (إقبال الأعمال) قولاً بأنَّ في مثل هذه اللّيلة أيضاً كان معراجُه قبل الهجرة بسنة واحدة».

(**إقبال الأعمال**): «فإنْ صحَّ ما قد ذُكِر من الإسراء في اللّيلة المذكورة، فينبغي تعظيمُها ومراعاةُ حقوقها بالأعمال المشكورة».

اليوم السّابع عشر

قال الشّيخ المفيد في كتاب (حدائق الرّياض) ما هذا لفظُه: «السّابع عشر منه مولد سيّدنا رسول الله صلوات الله عليه عند طلوع الفجر من يوم الجمعة عام الفيل، وهو يومٌ شريفٌ عظيمُ البركة، ولم تزل الشّيعة على قديم الأوقات تعظّمه وتعرف حقَّه وترعى حُرْمتَه وتتطوَّع بصيامه، وقد رُوي عن أئمّة الهدى من آل محمّد عليهم السلام أنّهم قالوا: **مَن صام يوم السّابع عشر من ربيع الأوّل**، وهو يوم مولد سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله، **كَتَبَ اللهُ له صيامَ سنة**، ويُستحبُّ فيه الصّدقة والإلمام بمشاهد الأئمّة عليهم السلام والتّطوّع بالخيرات وإدخال السُّرور على أهل الإيمان».

أضاف السّيّد ابن طاوس في (إقبال الأعمال): «إنَّ الّذي ذكره شيخنا المفيد على سبيل الجملة دون التّفصيل، والذي أقوله إنّه ينبغي أن يكون تعظيم هذا اليوم الجميل على قدر تعظيم الرّسول الجليل المقدَّم على كلِّ موجودٍ من الخلائق «..» فمهما عملتَ فيه من الخيرات وعرفتَ فيه من المبرّات والمسرّات، فالأمرُ أعظمُ منه، وهيهات أن تعرف قدرَ هذا اليوم، وإنَّ الظّاهرَ العجزُ عنه».

أعمال اليوم السّابع عشر:

(مفاتيح الجنان): وفي هذا اليوم الشّريف أيضاً في سنة ثلاث وثمانين وُلِد الإمام جعفر الصّادق عليه السلام فزادَهُ فضلاً وشرفاً. وفيه عدّةُ أعمال:

الأوّل: الغسل.

الثّاني: الصّوم وله فضلٌ كثير، ورُويَ أنَّ مَن صامه كُتِبَ له صيام سنة.

الثّالث: زيارة النّبيّ صلى الله عليه وآله عن قُربٍ أو عن بُعد. روى العلّامة المجلسيّ في (زاد المعاد) عن الشّيخ المفيد والشّهيد الأوّل والسّيّد ابن طاوس: «إذا أردْتَ زيارة النّبيّ صلّى الله عليه وآله في ما عدا المدينة الطّيّبة من البلاد، فاغتسل ومثِّل بين يديك شبهَ القبر، واكتُب عليه اسمَه الشّريف، ثمَّ قِف وتوجَّه بقلبك إليه، وقُل:

أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّهُ سَيِّدُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَأَنَّهُ سَيِّدُ الأَنْبِياءِ وَالْمُرْسَلِينَ. أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلى أَهْلِ بَيْتِهِ الأَئِمَّةِ الطَّيِّبِينَ. ثمَّ قُل: **السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ الله السَّلامُ عَلَيْكَ يا خَلِيلَ الله..**».

[انظر: (مفاتيح الجنان)، باب الزّيارات]

الرّابع: زيارة أمير المؤمنين عليه السلام. روى الشّهيد الأوّل والشّيخ المفيد والسّيّد ابن طاوس أنَّ الإمام الصّادق عليه السلام زارَ أمير المؤمنين صلوات الله عليه في اليوم السّابع عشر من ربيع الأوّل بهذه الزّيارة، وعلَّمها الثّقة الجليل محمّد بن مسلم الثّقفيّ، فقال:

«إذا أتيتَ مشهدَ أمير المؤمنين عليه السّلام فاغتسِل للزّيارة، والبسْ أنظفَ ثيابك، واستعملْ شيئاً من الطِّيب، وسِرْ وعليك السَّكينةُ والوقار، فإذا وصلتَ إلى باب السَّلام [أي بابَ الحرم الطّاهر] **فاستقبِل القبلة، وقُل: أللهُ أكبر (ثلاث مرّات)، ثمّ قُل: السَّلامُ عَلى رَسُولِ اللهِ، السَّلامُ عَلى خِيَرَةِ اللهِ، السَّلامُ عَلى البَشِيرِ النَّذِيرِ السِّراجِ الْمُنِيرِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ...**

[تتمّة الزّيارة: (مفاتيح الجنان)؛ و(إقبال الأعمال) للسّيّد ابن طاوس]

ثمّ صلِّ ستّ ركعات للزّيارة؛ ركعتَين للأمير عليه السلام، وركعتَين لآدمَ عليه السلام، وركعتَين لِنُوحٍ عليه السلام، وَادْعُ اللهَ كَثِيراً تُجَبْ إن شاء الله تعالى».

قال المحدِّث القمّيّ: إنّ الأمير صلوات الله عليه يُزار بهذه الزّيارة في اليوم السّابع عشر عند طلوع الشّمس، وأنّها مِن أحسن الزّيارات، وهي مرويّة بالأسناد المعتبرة في الكُتُب المعتبَرة، وظاهرُ بعض رواياتها أنّها لا تخصُّ هذا اليوم، فمِن المُستحسن زيارتُه عليه السلام بهذه الزّيارة في جميع الأوقات.

الخامس: أن يصلّي عند ارتفاع النّهار ركعتَين، يقرأ في كلّ ركعة بعد الحمد سورة (إنّا أنزلناه) عشر مرّات، والتّوحيد عشر مرّات، ثمّ يجلس في مصلّاه ويدعو بالدُّعاء: (**أَللّهُمَّ أَنْتَ حَيٌّ لا تَمُوتُ..**). [إقبال الأعمال: أعمال ربيع الأوّل]

السّادس: أن يعظِّم المسلمون هذا اليوم، ويتصدَّقوا فيه، ويَعملوا الخير، ويُسِرّوا المؤمنين، ويزوروا المشاهد الشّريفة.

عن المفاضلة بين البَشَر والملائكة

القَوام الملَكيّ أفضل من القوام الإنسانيّ

العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ رحمه الله

يسلك العلّامة الطّباطبائيّ في تفسيره (الميزان) مسلكاً دقيقاً في حلّ الإشكال المطروح حول أفضليّة كلٍّ من الإنسان والملائكة على الآخَر، مستعرضاً أبرز الآراء بهذا الخصوص، مفرّقاً بين الطّاعة الصّادرة عن نفسٍ مشوبةٍ بالأنانيّة، وتلك الّتي يدعو إليها صفاءُ النّفس وخلوصُ العبوديّة، الّذي هو ملاك الأفضليّة.

اختلَف المسلمون في الإنسان والملَك أيّهما أفضل، فالمعروف المنسوب إلى الأشاعرة أنّ الإنسان أفضل، والمراد به أفضليّة المؤمنين منهم، إذ لا يختلف اثنان في أنّ مِن الإنسان من هو أضلّ من الأنعام، وهم أهل الجحود منهم. فكيف يُمكن أن يفضَّل على الملائكة المقرّبين؟ وقد استُدلّ عليه بالآية الكريمة: ﴿..وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء:٧٠، على أن يكون «الكثير» بمعنى الجميع.

وهو المعروف أيضاً من مذهب الشّيعة، وربّما استدلّوا عليه بأنّ الملَك مطبوعٌ على الطّاعة من غير أن تَتأتّى منه المعصية، لكنّ الإنسان من جهة اختياره تتساوى نسبته إلى الطّاعة والمعصية، وقد رُكّب من قوًى رحمانيّة وشيطانيّة، وتألّفَ من عقلٍ وشهوةٍ وغضبٍ. فالإنسانُ المؤمنُ المطيعُ يُطيعه [تعالى] وهو غير ممنوع من المعصية بخلاف الملَك، فهو أفضل من الملَك.

ومع ذلك، فالقول بأفضليّة الإنسان بالمعنى الّذي تقدّم ليس باتفاقيٍّ بينهم، فمِن الأشاعرة مَن قال بأفضليّة الملَك مطلقاً كالزّجّاج، ونُسب إلى ابن عبّاس. ومنهم مَن قال بأفضليّة الرُّسُل من البشر مطلقاً، ثمّ الرُّسُل من الملائكة على مَن سواهم من البشر والملائكة، ثمّ عامّة الملائكة على عامّة البشر. ومنهم مَن قال بأفضليّة الكرّوبيّين من الملائكة مطلقاً، ثمّ الرُّسُل من البشر، ثم الكُمّل منهم، ثمّ عموم الملائكة على عموم البشر، كما يقول به الرّازيّ، ونُسب إلى الغزّاليّ.

وذهبتْ المعتزلة إلى أفضليّة الملائكة على البشر، واستدلّوا على ذلك بظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء:٧٠. وقد مرّ تقرير حجّتهم في تفسير الآية. [قالوا: إنّ ها هنا من لم يفضَّل بنو آدم عليهم، وليس هؤلاء إلّا الملائكة، لأنّ بني آدم أفضل من كلّ حيوان سوى الملائكة بالاتّفاق].

وقد بالغ الزّمَخشريّ في التّشنيع على القائلين بأفضليّة الإنسان على الملَك، ممّن فسّر «الكثير» في الآية بالجميع، فقال في (الكشّاف) في ذيل قوله تعالى: ﴿..ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا..﴾: «هو ما سوى الملائكة، وحسْبُ بني آدم تفضيلاً أن تُرفع عليهم الملائكة وهمْ هم، ومنزلتُهم عند الله منزلتُهم، والعجَب من المجبّرة كيف عكسوا في كلّ شيء وكابروا، حتّى جسّرتهم عادةُ المكابرة على العظيمة، التّي هي تفضيل الإنسان على الملَك، وذلك بعد ما سمعوا تفخيمَ الله أمرَهم وتكثيرَه مع التّعظيم لذكرهم، وعلموا أين أَسكنَهم، وأنّى قرّبَهم، وكيف نزّلَهم من أنبيائه منزلةَ أنبيائه من أممهم. ثمّ جرّهم فرطُ التّعصّب عليهم إلى أن لفّقوا أقوالاً وأخباراً، منها: **قالت الملائكة ربّنا إنّك أعطيتَ بني آدم الدّنيا يأكلون منها ويتمتّعون ولم تُعطنا ذلك، فأَعطِناه في الآخرة. فقال: وعزّتي وجلالي لا أجعل ذرّيّة من خلقتُ بيدي كمَن قلتُ له: كُن فكان.** وروَوا عن أبي هريرة أنّه قال: المؤمن أكرم على الله من الملائكة الّذين عنده..».

وما أشار إليه [الزّمخشريّ] من رواية سؤال الملائكة أن يجعل لهم الآخرةَ كما جعل لبني آدم الدّنيا، رُويت عن ابن عمر، وأنَس بن مالك، وزيد بن أسلم، وجابر بن عبد الله الأنصاريّ عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، ولفظُ الأخير [حديث جابر]: «**لمّا خلقَ اللهُ آدمَ**

وذرّيته قالتْ الملائكة: يا ربّ خلقتَهم يأكلون، ويشربون، وينكحون، ويركبون الخيل، فاجعلْ لهم الدّنيا ولنا الآخرة. فقال الله تعالى: لا أجعلُ مَن خلقتُه بيدي كمن قلتُ له: كُن فكان».

ومتن الرّواية لا يخلو عن شيءٍ، فإنّ الأكل، والشّرب، والنّكاح ونحوها في الإنسان استكمالاتٌ مادّية، إنّما يلتذّ الإنسان بها لِما أنّه يعالج البقاءَ لشخصه أو لنوعه، بما جهّز اللهُ به بُنيته المادّية، والملائكةُ واجدون في أصل وجودهم كمالَ ما يَتوسّل إلى بعضه الإنسانُ بقواه المادّية، وأعمالِه المملّة المتعبة، منزّهونَ عن مطاوعة النّظام المادّيّ الجاري في الكون، فمن المحال أن يسألوا ذلك، فليسوا بمحرومين حتّى يحرصوا على ذلك، فيرجوه أو يتمنّوه.

ونظير هذا [الجواب] وارد على ما تقدّم من استدلالهم [الأشاعرة وغيرهم] على أفضليّة الإنسان على الملَك، بأنّ وجود الإنسان مركّبٌ من القوى الدّاعية إلى الطّاعة والقوى الدّاعية إلى المعصية، فإذا اختار الطّاعة على المعصية، وانتزعَ إلى الإسلام والعبوديّة، كانت طاعتُه أفضل من طاعة الملائكة المفطورين على الطّاعة، المجبولين على ترك المعصية، فهو أكثرُ قرباً وزُلفى، وأعظم ثواباً وأجراً.

وهذا مبنيّ على أصلٍ عقلائيٍّ معتَبرٍ في المجتمع الإنسانيّ، وهو أنّ الطّاعة الّتي هي امتثالُ الخطاب المولويّ مِن أمرٍ ونهي، ولها الفضلُ والشّرفُ على المعصية، وبها يُستحقّ الأجر والثّوابُ لو استُحِقّ، إنّما يترتّب عليها أثرُها إذا كان الإنسانُ المتوجَّه إليه الخطابُ في موقفٍ يجوزُ [يُتاحُ] له فيه الفعل والتّرك، متساوي النّسبة إلى الجانبَين، وكلّما كان أقرب إلى المعصية منه إلى الطّاعة قويَ الأثرُ والعكس بالعكس، فليس يستوي في امتثال النّهي عن الزّنا –مثلاً– العِنّين والشّيخُ الهَرِم ومَن يصعب عليه تحصيلُ مقدّماته، [مع] الشّابّ القويّ البنية الّذي ارتفع عنه غالبُ موانعه، [ومع] مَن لا مانع له عنه أصلاً إلّا تقوى الله، فبعضُ هذه التّروك لا يعَدّ طاعةً، وبعضُها طاعة، وبعضُها أفضل الطّاعة على هذا القياس.

ولمّا كانت الملائكة لا سبيلَ لهم إلى المعصية لفقدِهم غرائزَ الشّهوة والغضب، ونزاهتِهم عن هوى النّفس، كان امتثالُهم للخطابات المولويّة الإلهيّة أشبهَ بامتثال العنّين والشّيخ الهرم لنهي الزّنا، وكان الفضلُ للإنسان في طاعته عليهم.

وفيه [هذا القول]، أنّه لو تمّ ذلك لم يكُن لطاعة الملائكة فضلٌ أصلاً، إذ لا سبيلَ لهم إلى المعصية ولا لهم مقام استواء النّسبة، ولم يكن لهم شرفٌ ذاتيّ وقيمةٌ جوهريّة، إذ لا شرفَ على هذا إلّا بالطّاعة الّتي تقابلها معصية، وتسميةُ المطاوعة الذّاتية، الّتي لا تتخلّف عن الذّات، طاعةً مجازٌ، ولو كان كذلك لم يكن لقربهم من ربّهم مُوجب، ولا لأعمالهم منزلة.

لكنّ الله سبحانه أقامَهم مقامَ القرب والزّلفى، وأسكنَهم حظائرَ القُدس ومنازل الأُنس، وجعلهم خُزّان سرّه وحملَة أمرِه، ووسائطَ بينه وبين خَلقه، وهل هذا كلّه لإرادةٍ منه جزافيّة من غير صلاحيّةٍ منهم، واستحقاقٍ من ذواتهم؟

وقد أثنى الله عليهم أجزلَ الثّناء إذ قال فيهم: ﴿..بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ الأنبياء:٢٦-٢٧. وقال: ﴿..لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم:٦. فوصَف ذواتهم بالإكرام من غير تقييدِه بقَيد، ومدَح طاعتَهم واستنكافَهم عن المعصية.

كَوْنُ العمل جائزَ الفعلِ والتَّرْك، ووقوفُ الإنسان في موقف استواء النّسبة، ليس في نفسه ملاكَ أفضليّة طاعته، بل بما يكشف ذلك عن صفاء طينتِه وحُسن سريرتِه.

صفاءُ نفس المطيع، وجمالُ ذاته، وخلوصُه في عبوديّته، الّذي يكشفُ عنه انتزاعُه من المعصية إلى الطّاعة، وتحمُّله المشاقَّ في ذلك، هو الموجبُ لنَفاسة عملِه وفضل طاعتِه.

لمّا كان الإنسان ينالُ الكمالَ الذّاتيَّ تدريجاً، كان من المحتمل أن ينالَ عن استعداده مقاماً من القُرب، وموطناً من الكمال، فوقَ ما قد ناله الملَك ببهاء ذاتِه في أوّل وجوده.

وقال مادحاً لعبادتهم وتذلّلهم لربهّم: ﴿..وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ الأنبياء:٢٨. وقال: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾ فصلت:٣٨. وقال: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ الأعراف:٢٠٥-٢٠٦. فأمَر نبيَّه ﷺ أن يَذكرَه كذكرهم، ويَعبدَه كعبادتهم.

وحقّ الأمر: أنّ كون العمل جائزُ الفعل والتّرك، ووقوف الإنسان في موقف استواء النّسبة، ليس في نفسه ملاكَ أفضليّة طاعته، بل بما يكشف ذلك عن صفاء طينتِه وحُسن سريرته، والدّليل على ذلك: أنْ لا قيمة للطّاعة مع العلم بخباثة نفسِ المُطيع وقُبحِ سريرته، وإنْ بلغَ في تصفية العمل وبذْل المجهود فيه ما بلغ، كطاعة المنافق ومريض القلب الحابط عملُه عند الله، المحوّة حسنتُه عن ديوان الأعمال. فصفاءُ نفس المطيع، وجمال ذاته، وخلوصه في عبوديّته، الّذي يكشف عنه انتزاعه من المعصية إلى الطّاعة، وتحمُّله المشاقّ في ذلك، هو الموجب لنفاسة عمله وفضل طاعته.

وعلى هذا، فذوات الملائكة -ولا قوام لها إلّا الطّهارة والكرامة، ولا يَحكم في أعمالهم إلّا ذلُّ العبوديّة وخلوص النّيّة- أفضلُ من ذات الإنسان المتكدّرة بالهوى، المَشوبة بالغضب والشّهوة، وبأعماله الّتي قلّما تخلو عن خفايا الشّرك، و[تأثيرات] النّفس، ودَخَل الطّبع.

فالقوامُ الملَكيّ أفضل من القوام الإنسانيّ، والأعمال الملَكيّة الخالصة لوجه الله تعالى أفضل من أعمال الإنسان، وفيها لونُ قِوامِه وشَوبٌ من ذاته، والكمال الّذي يتوخّاه الإنسان لِذاته في طاعته وهو الثّواب، أُوتيَه الملَك في أوّل وجوده..

نعم، لمّا كان الإنسان إنّما ينالُ الكمالَ الذاتيّ تدريجاً بما يحصل لِذاته من الاستعداد سريعاً أو بطيئاً، كان من المحتمل أن ينالَ عن استعداده مقاماً من القُرب، وموطناً من الكمال، فوقَ ما قد ناله الملَك ببهاء ذاته في أوّل وجوده، وظاهرُ كلامه تعالى يحقّقُ هذا الاحتمال.

كيف وهو سبحانه يذكر في قصّة جعْل الإنسان خليفةً في الأرض فضْلَ الإنسان واحتمالَه لما لا يحتملُه الملائكة من العلم بالأسماء كلّها، وأنّه مقامٌ من الكمال لا يتداركُه تسبيحُهم بحمده وتقديسُهم له، ويطهّره ممّا سيظهر منه من الفسادِ في الأرض وسفكِ الدّماء، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ البقرة:٣٠-٣٣.

ثمّ ذَكر سبحانه أمرَ الملائكة بالسّجود لآدم، ثمّ سجودَهم له جميعاً، فقال: ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ﴾ الحجر:٣٠. وقد أوضحنا في تفسير الآيات في القصّة في سورة الأعراف أنّ السّجدة إنّما كانت خضوعاً منهم لمقام الكمال الإنسانيّ، ولم يكن آدم عليه السلام إلّا قبلةً لهم ممثِّلاً للإنسانيّة قبال الملائكة.

موجز في التّفسير

سورةُ «الجاثية»

إعداد : سليمان بيضون

*** السُّورة الخامسة والأربعون في ترتيب سُوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد سورة «الدّخان».**

*** آياتُها سبعٌ وثلاثون، وهي مكّيّة، وفي الرّوايات أنّ من قرأها «سَتَرَ اللهُ عورَتَه، وسكّن روعتَه عند الحساب»، «وكان مع محمّد صلّى الله عليه وآله».**

*** سُمِّيتْ بـ «الجاثية» لقوله عزّ وجلّ ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ..﴾ في الآية الثّامنة والعشرين منها.**

سادس السّور «الحواميم» السّبع، وهي سُوَرٌ متتالية نزلت جميعها في مكّة، تبدأ بقوله تعالى ﴿حمٓ﴾، وهي: غافر أو المؤمن، وفصّلت، والشّورى، والزّخرف، والدّخان، والجاثية، والأحقاف. وقد ورد عن النّبيّ ﷺ، قولُه: «**الحواميم سبع، وأبوابُ جهنَّم سبع، تجيء كلُّ حاميم منها فتقف على بابٍ من هذه الأبواب، تقول: أللَّهمّ لا تُدخِل من هذا الباب مَن كان يؤمنُ بي ويقرأُني**».

و«الجاثية» من «الجثوّ»، وهي إشارة إلى وضعِ كثير من النّاس في ساحة القيامة، وتعني كونَ المرء على حالةٍ بين القيامِ والقعود، وهي هيئة تدلّ على الانتظار والتّرقُّب وفقدان الاطمئنان، لِمَن لم يتعيَّن له تكليف، ولا ثواب، ولا عقاب، وهو ينتظر صدورَ الحكمِ في حقّه.

هدف السُّورة

«**تفسير الميزان**»: غرَض السّورة دعوةٌ عامّة للإنذار، تفتتحُ بآيات الوحدانيّة، ثمّ تذكر تشريع الشّريعة للنّبيّ ﷺ، وتشير إلى لزوم اتّباعها له ولغيره بما أنّ أَمامهم يوماً يُحاسَبون فيه على أعمالهم الصّالحة؛ من الإيمان، واتّباع الشّريعة، واجتراحهم السّيّئات بالإعراض عن الدّين. ثمّ تذكر ما سيجري على الفريقَين في ذلك اليوم، وهو يوم القيامة. وفي خلال مقاصدها إنذارٌ ووعيدٌ شديدٌ للمستكبرين المُعرِضين عن آيات الله، والذين اتّخذوا إلهَهم هواهم وأَضلَّهُم اللهُ على علم. ومن طرائف مطالبها بيانُ معنى كتابة الأعمال واستنساخها.

محتوى السُّورة

«**تفسير الأمثل**»: نزلت هذه السّورة في وقتٍ كانت المواجهة بين المسلمين ومشركي مكّة قد اشتدّت وطغت على الأجواءِ الاجتماعيّةِ في مكّة، ولذلك فإنّها أكّدت المسائل المتعلّقة بالتّوحيد، ومحاربة الشّرك، وتهديد الظّالمين بمحكمة القيامة، والتّنبيه إلى كتابة الأعمال وتسجيلها، وكذلك التّنبيه إلى عاقبة الأقوام المتمرّدين الماضين. ويمكن تلخيص محتوى هذه السّورة في سبعة فصول:

* **الأوّل**: بيانُ عظَمة القرآن المجيد وأهمّيته.

* **الثّاني**: بيانُ جانبٍ من دلائل التّوحيد أمام المشركين.

* **الثّالث**: ذكرُ بعض ادّعاءات الدّهريّين، والرّدّ عليها بجوابٍ قاطع.

* **الرّابع**: إشارة وجيزة إلى عاقبة بعض الأقوام الماضين -كبني إسرائيل- كشاهدٍ على مباحث هذه السّورة.

* **الخامس**: تهديد الضّالّين المُصرّين على عقائدهم المنحرفة والمتعصّبين لها، تهديداً شديداً.

* **السّادس**: الدّعوة إلى العفو والصّفح، لكنّ مع الحزم وعدم الانحراف عن طريق الحقّ.

* **السّابع**: الإشارات البليغة المعبّرة إلى مشاهد القيامة المهولة،

وخاصّة صحيفة الأعمال الّتي تشتمل على كلّ أعمال الإنسان دون زيادةٍ أو نقصان.

وتبدأ هذه السّورة بصفات وأسماء الله عزّ وجلّ العظيمة؛ كالعزيز، والحكيم، وتنتهي بها أيضاً.

فضل وثواب تلاوتها

عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «**مَن قرأ حاميم الجاثية سَتَرَ اللهُ عورَتَه، وسكّنَ رَوْعَتَه عند الحساب**».

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَن قرأ سورة الجاثية كان ثوابهَا أنْ لا يرى النّار أبداً، ولا يسمع زفير جهنّم ولا شهيقَها، وهو مع محمّدٍ صلّى الله عليه وآله**».

تفسيرُ آياتٍ منها

بعد ذكر الآية الكريمة، نوردُ ما رُويَ من الحديث الشّريف في تفسيرها، نقلاً عن (تفسير نور الثّقلين) للمحدّث الشّيخ عبد عليّ الحويزيّ، و(تفسير كنز الدّقائق) للمفسّر الشّيخ محمّد بن محمّد رضا المشهديّ رضوان الله تعالى عليهما.

قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ الجاثية:١.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «**وأمّا ﴿حمٓ﴾، فمعناه: الحميدُ المجيدُ**».

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ..﴾ الجاثية:١٤.

* الإمام الصّادق عليه السلام في معنى الآية: «**قل للّذين مَنَنَّا عليهم بمعرفتنا أن يُعرِّفوا الّذين لا يعلمون، فإذا عرَّفوهم فقد غَفَروا لهم**».

** عنه عليه السّلام: «**أيّام الله المرجوّة ثلاثة: يومُ قيام القائم، ويومُ الكرّة، ويومُ القيامة**».

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ..﴾ الجاثية:٢٤.

* أمير المؤمنين عليه السلام: «**فانْظُرْ إلَى الشَّمْسِ والْقَمَرِ، والنَّبَاتِ والشَّجَرِ، والْمَاءِ والْحَجَرِ، واخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ والنَّهَارِ، وتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ، وكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ، وطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ، وتَفَرُّقِ هَذِهِ اللّغَاتِ والأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ وجَحَدَ الْمُدَبِّرَ، زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ ولَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ، ولَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ فِي مَا ادَّعَوْا، ولَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوا، وهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ؟!..**».

** الإمام الصّادق عليه السلام: «**الْكُفْرُ فِي كِتَابِ الله عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُه: فَمِنْهَا كُفْرُ الْجُحُودِ، والْجُحُودُ عَلَى وَجْهَيْنِ، والْكُفْرُ بِتَرْكِ مَا أَمَرَ الله، وكُفْرُ الْبَرَاءَةِ، وكُفْرُ النِّعَمِ.**

فَأَمَّا كُفْرُ الْجُحُودِ فَهُوَ الْجُحُودُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وهُوَ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ لا رَبَّ ولَا جَنَّةَ ولَا نَارَ، وهُوَ قَوْلُ صِنْفَيْنِ مِنَ الزَّنَادِقَةِ يُقَالُ لَهُمُ الدَّهْرِيَّةُ، وهُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: ﴿..وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ..﴾، وهُوَ دِينٌ وَضَعُوه لأَنْفُسِهِمْ بِالاسْتِحْسَانِ عَلَى غَيْرِ تَثَبُّتٍ مِنْهُمْ ولَا تَحْقِيقٍ لِشَيْءٍ مِمَّا يَقُولُونَ، قَالَ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿..إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾...».

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّ ..﴾ الجاثية:٢٩.

* أمير المؤمنين عليه السلام: «**وأمّا القرآن، إنّما هو خطٌّ مسطورٌ بين دفّتين لا ينطق، وإنمّا تتكلّمُ به الرّجال**».

** الإمام الباقر عليه السلام: «**إنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِنَاطِقٍ يَأْمُرُ ويَنْهَى، ولَكِنْ لِلْقُرْآنِ أَهْلٌ يَأْمُرُونَ ويَنْهَوْنَ**».

قوله تعالى: ﴿..إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ الجاثية:٢٩.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «**إنّ الأعمالَ تُعرَض على الله في كلّ خميس، فإذا كان الهلال أُجّلت** (أُجملت، وفي بعض المصادر وردت: أُكملت) **فإذا كان النّصف من شعبان عُرضت على رسولِ الله صلّى الله عليه وآله، وعلى عليٍّ عليه السّلام، ثمّ تُنسَخ في الذّكر الحكيم**».

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ الجاثية:٣٧.

* النّبيّ صلى الله عليه وآله: «**يقول اللهُ عزَّ وجلَّ: الكبرياءُ ردائي والعظَمةُ إزاري، فمَن نازَعَني واحدةً منهما، ألقيتُه في نارِ جهنّم**».

مناسبات شهر ربيع الأوّل

إعداد: صافي رزق

١ ربيع الأوّل/ ١٣ للبعثة

* ليلة المَبيت، وهجرة النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى المدينة المنوّرة.

٥ ربيع الأوّل/ ١١٧ هجريّة

* وفاة السّيّدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام.

٨ ربيع الأوّل/ ٢٦٠ هجريّة

* شهادة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام.
* بداية إمامة بقيّة الله الأعظم صلوات الله عليه.

١٠ ربيع الأوّل

* ٢٨ قبل الهجرة: زواج رسول الله صلى الله عليه وآله من السّيّدة خديجة عليها السلام.
* ٨ بعد عام الفيل: وفاة عبد المطّلب جدّ رسول الله صلّى الله عليه وآله.

١٢ ربيع الأوّل

* عام الفيل (٥٧٠ م): ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله. (على رواية)
* ١٣ من البعثة: وصول رسول الله صلى الله عليه وآله إلى «قُباء» في طريق هجرته إلى المدينة المنوّرة.
* ١٣٢ هجريّة: زوال الدَّولة الأمويّة.
* بداية أسبوع الوحدة الإسلاميّة (١٢ - ١٧ ربيع الأوّل).

١٤ ربيع الأوّل/ ٦٤ هجريّة

* هلاك يزيد بن معاوية.

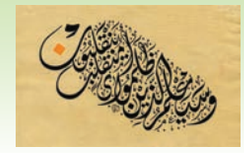

١٧ ربيع الأوّل

* عام الفيل: ولادة النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في مكّة المكرّمة.

١٧ ربيع الأوّل

* ٨٣ هجريّة: ولادة الإمام جعفر الصّادق عليه السلام بالمدينة المنوّرة.

أبرز مناسبات ربيع الأوّل

❖ ولادة رسول الله صلّى الله عليه وآله ❖ هجرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله إلى المدينة

❖ ليلةُ مَبيت أمير المؤمنين عليه السلام

❖ ولادة الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام ❖ شهادة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام

بعد تقديم فهرس بتواريخ مناسبات الشّهر الهجريّ، تُقدِّم «شعائر» مختصَراً حول أبرزها، كمدخلٍ إلى حُسن التّفاعل مع المناسبات المباركة، مع الحرص على عنايةٍ خاصّة بأيّام المعصومين عليهم السّلام.

اليوم السّابع عشر

❖ ولادةُ رسول الله صلّى الله عليه وآله

* عن الإمام الباقر عليه السلام: «لمّا وُلد النّبيّ عليه السّلام وُلد ليلاً، فأتى رجلٌ من أهل الكتاب إلى المَلأ من قريش وهم مجتمعون؛ هشام بن المغيرة، والوليد بن المغيرة، وعُتبة، وشَيبة، فقال: أَوُلِد فيكم اللّيلة مولود؟ قالوا: لا، وما ذاك؟ قال: لقد وُلد فيكم اللّيلةَ أو بفلسطين مولودٌ اسمه أحمد به شامة، يكون هلاكُ أهل الكتابِ على يديه، فسألوا، فأُخبروا، فطلبوه، فقالوا: لقد وُلد فينا غلام. فقال: قبل أن آتيكم أو بعد؟ قالوا: قَبل. قال: فانطلِقوا معي أنظرْ إليه، فأَتوا أمّه وهو معهم، فأخبرتهم كيف سقط، وما رأت من النُّور. قال اليهوديّ: فأَخرجيه، فنظرَ إليه، ونظر إلى الشّامة، فَخَرَّ مَغشيّاً عليه، فأدخلتْه أمّه، فلمّا أفاقَ قالوا له: ويلك ما لك؟ قال: ذهبتْ نبوّة بني إسرائيل إلى يوم القيامة، هذا والله مُبيرهم، ففرحتْ قريش بذلك، فلمّا رأى فرَحهم قال: واللهِ لَيسطوَنّ بكم سطوةً يتحدّث بها أهلُ المشرق وأهل المغرب».

(الأمالي، الشّيخ الطوسي)

** عن ابن عبّاس قال: «لمّا تمّت لرسولِ الله صلّى الله عليه وآله ستُّ سنين قدمتْ به أمّه آمنة على أخواله من بني النّجار، فماتت بالأبواء بين مكّة والمدينة، فبقي يتيماً لا أبَ له ولا أمّ، فازداد عبد المطّلب رقّةً له وحفظاً. فكان يوضع لعبد المطّلب فراشٌ في ظلّ الكعبة لا يجلس عليه أحدٌ إجلالاً له، وكان بنوه يجلسون حوله حتّى يخرج عبد المطّلب، فكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يخرج وهو غلامٌ فيمشي حتّى يجلس على الفراش! فيعظم ذلك على أعمامه ويأخذونه ليؤخّروه، فيقول لهم عبد المطّلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله إنّ له لشأناً عظيماً! إنّي أرى أنّه سيأتي عليكم يومٌ وهو سيّدُكم، إنّي أرى عزّتَه عزّةً تسود النّاس! ثمّ يحمله فيُجلسه معه ويمسحُ ظهرَه ويقبّله، ويقول: ما رأيتُ قبلَه من هو أطيبُ منه ولا أطهرُ قطُّ، ولا جسداً ألينَ منه ولا أطيب! ثمّ يحمله على عنقه فيطوف به أسبوعاً [سبعة أشواط]. وكانت هذه حالته حتّى أدركتْ عبد المطّلب الوفاة».

(كمال الدّين وتمام النّعمة، الصّدوق)

❖ ولادة الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام

من حِكمه عليه السّلام:

* «وجَدْتُ عِلْمَ النَّاسِ كُلَّه فِي أَرْبَعٍ: أَوَّلُهَا أَنْ تَعْرِفَ رَبَّكَ، والثَّانِي أَنْ تَعْرِفَ مَا صَنَعَ بِكَ، والثَّالِثُ أَنْ تَعْرِفَ مَا أَرَادَ مِنْكَ، والرَّابِعُ أَنْ تَعْرِفَ مَا يُخْرِجُكَ مِنْ دِينِكَ».

* «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيه فَلَا يُرْجَى خَيْرُه: مَنْ لَمْ يَسْتَحِ مِنَ الْعَيْبِ، ويَخْشَ اللهَ بِالْغَيْبِ، ويَرْعَوِ عِنْدَ الشَّيْبِ».

* «إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ وَضَعَ الإِيمَانَ عَلَى سَبْعَةِ أَسْهُمٍ: عَلَى الْبِرِّ، والصِّدْقِ، والْيَقِينِ، والرِّضَا، والْوَفَاءِ، والْعِلْمِ، والْحِلْمِ، ثُمَّ قَسَمَ ذَلِكَ بَيْنَ النَّاسِ، فَمَنْ جَعَلَ فِيه هَذِهِ السَّبْعَةَ الأَسْهُمِ فَهُوَ كَامِلٌ مُحْتَمِلٌ..».

من مواعظه عليه السّلام:

* «إِنّ هذه الدُّنيا وإِنْ أمتعتْ ببَهجتِها، وغرّت بزِبرجِها، فإنّ آخرَها لا يعدو أن يكون كآخرِ الرّبيع، الَّذي يروقُ بخضرته ثمّ يهيج عند انتهاء مُدّته، وعلى مَن نَصحَ لنفسه وعرف ما عليه وله أن ينظر إليها نظرَ مَن عقِلَ عن ربِّه جلَّ وعلا، وحَذرَ سوءَ منقلبِه، فإنّ هذه الدُّنيا خَدعَت قوماً فارقوها أسرعَ ما كانوا إليها، وأكثرَ ما كانوا اغتباطاً بها، طَرَقَتهُم آجالُهُم بياتاً وهم نائمون، أو ضُحًى وهُم يَلعبون، فكيف أُخرجوا عنها، وإلى ما صاروا بعدها، أعقَبَتهم الألم، وأورثتهم النَّدم، وجرّعتهم مُرَّ المذاق، وغصَّصتْهُم بكأس الفراق، فيا وَيْحَ مَن رضي عنها أو أقرّ عيناً..».

(مهج الدّعوات، ابن طاوس)

اليوم الأوّل وليلتُه: المبيتُ، والهجرة

* قال معاوية بن وهب: «دخلتُ على أبي عبد الله عليه السّلام وقتَ المغرب، فإذا هو قد أذّن وجلس، فسمعتُه يدعو بدعاءٍ ما سمعتُ بمثله، فسكتُّ حتّى فرغ من صلاته، ثمّ قلتُ: يا سيّدي لقد سمعتُ منك دعاءً ما سمعتُ بمثله قطّ. قال: **هذا دعاءُ أمير المؤمنين صلوات الله عليه ليلةَ بات على فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهو:**

يا مَن ليسَ معهُ ربٌّ يُدعى، يا مَن ليسَ فوقه خالقٌ يُخشى، يا مَن ليسَ دونَه إلهٌ يُتّقى، يا مَن ليس له وزير يُغشى، يا مَن ليس له بوّابٌ يُنادى، يا مَن لا يَزدادُ على كَثرةِ السُّؤال إلّا كرماً وجوداً، يا مَن لا يزدادُ على عِظَمِ الجُرْمِ إلّا رحمةً وعفواً، صَلِّ على مُحمّدٍ وآل مُحمّدٍ وافعلْ بي ما أنتَ أهلُه، فإنّك أهلُ التّقوى وأهلُ المَغفرةِ، وأنتَ أهلُ الجودِ والخيرِ والكَرمِ».

(الوافي، الفيض الكاشاني)

** «إنَّ مبيت الإمام عليّ عليه السلام على فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله، لم يكن في ليلة الهجرة فقط، بل هو قد بدأ منذ حصار المشركين للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وبني هاشم في شعب أبي طالب، حيث كان أبو طالب يُنيم رسولَ الله صلّى الله عليه وآله في موضعِه المخصَّص له، ثمَّ إنَّه حين تهدأ الرِّجل ويأمن العيون، يُقيمه ويُنيم الإمامَ علياً عليه السّلام مكانَه، حتّى إذا ما حصل أمرٌ من قِبل المشركين يستهدف حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله، فإنّه يقعُ في الإمام عليّ عليه السلام وينجو الرَّسول صلّى الله عليه وآله من كَيدهم. وقد كان الإمام عليّ عليه السّلام عالماً بأهداف هذا التّدبيرِ راضياً به، كما دلَّت عليه الآثار.

أضِف إلى ذلك: أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان هو الّذي يأتي للهاشميّين في الشّعب بالطّعام من بعض بيوت مكّة، ويقول النّصّ التّاريخيّ: ولو ظَفَر به المشركون لقتلوه».

(مختصر مفيد، السّيّد جعفر مرتضى)

اليوم الثّامن: شهادة الإمام العسكريّ عليه السلام

«وُجِدَ بخطّ مولانا الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام:

أعوذُ بالله من قومٍ حَذفوا مُحكَمات الكتاب، ونَسُوا اللهَ ربّ الأرباب، والنّبيَّ وساقيَ الكوثر في مواقف الحساب، ولَظى، والطّامّةَ الكبرى، ونعيمَ دار الثّواب، فنحنُ السّنامُ الأعظم، وفينا النّبوّةُ والولايةُ والكَرم، ونحنُ منارُ الهدى، والعُروةُ الوُثقى، والأنبياءُ كانوا يَقتبسونَ من أنوارنا، ويَقتفون آثارَنا، وسيَظهَر حجّةُ الله على الخَلْق بالسّيفِ المَسلول لإظهارِ الحقّ.

وهذا خطُّ الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ أمير المؤمنين».

(بحار الأنوار، عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان)

اليقينُ والصّدق، والعفّةُ والقناعة..
إذا أرادَ اللّهُ بعبدٍ خيراً فَتَحَ لَهُ قُفلَ قَلبِهِ

إعداد: محمد ناصر

مجموعة من الأحاديث الشّريفة، مفتتَحُها: «إذا أرادَ اللّهُ بِعَبد خَيراً..»، تُبيِّن المآلَ الّذي يصيرُ إليه مَن شَمَلَهُ اللُّطف الإلهيّ، فألهمَ ما فيه نجاتُه، يليها مقتطفٌ من (جامع السّعادات) للفقيه الشّيخ محمّد مهدي النّراقيّ، حول محبّة متميّزة يختصُّ بها الله تعالى مَن شاء من خَلْقه.

رسول الله صلى الله عليه وآله:

* «إذا أرادَ اللّهُ بِعَبدٍ خَيراً فَتَحَ لَهُ قُفلَ قَلبِهِ، وجَعَلَ فيهِ اليَقينَ وَالصِّدقَ، وجَعَلَ قَلبَهُ واعِياً لِما سَلَكَ فيهِ، وجَعَلَ قَلبَهُ سَليماً، ولِسانَهُ صادِقاً، وخَليقَتَهُ مُستَقيمَةً، وجَعَلَ أُذُنَهُ سَميعَةً وعَينَهُ بَصيرَةً».
* «يقول الله تعالى [في الحديث القدسيّ]: ..أيُّما عبدٍ خَلَقْتُهُ فهدَيْتُهُ إلى الإيمانِ، وحَسَّنْتُ خُلُقَهُ، ولم أبْتَلِه بالبُخلِ، فإنّي أريدُ بِهِ خيراً».
* «إذا أرادَ اللّهُ بقومٍ خيراً أهدَى لَهُم هَديَّةً، قالوا: وما تلكَ الهديّة؟ قال: الضَّيفُ يَنزلُ بِرِزقِه، ويَرتَحِلُ بِذُنوبِ أهلِ البيت».
* «إذا أرادَ اللّهُ بِعَبدٍ خَيراً اِستَعمَلَهُ. فَقيلَ: كَيفَ يَستَعمِلُهُ يا رَسولَ اللّهِ؟ قالَ: يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صالِحٍ قَبلَ المَوتِ».
* «إذا أرادَ اللّهُ بعبدٍ خيراً ألهاهُ عن محاسِنِه، وجَعَلَ مَساوِيَه بين عينَيْه، وكرَّهَهُ مُجالسةَ المُعرِضينَ عن ذِكرِ الله».

أمير المؤمنين الإمام عليه السلام:

إذا أرادَ اللّهُ بعبدٍ خيراً:

* «..حالَ بينَه وبينَ شَهوتِه، وحَجَزَ بينَهُ وبيْنَ قلبِهِ، وإذا أرادَ به شرّاً وَكَلَهُ إلى نفسِه».
* «..أعفَّ بَطنَهُ وفَرْجَه».
* «.. ألهَمَهُ الاقتصادَ وحُسنَ التّدبير، وجَنَّبَهُ سوءَ التَّدبير والإسراف».
* «.. مَنَحَهُ عَقلاً قَويماً، وعَمَلاً مُستَقيماً».

الإمام الصّادق عليه السلام:

* «إنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ إذا أرادَ بِعَبدٍ خيراً نَكَتَ في قلبِهِ نُكْتَةً بَيضاءَ فَجالَ القَلبُ بِطَلَبِ الحقّ، ثمَّ هو إلى أمرِكُم أسْرَعُ مِن الطَّيْرِ إلى وكْرِه».
* «إذا أرادَ اللّهُ بعبدٍ خيراً زَهَّدَه فِي الدُّنْيا وفَقَّهَه فِي الدِّينِ وبَصَّرَه عُيُوبَها، ومَنْ أُوتِيَهُنَّ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرَ الدُّنْيا والآخِرَةِ».
* «إذا أرادَ اللّهُ بِعَبدٍ خَيراً طَيَّبَ روحَهُ وجَسَدَهُ، فلا يَسمَعُ شَيئاً مِنَ الخَيرِ إلّا عَرَفَهُ، ولا يَسمَعُ شَيئاً مِنَ المُنكَرِ إلّا أنكَرَهُ».

قال العلماء

المُستفادُ من الآيات والأخبار أنّ الله تعالى يختصّ بعض عباده بمحبّةٍ متميّزةٍ ليست لِسائرِ العباد والمخلوقات، وهذه المحبّة تتمثّلُ في كشفِ الحجابِ عن قلبِ العبد حتّى يرى ربَّه بقلبِه، وفي تَمكينه إيّاهُ من القُربِ منه، وفي إرادتِه ذلك به في الأزَل، وفي تَطهيرِ باطنه عن حُلولِ الغَيْر فيه، وتَخليتِه عن عوائق تَحُول بينه وبين مولاه، حتّى لا يَسمع إلّا بالحقّ ومِن الحقّ، ولا يُبصر إلّا به، ولا يَنطقُ إلّا به -كما في الحديث القدسيّ- فيكون تقرُّبُه بالنَّوافل سبباً لِصفاءِ باطنِه، وارتفاعِ الحِجابِ عن قلبِه، وحُصولِه في درجةِ القُرْب من ربِّه، وكلُّ ذلك من فضل الله تعالى ولُطفِه به.

(جامع السّعادات، النّراقيّ – بتصرُّف)

صلاةُ الهديّة للميت
اِرحموا موتاكم بالصّدقة

إعداد: «شعائر»

الإمام الخمينيّ قدّس سرّه

يُستحبُّ ليلة الدَّفن صلاةُ الهديّة للميت، وهي المُشتهرةُ في الألسنِ بصلاةِ الوحشة، ففي الخَبر النّبويّ صلّى الله عليه وآله: «**لا يأتي على الميتِ ساعةٌ أشدّ من أوّل ليلة فارحموا موتاكم بالصَّدَقة، فإنْ لم تَجِدوا فليُصلِّ أحدُكُم ركعتَين..**»، وكيفيّتها على ما في الخبر المزبور، **أن يقرأ في الأولى بـ (فاتحة الكتاب) مرّة، و(قل هو الله أحد) مرّتين، وفي الثّانية (فاتحة الكتاب) مرّة، و(ألهاكُم التّكاثر) عشر مرّات، وبعد السَّلام يقول: (أللّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآل محمَّدٍ وابْعَثْ ثوابهَا إلى قبرِ فلان بن فلان). فيَبعثُ اللهُ من ساعتِه ألفَ مَلَكٍ إلى قبره، مع كلِّ مَلَكٍ ثوبٌ وحُلّة، ويوسّع في قبرِه من الضّيق إلى يوم يُنفخ في الصُّور، ويُعطى المصلِّي بعددِ ما طَلَعت عليه الشَّمسُ حسناتٍ، وتُرفَع له أربعون درجة**».

وعلى روايةٍ أُخرى: «**يقرأُ في الرَّكعة الأولى (الحمد) و(آية الكرسيّ) مرّة، وفي الثّانية (الحمد) مرّة و(إنّا أنزلناه) عشر مرّات، ويقول بعد الصَّلاة: (أللّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآل محمَّدٍ وابْعَثْ ثوابهَا إلى قبر فلان)**».

وإنْ أتى بالكيفيَّتَين كان أوْلى، وتكفي صلاةٌ واحدةٌ عن شخصٍ واحدٍ، وما تَعارَفَ من عددِ الأربعين أو الواحد والأربعين غير وارد، نعم لا بأسَ به إذا لم يَكُن بِقَصْدِ الوُرودِ في الشَّرع، والأحوَط قراءة آية الكرسيّ إلى (هم فيها خالدون)، والأقوى جواز الاستئجار وأخذ الأجرة على هذه الصَّلاة، والأحوط البَذْل بِنَحْو العطيَّة والإحسان وتبرُّع المصلِّي بالصَّلاة، والظَّاهر أنَّ وقتَها تمامُ اللَّيل، وإن كان الأَوْلى إيقاعها في أَوَّلِه.

(تحرير الوسيلة، الإمام الخمينيّ)

العروة الوثقى

فصلٌ في صلاة ليلة الدّفن: «..قال النّبيّ ﷺ: **لا يأتي على الميت أشدّ من أوّل ليلة فارحموا موتاكم بالصّدقة، فإنْ لم تجدوا فليُصلِّ أحدُكم، يقرأ في الأولى (الحمد) وآية (الكرسيّ)** [إلى قوله تعالى: هم فيها خالدون]**، وفي الثّانية (الحمد) و(القدر) عشراً**.. [إلى آخر الخبر المتقدّم]»، ومقتضى هذه الرّواية أنّ الصّلاةَ بعدَ عدم وجدان ما يُتَصدَّق به، فالأَوْلى الجمع بين الأمرَين مع الإمكان، وظاهرها أيضاً كفايةُ صلاةٍ واحدة، فينبغي أن لا يقصد الخصوصيّة في إتيان أربعين بل يؤتى بقصد الرّجاء أو بقصد إهداء الثّواب.

مسألة: إذا لم يُدفَن الميت إلّا بعد مدّة، كما إذا نُقل إلى أحد المشاهد، فالظّاهر أنَّ الصّلاة تؤخَّر إلى ليلة الدَّفن، وإن كان الأَوْلى أن يُؤتى بها في أوّل ليلةٍ بعد الموت.

مسألة: عن الكفعميّ رحمه الله «..» قال: وفي روايةٍ أخرى بعد (الحمد) (التّوحيد) مرّتَين في الأولى، وفي الثّانية بعد (الحمد) (ألهاكم التّكاثر) عشراً ، ثمّ الدّعاء المذكور، وعلى هذا فلو جمع بين الصّلاتَين بأن يأتي اثنتَين بالكيفيّتَين كان أوْلى.

مسألة: الظّاهر جواز الإتيان بهذه الصّلاة في أيِّ وقتٍ كان من اللّيل، لكنَّ الأَولى التّعجيل بها بعد العشاءَين، والأقوى جواز الإتيان بها بينهما بل قبلهما أيضاً بناءً على المختار من جواز التّطوّع لِمَن عليه فريضة، هذا إذا لم يجب عليه بالنّذر أو الإجارة أو نحوهما، وإلّا فلا إشكال.

(العروة الوثقى، اليزديّ)

أصلِحوا أنفسَكم، وسنأتي نحنُ إليكم!

قلبُ المؤمن هو الجزيرة الخضراء

شيخ الفقهاء العارفين الشّيخ بهجت قدّس سرّه

مختاراتٌ من ترجمةٍ خاصّةٍ بـ «شعائر» لكتاب (جرعة وصال) المطبوع بإجازة مكتب شيخ الفقهاء العارفين، المرجع الرّاحل الشّيخ محمّد تقي بهجت قدّس سرّه.
يَتضمّن الكتابُ توجيهات مركزيّة مختصرة جرى اختيارُها بعنايةٍ من كلماته رضوان الله تعالى عليه.

❖ **الأهمّ** من الدُّعاء لتعجيل فَرَج الإمام المهديّ عجّل الله فرجه هو الدُّعاء **لتثبيت الإيمان والأقدام** على العقيدة، وعدم إنكاره عليه السلام حتّى ظهوره.

❖ يا للحسرة! إذ الجميع يتوجّهون إلى مسجد جمكران لطلب قضاء **حوائجهم الشّخصيّة**، ولا يعلمون أيّ حاجة له عليه السلام عندهم في الدُّعاء له **لتعجيل فَرَجِه!**

❖ ينبغي على كلِّ واحدٍ أن يفكّر في نفسه ويَجد لها طريقاً للفَرَج عنها، و**للاتّصال بالإمام الحجّة** عجّل الله فرجه، سواءٌ أكان ظهوره عليه السّلام قريباً أم بعيداً!

❖ أينما كان الإمام عجّل الله فرجه فهناك الجزيرة الخضراء. **قلب المؤمن هو الجزيرة الخضراء**، فأينما كان وَطأتْ قدماهُ عليه السلام ذاك القلب.

❖ لقد جفَّت القلوب من **الإيمان ونور المعرفة**. جِدوا لأنفسكم **قلوباً** بالإيمان وبذكر الله **معمورةً**، حتّى نُصادق لكم على أنّ إمام الزّمان عجّل الله فرجه هناك!

❖ هناك الّذين يُريدون أن يكونوا **وقفاً للمهديّ** عليه السلام. مُنتَظِر الفرج، هو الّذي **يَنتظرُه** عليه السّلام **قربةً لله وفي سبيل الله**، لا لقضاء حوائجه الشّخصيّة!

❖ إذا كنّا نعمل بما قَطع به الشَّرعُ وحَتَم، لأَدركْنا عند النّوم ومحاسبة النّفس ما هي الأعمال الّتي أرضَت عنّا، بلا ريب، **إمامَ الزّمان** عجّل الله فرجه وما هي الأعمال الّتي أسخَطَتْهُ، بلا ريبٍ، علينا.

❖ لا شكَّ في أنّ **الدُّعاء لتعجيل الفرج** هو أمرٌ مؤثِّر، على ألّا يكون **لَقلقةَ لسان**.

❖ أللّهمَّ بلى! فإنّ الظَّمأى يُسقَون **جرعةَ وصال**، والمُتيَّمون بالجمال يُسقَون من ماء المعرفة والحياة. فهل نحن **متعطِّشون** [حقيقةً] **للمعرفة وراغبون باللِّقاء**، ولكنّه عليه السّلام لا يُعطينا ماء الحياة، مع أنّ شأنه إنقاذ الجميع وإجابة المضطرّين في العالم؟!

❖ لقد قال الأئمّة عليهم السّلام: **أصلِحوا أنفسكم!** وسنأتي نحن إليكم، ولا حاجة لكم بمحاولة العثور علينا!

بعضُ أسرار الصَّلاة

❖ **الصَّلاة** هي أسمى أوقات لقاء الله والحضور بين يديه واستذكاره تعالى.. لقد جُعِلت الصَّلاة **للخشوع والخضوع** بكلِّ درجاتهما.

❖ الصَّلاة قدحٌ من **ألذِّ اللّذائذ**، بحيث أنّه لا يوجد في العالم **خمرٌ أعذب** منها!

❖ الصَّلاة هي **أعظم مظاهر العبوديّة**، ففيها **يتوجَّه** العبدُ **إلى الحقّ** جلّ وعلا.

❖ **كلُّ اللّذائذ هي لذائذ روحيّة**، وما يُطلب غريزيّاً من اللّذات في العطر أو النّساء، من طريقه الحلال، ففي **الصَّلاة** ما هو أكثر منه وأسمى بعدَّة مراتب.

❖ **للقُرب** درجات أسماها قُرب **اللّقاء**. ولكلِّ درجةٍ من درجات القُرب مُقرِّب، والصَّلاة هي أسمى مُقرِّب.

❖ **الصَّلاة معراج المؤمن**، والمعراج يتطلَّب قُرباً ولقاءً. وبعد لقاء المؤمن اللهَ تعالى؛ فإنّه لن يلتفت إلى المرأة الشّمطاء [الدنيا] فحسب بل إنّ **ذهنه أيضاً لن يفعل ذلك**.

❖ ليس لنا، نحن البشر، شيءٌ من العظَمة، وكلّ حظِّنا منها [الصَّلاة] القيام، الّذي نُصيِّره في **ركوعنا** نصفاً، ثمّ نعود إلى **السُّجود** وإلى التُّراب.

الملف

قراءةٌ في الكرامات النَّبويّة

أشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ

اقرأ في الملف

استهلال	من صِيغ «الصّلوات» عن الإمام الصادق عليه السلام
أشعّةٌ من أحوال النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله	الفقيه القطب الرّاونديّ قدس سره
من خصائص النّبيّ صلى الله عليه وآله : أشجعُ أهلِ زمانه	إعداد : أسرة التّحرير
..جاءت الشجرة ولها دويٌّ شديد	ابن أبي الحديد المعتزليّ

استهلال

عَنِ الإمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَام

مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسُرَّ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَلْيَقُلْ فِي صَلَاتِهِ عَلَيْهِمْ:

أَللَّهُمَّ يَا أَجْوَدَ مَنْ أَعْطَى وَيَا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ وَيَا أَرْحَمَ مَنِ اسْتُرْحِمَ

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ فِي الأَوَّلِينَ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ فِي الآخِرِينَ

وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ فِي المَلَأِ الأَعْلَى

وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ فِي المُرْسَلِينَ

أَللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ وَالشَّرَفَ وَالرِّفْعَةَ وَالدَّرَجَةَ الكَبِيرَةَ

أَللَّهُمَّ إِنِّي آمَنْتُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ أَرَهُ فَلَا تَحْرِمْنِي فِي القِيَامَةِ

رُؤْيَتَهُ وَارْزُقْنِي صُحْبَتَهُ وَتَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِهِ وَاسْقِنِي مِنْ حَوْضِهِ مَشْرَبًا

رَوِيًّا سَائِغًا هَنِيئًا لَا أَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أَللَّهُمَّ إِنِّي آمَنْتُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ أَرَهُ فَعَرِّفْنِي فِي الجِنَانِ

وَجْهَهُ. أَللَّهُمَّ بَلِّغْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنِّي تَحِيَّةً كَثِيرَةً وَسَلَامًا.

أكثروا من الصلاة على النبي في كل جمعة

من الولادة حتّى ظهورِ أمر الدّعوة وانتشارِه

أشعّةٌ من أحوال النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله

الفقيه القطب الرّاونديّ رحمه الله (ت: ٣٧٥ للهجرة)

كلُّ سيرةِ الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله كراماتٌ ومعاجز، والمفارقة الأشدّ أن يصرّ بعضُ المؤمنين على تَغييب المعاجز والكرامات من سيرته صلى الله عليه وآله، لسوء فهم معنى «بشريّة الرّسول» ناتج عن الجموح إلى التّماهي مع «روح العصر» المُمعنِ في المادّيّة وإنكارِ الرّوح والعقل والقِيَم والغَيب عموماً.

استدعى ذلك إعادةُ التّذكير بملامح من سيرة النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله تداخَلتْ في جنباتها الكراماتُ النّبويّة، مع تركيزٍ على معجزةٍ أبرز من بين المعاجز الّتي طلبتها قريش منه صلّى الله عليه وآله.

رُوي أنّه صلّى الله عليه وآله:

* وُلد في السّابع عشر من شهر ربيع الأوّل عام الفيل يوم الاثنين، وقيل: يوم الجمعة ".." وهو محمّدُ بنُ عبد الله بنِ عبدِ المطّلب بنِ هاشم.
* ورُوِيَ عنه صلى الله عليه وآله: «**إذا بلغَ نَسَبي إلى عَدنان فأَمْسِكوا، ثمّ قرأ: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾** الفرقان:٣٨، **لا يعلمُهم إلّا اللهُ تعالى جَلَّ ذِكرُه**».
* وأنَّ أباه تُوفّي وأمّه حبلى، وقدمتْ أمُّه آمنه بنت وهب على أخواله من بني عَديّ من النّجار بالمدينة، ثمّ رجعتْ به حتّى إذا كانت بالأَبواء ماتت. (الأبواء: قريةٌ بين المدينة ومكّة).
* وأرضَعته صلى الله عليه وآله حتّى شبَّ: حليمةُ بنتُ عبد الله السَّعْدِيّة.
* وتزوّج بخديجة وهو ابنُ خمسٍ وعشرين سنة.
* وتُوفِّيَ عنه أبو طالب وله ستٌّ وأربعون سنةً وثمانية أشهر وأربعة وعشرون يوماً.
* والصّحيح أنَّ أبا طالب، رضي الله عنه، تُوفِّيَ عنه في آخر السّنة العاشرة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ تُوفّيت خديجةُ بعد أبي طالب بثلاثة أيّام، فسمّى رسولُ الله صلى الله عليه وآله ذلك العام عامَ الحزن، فقال: «**ما زالتْ قريشُ قاعدةً عنّي حتّى ماتَ أبو طالب**».
* وأقامَ بعدَ البعثةِ بمكّة ثلاثَ عشرة سنة، ثمّ هاجرَ منها إلى المدينة بعد أن استَتر في الغار، ثلاثةَ أيّام.
* ودخلَ المدينةَ يومَ الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الأوّل، وبقي بها عشرَ سنين، ثمّ قُبِضَ صلى الله عليه وآله يومَ الاثنين لليلتَين بقيَتا من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة.

بدءُ نزول جبرئيل عليه السّلام

* ذكر عليُّ بن إبراهيم بن هاشم، وهو من أَجَلِّ رواةِ أصحابنا، أنَّ النّبيّ صلى الله عليه وآله لمّا أتى له سبعٌ وثلاثون سنةً كان يرى في نومِه كأنَّ آتياً أتاه فيقول: يا رسولَ الله -وكان بين الجبال يرعى غَنَماً- فنظرَ إلى شخصٍ يقول له: **يا رسولَ الله**، فقال: **مَن أنت؟** قال: **أنا جبرئيلُ أرسلَني اللهُ إليك ليتَّخذَك رسولاً**، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يكتمُ ذلك.

الوضوءُ والصّلاة

* فأنزلَ جبرئيلُ بماءٍ من السّماء، فقال: **يا محمّد ﷺ قُمْ فَتَوَضَّأ**، فعلَّمه جبرئيلُ الوضوءَ على الوجه واليدَين من المرفق ومسح الرّأس والرِّجلَين إلى الكعبَين، وعلَّمه الرُّكوعَ والسُّجود، فدخلَ عليٌّ عليه السّلام على رسول الله ﷺ وهو يصلّي -هذا لمّا تمّ له ﷺ أربعون سنة- فلمّا نظرَ إليه يصلّي قال: **يا أبا القاسم، ما هذا؟** قال: **هذه الصّلاةُ الّتي أمرَني اللهُ بها**، فدعاه إلى الإسلام، فأسلمَ وصلّى معه، وأسلمتْ خديجة، فكان لا يُصلّي إلّا رسولُ الله وعليٌّ صلوات الله عليهما وخديجةُ خلفَه. فلمّا أتى لذلك أيّام دخلَ أبو طالب إلى منزل رسول الله ﷺ ومعه جعفر، فنظرَ إلى رسول الله ﷺ وعليٍّ عليه السّلام بجَنبه يُصَلّيان، فقال لجَعفر: يا جعفر، صِلْ جناحَ ابن عمِّك، فوقفَ جعفرُ بن أبي طالب من الجانب الآخَر.

زيد بن حارثة

ثمّ خرج رسولُ الله ﷺ إلى بعضِ أسواق العرب فرأى زيداً [زيد بن حارثة حِبُّ رسول الله والد أسامة بن زيد، استُشهد في معركة اليرموك مع الشّهيدين جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة]، فاشتراه لخديجة ووجده غلاماً كيِّساً، فلمّا تزوّجها وَهبَته له، فلمّا نُبِّئ رسولُ الله ﷺ أسلمَ زيدٌ أيضاً، فكان يُصلّي خلفَ رسول الله ﷺ عليٌّ وجعفر وزيد وخديجة.

فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ

* قال عليّ بن إبراهيم: ولمّا أتى على رسول الله ﷺ زمان، عند ذلك أَنزل اللهُ عليه ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ الحجر:٩٤، فخرجَ رسولُ الله ﷺ وقام على الحجر، وقال: **يا مَعشرَ قريش يا مَعشرَ العرب، أَدعوكُم إلى عبادةِ الله وخَلْعِ الأندادِ والأصنامِ، وأَدعوكُم إلى شهادةِ أنْ لا إلهَ إلّا اللهُ وأنّي رسولُ الله، فَأَجيبوني تَملكوا بها العربَ، وتدينُ لكم بها العَجَمُ وتكونون ملوكاً**، فاستَهزأوا منه وضحكوا وقالوا: جُنَّ محمّدُ بن عبد الله، وآذوه بألسنَتِهم.

ادفع إليكم ابني لتقتلوه، وتدفعون إليَّ ابنكم لأربِّيه

* وكان مَن يسمعُ من خبره ما سمع من أهل الكُتب يُسلمون، فلمّا رأت قريش مَن يدخل في الإسلام جَزعوا من ذلك، ومشوا إلى أبي طالب وقالوا: كُفَّ عنّا ابنَ أخيك، فإنّه قد سَفَّهَ أحلامَنا وسَبَّ آلهتَنا وأفسدَ شبابَنا وفَرَّقَ جماعتَنا، وقالوا: يا محمّد، إلامَ تدعو؟

قال: **إلى شهادة أنْ لا إلهَ إلّا الله وخَلْعِ الأندادِ كلِّها**. قالوا: نَدَع ثلاثَ مائة وستّين إلهاً ونعبدُ إلهاً واحداً؟ وحكى اللهُ تعالى قولَهم: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ ص:٤-٥ إلى قوله: ﴿..بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾ ص:٨.

ثمّ قالوا لأبي طالب: إنْ كان ابنُ أخيك يحملُه على هذا: العُدم [أي الفقر] جَمعنا له مالاً، فيكون أكثرَ قريشٍ مالاً، فقال رسولُ الله ﷺ: **مَا لي حاجةٌ في المال، فَأَجيبوني تكونوا ملوكاً في الدّنيا وملوكاً في الآخرة**، فتفرّقوا ثمّ جاؤوا إلى أبي طالب، فقالوا: أنت سيّدٌ من ساداتنا وابنُ أخيك قد فرَّق جماعتَنا، فَهَلُمَّ نَدفعْ إليكَ أبهى فتًى من قريش وأجملَهم وأشرفَهم، عمارة بن الوليد، يكون لك ابناً وتدفع إلينا محمّداً لنقتلَه، فقال أبو طالب: ما أَنصَفتموني، تسألوني أنْ أدفعَ إليكم ابني لتَقتلوه، وتدفعون إليَّ ابنَكم لأُربِّيه لكم، فلمّا آيَسوا منه كَفُّوا.

فمن كان أكرمكم صلاةً على أكرمكم فهو مني ومنزلته

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ

* وكان رسول الله ﷺ لا يكفُّ عن عيبِ آلهةِ المشركين، ويقرأُ عليهم القرآن، وكان الوليدُ بن المغيرة من حكّام العرب، يتحاكمون إليه في الأمور، وكان له عبيدٌ عشرةٌ عندَ كلِّ عبدٍ ألفُ دينار يَتَّجِرُ بها وملكَ القنطار وكان عمَّ أبي جهل، فقالوا له: يا عبدَ شمس، ما هذا الّذي يقول محمّد؟ أَسِحرٌ أم كهانة، أم خُطَب؟ فقال: دَعوني أسمعْ كلامَه.

فدنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جالسٌ في الحجر، فقال: يا محمّد، أنشِدني شِعرَك، فقال: **ما هو بِشِعْرٍ، ولكنّه كلامُ اللهِ الّذي بعثَ أنبياءَه ورُسُلَه** [به]، فقالَ: أُتْلُ، فقرأ: ﴿بسم الله الرَّحمن الرَّحيم﴾، فلمّا سمع «الرّحمن» استهزأَ منه، وقال: تدعو إلى رجلٍ باليمامة بِسم الرّحمن؟ قال: **لا، ولكنّي أدعو إلى الله، وهو الرّحمنُ الرّحيم**. ثمّ افتتحَ (حم السّجدة)، فلمّا بلغَ إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ فصّلت:١٣ وسَمِعَه اقشعرَّ جِلدُه، وقامت كلُّ شَعرةٍ في بدنه، وقامَ ومَشى إلى بيتِه ولم يرجعْ إلى قريش، فقالوا: صبا أبو عبد الشّمس إلى دينِ محمّد.

فاغتمّتْ قريش، وغدا عليه أبو جهل، فقال: فضَحتَنا يا عمّ.

قال: يا ابن أخي، ما ذاك وإنّي على دِين قومي، ولكنّي سمعتُ كلاماً صعباً تقشعرُّ منه الجلود.

قال : أَفَشِعْرٌ هو؟ قال: ما هو بشِعر.

قال : فخُطَب؟ قال: لا، إنَّ الخُطَبَ كلامٌ متّصل، وهذا كلامٌ منثورٌ لا يُشبِهُ بعضُه بعضاً، له طُلاوة. [الطُّلاوَةُ، بالضَّمِّ: السِّحْرُ]

قال: فكهانة هو؟ قال: لا.

قال: فما هو؟ قال: دَعْنِي أُفكِّر فيه.

فلمّا كان من الغد، قالوا: يا عبدَ شمس، ما تقول؟

قال: قولوا: هو سِحْرٌ، فإنّه آخذٌ بقلوبِ النّاس، فأنزلَ اللهُ تعالى فيه:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ المدّثّر١١-٣٠.

* و".." عن عكرمة قال: «جاء الوليدُ بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ، فقال: اِقرأ عَلَيَّ، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل:٩٠، فقال: أَعِد، فأعاد، فقال: واللهِ إنّ له لَحلاوةً وطُلاوة، وإنّ أعلاه لَمُثمِر، وإنّ أسفلَه لَمُغْدِق، وما هذا بقولِ بَشَر».

أبو طالب لحمزة: خُذ السَّيف

* وكان قريش يجدّون في أذى رسول الله ﷺ، وكان أشدّ النّاس عليه عمُّه أبو لهب، وكان ﷺ ذات يومٍ جالساً في الحجر، فبعثوا إلى سِلَى الشّاة فألقوه على رسول الله ﷺ فاغتمّ من ذلك، فجاءَ إلى أبي طالب، فقال: **يا عمّ، كيف حَسَبي فيكم؟** قال: وما ذاك يا ابنَ أخ؟ قال: **إنَّ قريشاً ألقوا عليَّ السِّلَى.**
فقال (أبو طالب) لحمزة: خُذْ السَّيف. وكانت قريشُ جالسةً في المسجد، فجاء أبو طالب ومعه السَّيف، وحمزةُ ومعه السَّيف، فقال: أمرّ السِّلَى على سبالهم [جمع سبلَة وهي الشّارب]، ثمّ التفتَ إلى رسول الله ﷺ وقال: يا ابنَ أخ، هذا حَسَبُكَ منّا وفينا.

أللّهُمّ عليك الملأ من قريش

* **وفي (صحيح) البخاريّ**، عن عبد الله قال: بينما رسول الله ﷺ ساجدٌ وحولَه النّاس من قريش ومعهم سِلَى بعير، فقالوا: من يأخذ هذا فيقذفُه على ظهرِه، فجاء عقبةُ بنُ أبي معيط، فقذفَه على ظهر النّبيّ ﷺ، وجاءت فاطمة عليها السّلام فَأَخَذَتْه من ظهره ودَعَت على مَن صَنع ذلك، قال عبد الله: فما رأيتُ رسولَ الله دعا عليهم إلّا يومئذٍ، قال: **أللّهمّ عليك الملأُ من قريش.** قال عبد الله: ولقد رأيتُهم قُتلوا يومَ بَدْر وأُلقوا في القَليب.

ضربَ بالقوس رأسَه، ثمّ احتملَه فجلدَ به الأرض

* وكان أبو جهل تعرّضَ لرسول الله ﷺ وآذاه بالكلام، فقالت امرأةٌ من بعض السّطوح لحمزة: يا أبا يَعلى، إنَّ عَمْرو بنَ هشام تعرَّضَ لمحمّدٍ وآذاه، فغضبَ حمزةُ ومرَّ نحو أبي جهل، وأخذَ قوسَه فضربَ بها رأسَه، ثمّ احتملَه فجلدَ به الأرضَ. واجتمعَ النّاسُ وكادَ يقعُ فيهم شرّ، فقالوا: يا أبا يَعلى، صبوتَ إلى دين محمّد؟ قال: نعم، أشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله. ثمّ غدا إلى رسول الله فقال: يا ابن أخ، أحقٌّ ما تقول؟ فقرأَ عليه رسولُ الله ﷺ من القرآن، فاستبصرَ حمزةُ فثبتَ على دين الإسلام، وفرحَ رسولُ الله، وسُرَّ أبو طالب بإسلامِه وقال:

...ومَن صلّى عليّ يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة وعلى وجهه نور...

فَصبراً «أبا يَعْلَى» على دِيْنِ أحمدٍ ... وَكُنْ مُظهِراً للدِّين وُفِّقْتَ صَابِرا
وحُطْ مَن أَتَى بالدِّينِ من عند ربِّهِ ... بصدْقٍ وحقٍّ لا تَكُنْ «حَمْزُ» كافرا
فقد سرَّني أنْ قلتَ إنّك مؤمنٌ ... فَكُنْ لرسولِ الله في اللهِ ناصرا
ونادِ قُريشاً بالذي قد أَتَيْتَهُ ... جِهاراً وقلْ: ما كانَ أحمدُ ساحرا

***

العِذْقُ ينزلُ من النّخلة، ويأتي إلى رسول الله

"..." عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: جاء أعرابيٌّ إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وقال: بِمَ أعرفُ أنّك رسول الله؟ قال: **أرأيتَ إنْ دعوتُ هذا العِذْقَ من هذه النّخلةِ فأتاني، أتشهدُ أنّي رسولُ الله؟** قال: نعم.

قال (ابنُ عبّاس): فَدَعا العِذْقَ ينزل من النّخلة حتّى سقطَ على الأرض، فجعلَ يبقرُ حتّى أتى النّبيَّ صلى الله عليه وآله.

ثمّ قال (النّبيّ للعِذق): **ارجِع**، فرجعَ حتّى عاد إلى مكانه، فقال: أشهدُ أنّك لرسولُ الله، وآمن، فخرج العامريّ يقول: يا آلَ عامر بن صَعْصَعة، واللهِ لا أُكَذِّبه بشَيءٍ أبداً.

ذو الجناحين، جعفرُ بن أبي طالب

(جعفرُ بن أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ، وأمّه [أي والدة جعفر] فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ. وكان لجعفر من الوَلد عبدُ الله، وبه كان يُكنَّى، وله العَقِبُ من وُلد جعفر، ومحمّد وعون لا عقبَ لهما، وُلدوا جميعاً لجعفر بأرض الحبشة في المهاجر إليها، وأمُّهم أسماء بنت عميس "..." وأخوا [أبناء جعفر] لأمّهم: يحيى بن عليّ بن أبي طالب ومحمّد بن أبي بكر. "..." أسلم جعفرُ بن أبي طالب قبل أن يدخل رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم دارَ الأرقم ويدعو فيها.

"..." وهاجر جعفر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثّانية ومعه امرأته أسماءُ بنت عميس، وولدَت له هناك عبدَ الله، وعوناً، ومحمّداً. فلم يزل بأرض الحبشة حتّى هاجر رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم إلى المدينة، ثمّ قدم عليه جعفر من أرض الحبشة وهو بخَيبر "..." ولمّا رجع رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من خَيبر تلقّاه جعفرُ بن أبي طالب، فالتزمَه رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وقبّل ما بين عينَيه، وقال: **ما أدري بأيّهما أنا أفرَح، بقدومِ جعفر أو بفتح خَيبر.** "..."

عن محمّد بن أسامة بن زيد عن أبيه أسامة أنّه سمع النّبيَّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول لجعفر بن أبي طالب: «**أشبَهَ خَلقُك خَلقي وأشبَهَ خُلقُك خُلُقي، فأنت منّي ومن شَجرتي**». "..." حدَّثنا هشامُ بن سعد، عن جعفر بن عبد الله بن جعفر، عن جعفر بن أبي طالب أنّه تختَّم في يمينِه.

"..." عن عبد الله بن جعفر قال: «بعثَ رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم جيشاً، واستعمل عليهم زيدَ بن حارثة وقال: **إنْ قُتل زيدٌ أو استُشهِد فأميرُكم جعفرُ بن أبي طالب، فإنْ قُتل جعفر أو استُشهِد فأميرُكم عبدُ الله بن رواحة.** فلَقوا العدوَّ "..." فأتى خبرُهم النّبيَّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فخرج إلى النّاس فحمدَ اللهَ وأثنى عليه ثمّ قال: **إنَّ إخوانكم لقوا العدوَّ، فأخذَ الرّايةَ زيدُ بنُ حارثة فقاتلَ حتّى قُتل أو استُشهد، ثمّ أخذَ الرّايةَ جعفرُ بن أبي طالب فقاتلَ حتّى قُتل أو استُشهد، ثمّ أخذها عبدُ الله بن رواحة وقاتل حتّى قُتل).**

(ابن سعد، الطّبقات الكبرى: ج ٤/ ص ٣٧)

من خصائص النّبيّ: أشجعُ أهلِ زمانه

مصارعةُ النّبيّ، رِكانة وأبا الأشدِّ بن الجَمْحيّ

إعداد: أسرة التّحرير

في مجتمعٍ يعتمدُ منطقَ القوّة البدنيّة والفروسيّة، يكثرُ فيه الأشدّاء، فهذا «يعدلُ ألفَ فارس»، وهذا يقفُ على الجلد فيعجزُ عن جَذْبه من تحته عشرةٌ من الأشدّاء، وذاك «أفتكُ النّاس»، وآخَر «لم يَصْرَعْهُ أحدٌ قطّ، ولم يمسّ جلدُه الأرضَ مغلوباً قطّ»، من الطّبيعيّ أن تواجهَ النّبيَّ دعواتٌ للمصارعة.

ما يلي، نماذج من كُتب السّيرة في هذا المجال.

مصارعة النّبيّ «رِكانة»

وكان رجلٌ من بني هاشم يُقال له: «**ركانة**»، وكان كافراً من أفتكِ النّاس يَرعى غنماً له بوادٍ يقال له: وادي «إضَم». فخرج النّبيّ ﷺ إلى ذلك الوادي فلَقِيَه **ركانة**، فقال: لولا رَحِمٌ بيني وبينَك ما كلّمتُك حتّى قتلتُك، أنت الّذي تشتمُ آلهتَنا. ادعُ إلهَك يُنجيك منّي، ثمّ قال: صارِعني، فإنْ أنتَ صَرَعْتَني فلك عشرةٌ من غَنمي، فأخذَه النّبيُّ ﷺ وصرعَه وجلسَ على صدره، فقال ركانة: فلستَ بي فعلتَ هذا، إنّما فعلَه إلهُك، ثمّ قال ركانة: عُدْ، فإنْ أنتَ صرعتَني فلك عشرةٌ أخرى تختارُها، فصرعَه النّبيّ ﷺ الثّانية، فقال: إنّما فعلَه إلهُك، عُدْ فإنْ أنتَ صرَعتَني فلك عشرةٌ أخرى، فصرعَه النّبيّ ﷺ الثّالثة.

فقال ركانة: خَذَلَتِ اللّاتُ والعُزّى، فدونَك ثلاثين شاةً فاختَرها.

فقال له النّبيّ ﷺ: ما أريدُ ذلك، ولكنّي أدعوكَ إلى الإسلامِ يَا رِكانة [وأنفس بكَ أن تصيرَ إلى النّار، وإنّك إنْ تُسْلِم تَسلَم].

فقال ركانة: لا، إلّا أنْ تُريَني آيةً.

فقال نبيُّ الله ﷺ: اللهُ شهيدٌ عليك الآن إنْ دعوتُ ربّي فَأَرِيتُك آيةً لَتُجيبني إلى ما أدعوك؟ قال: نعم.

وقريبٌ منه شجرةٌ مثمرةٌ، قال (النّبيّ): **أَقْبِلي بإذنِ الله**، فانشقّت باثنَين، وأقبلتْ على نصفِ ساقِها حتّى كانت بين يدَي نبيّ الله.

فقال ركانة: أريتَني شيئاً عظيماً، فمُرْها فَلْتَرجِع.

فقال له النّبيّ ﷺ: **أَللهُ شهيدٌ إنْ أنا دعوتُ ربّي يأمرها فرَجعتْ لَتجيبُني إلى ما أدعوك إليه؟** قال: نعم.

فأمرَها فرجعت حتّى التأمتْ بشِقّها. فقال له النّبيّ صلّى الله عليه وآله: **تُسْلِم؟**

فقال ركانة: أكرهُ أن تتحدّث [نساء أهل المدينة وصبيانُهم] أنّي إنّما أجبتُك لِرُعبٍ دخلَ في قلبي منك، ولكن فاختَر غنمَك، فقال صلّى الله عليه وآله: **ليس لي حاجةٌ إلى غَنَمِك إذا أَبَيْتَ أن تُسْلِم.**

الرّاونديّ- قصص الأنبياء مصحّحاً في موردين بين معقوفتين [ ]، على (إمتاع الأسماع) للمقريزيّ: ١٢/ ٨٨

ومَن صلّى عليّ يومَ الجمعة ألفَ مرّة لم يمُت حتّى يرى مقعدَه من الجنّة.

من هو «رِكانة»

* (ركانة) بكَسر الرّاء وتخفيف الكاف (الشّروانيّ- حواشي الشّروانيّ.. ج٩/ ٣٩٩).

* رِكانة بن عبد العزيز بن هاشم بن عبد المطّلب بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب: القرشيّ، المطلبيّ، صحابيّ، من مُسلمة الفتح، له أحاديث، وهو الّذي صارعَ النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فصرعَه النّبيُّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم مرّتين أو ثلاثاً بحيث كان سببَ إسلامه. نزل المدينة وتُوفّي بها، في أوّل خلافة معاوية. وقيل في سنة اثنتَين وأربعين، وقيل سنة إحدى، وقيل في خلافة عمر بن الخطّاب وقال أبو نعيم: سكنَ المدينة، وبقيَ إلى خلافة عثمان. ويقال: إنّه لا نظيرَ له في الأسماء. روى عنه ابنه يزيد، وحفيده عليّ بن يزيد، ونافع بن عجير. وكان أشدّ النّاس بحيث يُضرب به المَثل، فيُقال للشّيء إذا كان ثقيلاً: أثقل من محمّد بن ركانة. (السّخاويّ، التّحفة اللّطيفة في تاريخ المدينة الشّريفة: ج١/ ٣٥٠)

مصارعة أبي الأشدّ الجَمْحيّ؟

جاء في كتاب (الرَّوض الأنِف في شرح السّيرة النّبويّة، ص ٦٥):

«أبو الأشدّ بن الجَمْحيّ: فصل: وذكر ابنُ إسحاق قولَ أبي جهلٍ مستهزئاً: يزعمُ محمّدٌ أنّ جنودَ ربِّه الّتي يُخوِّفكم بها تسعة عشر، وأنتم النّاس، إلى آخر القصّة. وأهل التّفسير يَعزون هذه المقالة إلى أبي الأشدّ بن الجَمْحيّ، واسمُه: كلدة بن أُسيد بن خلف ".." وأنّه قال: اكفوني منهم اثنَين، وأنا أَكفيكم سبعةَ عشر، إعجاباً منه بنفسه، وكان بلغَ من شدّته في ما زعموا أنّه كان يقفُ على جِلد البقرة، ويُجاذِبُه عشرة ، ليَنتزعوه من تحت قدمِه، فيتمزّق الجلد، ولا يتزحزحُ عنه، وقد دعا النّبيَّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم إلى المصارعة، وقال: إنْ صرعتَني آمنتُ بك، فصَرَعَه رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم مِراراً ، فلم يُؤمن، وقد نسبَ ابنُ إسحاق خبرَ المصارعة إلى رِكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطّلب، وسيأتي في الكتاب والله أعلم».

وجاء في ص ١٣٩:

«مصارعةُ رِكانة: فصل: وذكر حديث رِكانة ومصارعته النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وقد تقدّم مثلُ هذا الحديث عن أبي الأشدّ (بن) الجَمْحيّ، ولعلّهما أن يكونا جميعاً صارعا رسولَ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم "..".

* في تفسير (جوامع الجامع، ٣/ ٧٨٩) حول قوله تعالى ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ البلد:٥: «والضَّميرُ في ﴿أَيَحْسَبُ﴾ لبعضِ صنَاديدِ قُرَيْش الَّذين كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكَابِدُ منْهُم ما يُكَابِدُ، والمعنى: أَيَظُنُّ هذا المُتعزِّزُ القَويُّ في قَومِهِ ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ﴾ على الانتقامِ منْهُ وعلى مكَافَأَتِهِ أَحَدٌ؟ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ كَثيراً، يُريدُ: كَثْرَةَ ما أَنْفَقَهُ في ما كانُوا يُسَمُّونَها مَكَارِمَ الأَخلاقِ. ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ حينَ كانَ يُنْفِقُ ما يُنْفِقُ رِيَاءَ النَّاسِ؟ يعني: أنَّ اللهَ كانَ يَراهُ، وقيلَ: هو أَبو الأَشَدِّ، رَجُلٌ من جُمَح وكانَ قويّاً، بحيثُ يَقِفُ على أَديمٍ عُكَاظِيٍّ فَيَجُرُّهُ العَشْرَةُ من تَحْتِهِ فيُقْطَعُ ولا يَبْرَحُ من مكَانِهِ».

***

في (زبدة التّفاسير، ج٧/ ٢٤٤) للملّا فتح الله الكاشانيّ، حول قوله تعالى ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ المدّثر:٣٠:

«رُوي: أنّه لمّا نزلت ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ المدّثر:٣٠، قال أبو جهلٍ لقُريش: ثكلتكُم أمّهاتكُم، أسمعُ ابنَ أبي كبشة يخبرُكم أنّ خَزَنَة النّار تسعة عشر، وأنتم الدَّهْمُ [الكثيرون عدداً] الشّجعان، أفيعجزُ كلُّ عشرةٍ منكم أن يبطشوا بِرَجُلٍ من خَزَنة جهنّم؟! فقال أبو الأشدّ بن أُسيد بن كِلدة الجَمْحيّ وكان شديدَ البطش: أنا أكفيكم سبعةَ عشر، عشرة على ظهري، وسبعة على بَطني، فَاكْفوني أنتم اثنَين. فنزلت: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ..﴾ المدّثر:٣١ أي: وما جَعلنا الموكّلين بالنّار رجالاً من جنسِكم، بل ما جعلناهم إلّا ملائكةً ليُخالفوا جنسَ المعذَّبين من الثّقلَين، فلا يأخذهم ما يأخذُ المجانسَ من الرّأفة والرِّقّة، ولا يَستروحون إليهم. ولأنّهم أقوى الخَلق بأساً، وأشدّهم غَضَباً لله، وأقواهم بَطشاً. وعن عمرو بن دينار: واحدٌ منهم يدفعُ بالدّفعةِ الواحدةِ في جهنّم أكثرَ من ربيعة ومضر. وعن النّبيّ صلّى الله عليه وآله: **كأنّ أعينَهم البَرق، وكأنّ أفواهَهم الصّياصي [الحصون]، يجرّون أشعارَهم، لأحدهم مثلُ قوّة الثّقلين، يسوقُ أحدُهم الأمّة وعلى رقبتِه جَبل، فيرمي بهم في النّار، ويَرمي بالجبلِ عليهم**».

كان «رِكانة» شديدَ البأس يُضرَبُ به المثَل، قويّاً جسيماً لم يصرَعْه أحدٌ قَطّ، ولم يمسّ جِلدُه الأرضَ مغلوباً قَطّ، وكان من شدّته أنّه يقفُ على جِلد بعيرٍ فيجذبُه من تحته عشرة، فيتمزّقُ الجِلدُ ولا يتزحزحُ هو عن مكانه.

المصارعة

جاء في كتاب: (نظام الحكومة النّبويّة، المسمّى التّراتيب الإداريّة، ج٢/ ١٤٨) تحت عنوان (**المصارعة**): ذكر ابنُ إسحاق في (سيرته)، وغيرُه، أنّه كان بمكّة رجلٌ شديدُ القوّة يحسن الصّراع، وكان النّاس يأتونَه من البلاد للمصارعة فيصرعُهم.

بينما هو ذات يومٍ في شُعبٍ من شعاب مكّة إذ لقيَه النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فقال له: **يا «رِكانة» ألا تتّقي اللهَ وتقبل ما أدعوكَ إليه؟** فقال له: يا محمّد، هل لك من شاهدٍ على صدقِك؟ قال: **نعم، أرأيتَ إنْ صرعتُك، أتؤمنُ باللهِ ورسوله؟** قال: نعم يا محمّد، فقال له: **تَهَيّأْ للمُصارعة**، فقال تَهَيّأتُ. فدنا منه رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فصرعَه.

قال (الرّاوي): فتعجّب «**رِكانة**» ثمّ سألَه الإقالةَ والعودةَ، ففعلَ به ذلك ثانياً وثالثاً، فوقف «**ركانة**» متعجّباً وقال: إنّ شأنَك لَعجيب.

رواه أبو نعيم والبيهقيّ عن أبي أمامة من طريقَين مرفوعاً ومُرسَلاً، و«**رِكانة**» المذكور هو ابنُ عبد يزيد بنِ هاشم بنِ المطّلب بن عبد مناف القرشيّ المكّيّ الصّحابيّ الّذي أسلمَ عامَ الفتح وتُوفّي في المدينة في خلافة معاوية عام ٤٢، وكان شديدَ البأس قويّاً جسيماً معروفاً بالقوّة في المصارعة بحيث إنّه لم يصرعه

أحدٌ قَطّ، ولم يمسّ جِلدُه الأرضَ مغلوباً قَطّ، وقد صحّ أنه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم صارعَه فصرعَه.

(قاله الخفاجيّ في النّسيم).

وفي (حواشي ابن الطيّب الفاسيّ على القاموس) في «**ركانة**»: قصّتُه مشهورة وصرع النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من أعظم معجزاته، وكان «**ركانة**» أصرعَ أهلِ زمانه، وكان من شدّته أنّه يقفُ على جِلد بعيرٍ ليِّنٍ جيّدٍ حين سَلْخِه فيجذبُه من تحتِه عشرة، فيتمزّقُ الجِلدُ ولا يتزحزحُ هو عن مكانِه كما في (شروح الشّفا) و(المواهب) وغيرهما.

وقال في كتاب (**نظام الحكومة**..): قلت: قصّة «**ركانة**» المذكورة رواها الحاكم في (مستدركه) عن أبي جعفر بن محمّد بن ركانة المصارع عن أبيه محمّد ".." وعندي رسالة لطيفة للحافظ السّيوطيّ سمّاها (المسارعة إلى المصارعة) ذكر فيها مصارعةَ النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم لأبي ركانة من طُرق، ومصارعة صغار الصّحابة فيما بينهم ليَنجحوا في الإذن لهم في شهودِ الغَزو، وأنّ أهلَ مكّة كانوا لا يصارعون أحداً إلّا صَرعوه حتّى رَغِبوا عن ماء زمزم، ومن طُرُق، مصارعة الحَسن للحُسين عليهما السّلام بمَرأىً منه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وقال في (نسيم الرّياض): على حديث ركانة يقتضي جواز المصارعة، إلّا أنّهم قالوا بالمال حرام كالمسابقة عليه، أو أنّه من خصائصه عليه السّلام.

دعا «ركانة» رسولَ الله صلّى الله عليه وآله ليُصارعَه وقال له: اُدعُ إلهَك يُنجيك منّي، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: «..أدعوكَ إلى الإسلام يَا ركانة، وأنفسُ بكَ أن تصيرَ إلى النّار، وإنّك إنْ تُسْلِم تَسْلَم». فلمّا أبى وتوعَّد صرعَه النّبيّ ثلاثَ مرّات، فقال «ركانة»: خَذَلَت اللّاتُ والعُزّى، فلستَ بي فعلتَ هذا، إنّما فعلَه إلهُك.

أدعو لكَ هذه الشّجرةَ الّتي تَرى فتَأتيني

تُجمعُ بعضُ نصوص قصّة ركانة بين الحديث عن المصارعة وبين دعوة النّبيّ صلّى الله عليه وآله الشّجرة، وفي بعضها -كما تقدّم- الحديثُ عن دعوة النّبيّ صلّى الله عليه وآله «العِذْقَ» وهو من النّخلة كالعنقود من العنب، ويبدو أنّ تعدُّد حوادث المصارعة وتعدُّد دعوة الشّجرة تسبَّبا بتَداخل القِصص في بعض النّصوص.

ومن النّصوص الّتي وردَ فيها ذِكر دعوة النّبيّ الشّجرة، ما جاء في كتاب (**الاكتفاء بما تضمّنه من مغازي رسول الله والثّلاثة الخلفاء**، ج١/ ٢٣١) لسليمان بن موسى الكلاعيّ (ت: ٦٣٤ للهجرة):

«وذكرَ محمّدُ بن إسحاق، عن أبيه قال: كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلّب أشدَّ قريش، فخَلا يوماً برسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في بعض شِعاب مكّة، فقال له: **يا ركانة، ألا تتّقي اللهَ وتقبل ما أدعوك إليه؟!** قال: لو أعلمُ أنّ الّذي تقول حقٌّ لاتّبعتُك.

فقال رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **أفرأيتَ إنْ صَرعتُك، أتعلمُ أنّ ما أقولُ حقّ؟**

قال: نعم. قال: **فقُمْ حتّى أصارعَك**. فقام إليه ركانة فصارعَه، فلمّا بطشَ به رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أضجعَه لا يملكُ من نفسه شيئاً،

ثمّ قال: عُدْ يا محمّد. فعادَ فصرعَه. فقال: يا محمّد، إنّ ذا لَلعَجَب، أتصرعني!! قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **وَأعجبُ من ذلك إنْ شئتَ أنْ أُرِيكَه إن اتّقيتَ اللهَ واتّبعتَ أمري**، قال: ما هو؟ قال: **أدعو لكَ هذه الشّجرةَ التي ترى فتَأتيني**. قال: ادعُها. فدعا بها، فأقبلتْ حتّى وقفتْ بين يدَي رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فقالَ لها: **اِرجعي إلى مكانِك**، فرجعتْ إلى مكانها، فذهب رِكانة إلى قومِه فقال: يا بني عبد مناف، ساحِروا بصاحِبِكم أهلَ الأرض، فَوَاللهِ ما رأيتُ أسحرَ منه قطُّ. ثمّ أخبرهم بالّذي رأى وصنع».

وجاء في الهامش: انظُر الحديث في: **(البداية والنّهاية) لابن كثير (٣ / ١٠٣)، (دلائل النّبوّة) للبيهقيّ (٦ / ٢٥٠)، أبي داود في (المراسيل) (٣٠٨)، البيهقيّ في (السُّنن الكبرى) (١٠ / ١٨)**.

محمّدٌ رسولُ اللهِ والذين مَعَهُ أشدّاءُ على الكفّارِ رُحَمَاءُ بينَهُم

مصارعةُ رِكانة، وكيف أراهُ الشّجرةَ الّتي دعاها فأَقبلتْ

من المصادر الّتي وردَ فيها ذِكرُ مصارعة رِكانة مقترناً بذكر الشّجرة –كما ورد في نصّ القطب الرّاونديّ– كتاب (السّيرة النّبويّة) لابن كثير، ج٢/ ٨١-٨٣، فقد قال تحت عنوان:

«**قصّة مصارعة رِكانة، وكيف أراه صلّى الله عليه** [وآله] **وسلّم الشّجرة الّتي دعاها فأقبلتْ،**

قال ابنُ إسحاق: وحدَّثني أبي إسحاقُ بنُ يَسار قال: كان رِكانة بنُ عبد يزيد بنِ هاشم بنِ المطّلب بنِ عبد مناف أشدَّ قريش، فخَلا يوماً برسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في بعض شِعاب مكّة، فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **يا رِكانة، ألا تتّقي اللهَ وتقبل ما أدعوكَ إليه؟**

قال: إنّي لو أعلمُ أنّ الّذي تقول حقٌّ لاتَّبعتُك.

فقال له رسول الله: **أفرأيتَ إنْ صرعتُك، أتعلمُ أنّ ما أقول حقّ؟** قال: نعم. قال: **فقُم حتّى أصارعَك**.

قال: فقام ركانة إليه فصارعَه، فلمّا بطشَ به رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أضجعَه لا يملكُ من نفسِه شيئاً.

ثمّ قال: عُدْ يا محمّد. فعادَ فصرعَه. فقال: يا محمّد، والله إنّ هذا لَلْعَجب، أتصرعُني؟!

قال: **وأعجبُ من ذلك إنْ شئتَ أُرِيكَه، إنِ اتَّقيت اللهَ واتَّبعتَ أمري**.

قال: وما هو؟ قال: **أدعو لكَ هذه الشّجرةَ الّتي ترى فتَأتيني**. قال: فادعها.

فدعاها فأقبلتْ حتّى وقفت بين يدَي رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم. فقال لها: **اِرجعي إلى مكانك!** فرجعتْ إلى مكانها. قال: فذهب رِكانة إلى قومه فقال: يا بني عبد مناف ساحِروا بصاحبكم أهلَ الأرض، فوَاللهِ ما رأيتُ أسحرَ منه قطّ! ثمّ أخبرَهم بالّذي رأى والّذي صنع. هكذا روى ابنُ إسحاق هذه القصّة مرسلةً بهذا البيان.

وقد روى أبو داود والتِّرمذيّ من حديث أبي الحَسن العسقلانيّ، عن أبي جعفر بن محمّد بن ركانة، عن

أبيه، أنّ ركانة صارع النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فصرعَهُ النّبيُّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم. ثمّ قال التّرمذيّ: غريب. ولا نعرف أبا الحسن ولا ابنَ ركانة.

قلت: وقد روى أبو بكر الشّافعيّ بإسنادٍ جيّد، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنّ يزيد بن ركانة صارع النّبيَّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فصرعَه النّبيُّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ثلاثَ مرّات، كلّ مرّة على مائةٍ من الغَنم، فلمّا كان في الثّالثة قال: يا محمّد، ما وَضع ظهري إلى الأرض أحدٌ قبلك، وما كان أحدٌ أبغض إليَّ منك، وأنا أشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله وأنّك رسولُ الله. فقام عنه رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وردَّ عليه غنمَه.

وأمّا قصّة دعائه الشّجرة فأقبلت، فسيأتي في كتاب (دلائل النّبوّة) بعد السّيرة من طرقٍ جيّدة صحيحة في مرّاتٍ متعدّدة. إن شاء الله وبه الثّقة.

وقد تقدّم عن أبي الأشدّين أنّه صارع النّبيَّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فصرَعَه رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم».

* يلاحَظ أنَّ بعض المصادر تعبِّر عن الجمحيّ بـ«أبي الأشدّين»، كما ورد هنا في نصّ ابن كثير، وفي أكثرها على ما يبدو بـ«أبي الأشدّ بن الجَمحيّ» والظّاهر أنّ الأوّل تصحيف.

ولولا أبو طالبٍ وابنُه

من أساليب ابن أبي الحديد في إيصال الفكرة، دون أن يشيطَ بدمه، مختصَره المفيد حولَ كافل الرّسول الأعظم صلّى الله عليه وآله في أصعبِ مراحل الإسلام.

قال ابنُ أبي الحديد: «صنَّف بعضُ الطّالبيّين في هذا العصر كتاباً في إسلام أبي طالب، وبَعثَه إليّ وسألَني أن أكتبَ عليه بخطّي نَظْماً أو نَثْراً، أشهدُ فيه بصحّة ذلك، وبوَثاقة الأدلّة عليه، فتحرَّجتُ أن أحكمَ بذلك حكماً قاطعاً، لِما عندي من التّوقُّف فيه، ولم أَستجِز أن أقعدَ عن تعظيم أبي طالب، فإنّي أعلمُ أنّه لولاه لَمَا قامت للإسلام دعامة. وأعلمُ أنّ حقّه واجبٌ على كلّ مسلمٍ في الدّنيا إلى أن تقومَ السّاعة، فكتبتُ على ظاهر المجلّد:

ولولا أبو طالبٍ وابنُه ... لما مَثَل الدِّينُ شخصاً فقاما
فذاكَ بمكّةَ آوى وحامى ... وهذا بيَثربَ جسَّ الحماما
تكفَّلَ عبدُ منافٍ بأمرٍ ... وأَودَى فكانَ عليٌّ تَماما
فقل في «ثَبيرٍ» مضى بعد ما ... قضى ماقضاه وأبقى «شماما»
فللّه ذا فاتحاً للهدى ... ولله ذا للمعالي خِتاما
وما ضرَّ مجدَ أبي طالبٍ ... جَهولٌ لغا أو بصيرٌ تَعامى
كما لا يضرّ إياةَ الصّباحِ ... مَن ظَنَّ ضوءَ النّهار الظّلاما

فوفيتُه حقَّه من التّعظيم والإجلال، ولم أجزم بأمرٍ عندي فيه وقف».

*«ثَبير» و«شمام» اسما جبلَين.

*إياة الصّبح: ضوءه، وأصلُه في الشّمس.

(شرح نهج البلاغة: ج ١٤/ ص ٨٤)

سُئِلَ الإمامُ الصّادقُ عليه السّلام عَنْ أفضلِ الأعمالِ يومَ الجمعةِ، فقالَ:

مجيءُ الشّجرة كلّها، ورجوعُها، ثمّ كلّ نصفٍ منها جَاءَتْ ولَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ - وقَصْفٌ كَقَصْفِ أجْنِحَةِ الطَّيْرِ

ابن أبي الحديد المعتزليّ

من المعاجز النّبويّة المُغيّبة، معجزةُ مَجيء الشّجرة إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله بدعوته إيّاها، وقد تكرّر ذلك منه صلّى الله عليه وآله في عدّة موارد، أبرزها ما تحدّث عنه أمير المؤمنين عليه السّلام حين طلبَ الملأُ من قريشٍ هذه المعجزةَ بالخصوص.

ما يلي نصُّ كلامِ أمير المؤمنين عليه السّلام كما أوردَه ابنُ أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) مع تعليقه حول ذلك.

«ولَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صلّى الله عليه وآله لَمَّا أَتَاهُ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ - فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً - لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ ولَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ - ونَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وأَرَيْتَنَاهُ - عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ ورَسُولٌ، وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ.

فَقَالَ صلّى الله عليه وآله: ومَا تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا، وتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْك.

فَقَالَ صلّى الله عليه وآله: إِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ - فَإِنْ فَعَلَ اللهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟

قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ، وإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي «الْقَلِيبِ» [حفرةٌ أُلقِيَ فيها مَن قُتل منهم يومَ بدر] ومَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَاب.

ثُمَّ قَالَ صلّى الله عليه وآله:

يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ - إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ والْيَوْمِ الْآخِرِ، وتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ الله فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ، حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ الله.

والَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وجَاءَتْ ولَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله صلّى الله عليه وآله مُرَفْرِفَةً، وأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الأَعْلَى عَلَى رَسُولِ الله صلّى الله عليه وآله وبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي وكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صلّى الله عليه وآله.

فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عُلُوّاً واسْتِكْبَاراً: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا ويَبْقَى نِصْفُهَا.

فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا، كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وأَشَدِّهِ دَوِيّاً فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ الله صلّى الله عليه وآله، فَقَالُوا كُفْراً وعُتُوّاً: فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ، فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ صلّى الله عليه وآله فَرَجَع.

فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ الله، وأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وإِجْلَالاً لِكَلِمَتِك.

فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ ساحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا، يَعْنُونَنِي.

وإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي الله لَوْمَةُ لَائِمٍ، سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ وكَلَامُهُمْ كَلَامُ الأَبْرَارِ. عُمَّارُ اللَّيْلِ ومَنَارُ النَّهَار، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ يُحْيُونَ سُنَنَ الله وسُنَنَ رَسُولِهِ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ ولَا يَعْلُونَ، ولَا يَغُلُّونَ ولَا يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ وأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ».

الصلاة على محمد وآله مائة مرة وعشر مرات بعد العصر وما ردت فهو أفضل.

قال ابنُ أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ٣٢٠):

«وأمّا حديثُ الشّجرة فمشهورٌ مستفاضٌ رواه المحدِّثون في كُتُبهم، وذكرَه المتكلِّمون في معجزاته، صلّى الله عليه وآله وسلّم، ومنهم مَن روى ذلك مختصراً أنّه دعا شجرةً فأقبلت تخدُّ الأرض خدّاً. ونقلَه البيهقيّ في كتاب (دلائل النّبوّة)، وأمّا نداؤه، صلّى الله عليه وآله وسلّم، للشّجرة، وقوله لها: **إنْ كنتِ تؤمنينَ بالله**، إلى قوله: **بإذنِ الله**، فقد علمتَ أنّ الخطابَ مخصوصٌ في عُرف العقلاء لِمَن يعقل، لكنّه، صلّى الله عليه وآله وسلّم، لمّا وجّهَ نفسَه القُدسيّة من إعداد الشّجرة لِما يرومُ منها، وعلمَ أنّها واجبةُ الاستعداد بذلك لقبول أمر الله بما أرادَ منها، خاطبَها خطاب مَن يعقل استعارة ملاحظة لشِبهها بمَن يعقل في إجابة ندائه وإتيانه، وفائدةُ ذلك الخطاب أن يكونَ وجودُ ما رامَ منها عقيبَ خطابِه أغربَ، وفي نفوسِ الحاضرين أبلغَ وأعجب، فإذا كان وقوعُ تلك الحالِ بها غريباً كان كَونُها على تلك الحال وفقَ خطابِه ودعائه لها أغرب، لزيادة إيهامِ كَونها سمعتْ ذلك النّداء وعَقِلتْ ذلك الخطابَ، مع أنّها ليس من شأنها ذلك، وأعجب في نفوس السّامعين. ولذلك خرجَ هذا عن كونه سَفَهاً وعَبَثاً.

وقال الإمام الوبريّ رحمه الله: ونحو ذلك قوله تعالى ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ..﴾ هود:٤٤».

عن أمير المؤمنين عليه السلام: وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صلّى الله عليه وآله لَمَّا أَتَاهُ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ ".." فَقَالَ صلّى الله عليه وآله: وَمَا تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا، وتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْك.

«إلهي لم أزَلْ سائلاً مسكيناً فقيراً إليك..»

دعاءُ غرّة ربيع الأوّل

عن (إقبال الأعمال) للسّيّد ابن طاوس قدس سره

دعاء غرّة ربيع الأوّل، أورده السّيّد ابن طاوس قدس سره في كتابه (إقبال الأعمال)، نقلاً عن كتاب (المختصَر من المنتخَب). يُقرأ هذا الدّعاء في اليوم الأوّل من شهر ربيع الأوّل، مع الإلفات إلى أهمّيّة صلاة أوّل الشّهر، والصّدقة بما تيسّر، ليشتري بذلك المؤمن سلامة الشّهر كلّه.

أللّهمّ لا اله إلّا أنتَ، يا ذا الطَّوْلِ والقُوّةِ، والحَوْلِ والعزّةِ، سُبحانَكَ ما أعظمَ وحدانيَّتَكَ، وأقدمَ صَمدِيَّتَكَ، وأوْحدَ إلهيَّتَكَ، وأبيَنَ ربوبيَّتَكَ، وأظهرَ جلالَكَ، وأشرفَ بهاءَ آلائِكَ، وأبهى كمالَ صنائِعِكَ، وأعظمَكَ في كِبريائِك، وأقدمَكَ في سُلطانِكَ، وأنورَكَ في أرضِكَ وسمائِك، وأقدَمَ مُلكَكَ، وأدومَ عِزَّكَ، وأكرمَ عفوَكَ، وأوسعَ حِلْمَك، وأغْمَضَ علْمَكَ، وأنفذَ قدرتَكَ، وأحوطَ قُربَك.

أسألُكَ بنورِكَ القديمِ، وأسمائِكَ الّتي كوَّنْتَ بها كلَّ شيءٍ، أنْ تصلّيَ على محمّدٍ وآل محمّدٍ، كما صلّيتَ وباركتَ ورحِمتَ وترحّمتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ، إنّك حميدٌ مجيدٌ، وأنْ تأخُذَ بناصيتي إلى موافقتِكَ، وتَنظرَ إليَّ برأفتِكَ ورحمتِك، وترزقَني الحجَّ إلى بيتِكَ الحرام، وأنْ تجمعَ بين روحي وأرواحِ أنبيائِكَ ورُسُلِك، وتوصِلَ المِنَّةَ بالمِنَّة، والمزيدَ بالمزيدِ، والخيرَ بالبركات، والإحسانَ بالإحسانِ، كما تفرَّدْتَ بخَلقِ ما صنعْتَ، وعلى ما ابتدعْتَ وحكمْتَ ورحِمْتَ. فأنتَ الَّذي لا تُنازَعُ في المَقدور، وأنت مالكُ العزِّ والنُّور، وَسِعْتَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعِلماً، وأنتَ القائمُ الدّائمُ المُهيمِنُ القديرُ.

إلهي لم أزَلْ سائلاً مسكيناً فقيراً إليك، فاجْعَل جميعَ أموري مَوْصُولاً (موصولةً) بثقةِ الاعتمادِ عليك، وحُسنِ الرُّجوع إليك، والرِّضا بقَدَرِك، واليَقينِ بكَ، والتَّفويضِ إليك.

﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ﴿..سُبْحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ ﴿..سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾. ﴿..سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾. ﴿..سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم..﴾. ﴿..وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. ﴿..وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾. ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾. ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾. ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾. ﴿..سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾. ﴿..سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾. ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾. ﴿..سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾. ﴿..سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾. ﴿..سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾. ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

أللّهُمَّ صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ وعرّفنا بركةَ هذا الشّهر ويُمْنَه، وارزُقنا خَيْرَه واصْرِف عنّا شَرَّهُ، واجْعَلْنا فيه مِن الفائزين، بِرَحمتِكَ يا أرْحَمَ الرّاحِمينَ.

«كأنّ قلوبَهم القناديل»

مقاماتُ أصحاب الإمام المهديّ عجل الله فرجه وصفاتُهم*

إعداد: «شعائر»

لا يجد المتدبِّرُ في نصوص الأحاديث الشّريفة الواردة في قضيّة الإمام المهديّ عجل الله فرجه صعوبةً في ملاحظة اهتمامها البالغ بتوضيح خصال أصحاب المهديّ عجّل الله تعالى فرجه ومقاماتهم وعلومهم، والأحاديثُ في هذا الباب متواترة، اخترنا منها مجموعةً تتضمّن أبرز العناوين المشار إليها.

لعلّ من أهمّ أهداف الرّوايات الشّريفة بتفصيل الحديث عن أصحاب الإمام المهديّ عجل الله فرجه وأنصاره، حثّ المؤمنين على السّعي والاجتهاد للتحلّي بخصالهم والاتّصاف بصفاتهم والاقتداء بهم، وهذه ثمرة تربويّة مهمّة للغاية، توصل المؤمن إلى مرتبةٍ ساميةٍ من الصّلاح والكمال والقرب من الله جلّ وعلا، ومن هذه الصّفات:

لا يستوحشون إلى أَحد

روى الحاكم في (مستدركه) على صحيحَي البخاريّ ومسلم، بسندٍ صحّحهُ على شرطهما، عن محمّد بن الحنفيّة، قال: كنّا عند عليٍّ رضي الله عنه، فسأله رجلٌ عن المهديّ، فقال عليٌّ رضي الله عنه: «**هيهات؛ ثمّ عقد بيدِهِ سبعاً؛ فقال: ذاكَ يخرجُ آخرَ الزَّمان، إذا قال الرَّجُل: اللهَ اللهَ قُتل. فيجمعُ الله تعالى قومَه؛ قَزَعٌ [قِطَع] كَقَزَعِ السّحاب، يؤلِّفُ اللهُ بين قلوبهم، لا يستوحشون إلى أحدٍ، ولا يفرحون بأحدٍ يدخل فيهم، على عدّةِ أصحاب بدر، لم يسبقهم الأوّلون، ولا يُدرِكُهم الآخرون، وعلى عدد جنود طالوت الّذين جاوزوا معه النّهر**».

هم الأمّةُ المعدودة

روى الكلينيّ في (روضة الكافي) مُسنداً عن الإمام الباقر عليه السلام، أنّه قال بشأن قوله تعالى: ﴿..أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ..﴾ البقرة:١٤٨، «**يعني أصحابَ القائم الثّلاثمائة والبضعة عشر رجلاً، وهم واللهِ الأمّة المعدودة، يجتمعون والله في ساعةٍ واحدةٍ قَزَعٌ كَقزعِ الخريف**».

يحبُّهم اللهُ ويحبُّونه

في (غيبة) النّعمانيّ مسنداً عن الإمام الصّادق عليه السلام، قال: «**إنّ صاحبَ هذا الأمر محفوظةٌ له أصحابُه، لو ذهبَ النّاسُ جميعاً أتى اللهُ له بأصحابه، وهم الّذين قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿..فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾** الأنعام:٨٩، **وهم الّذين قال اللهُ فيهم: ﴿.. فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ..﴾** المائدة:٥٤».

أهل الإخلاص

روى الشّيخ الصّدوق في (كمال الدّين) بسنده عن السّيّد الجليل عبد العظيم الحسنيّ، أنّه قال للإمام الجواد عليه السلام: إنّي لأَرجو أن تكون القائمَ من أهل بيت محمّد، الّذي يملأُ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظُلماً وجوراً، فقال عليه السّلام: «**يا أبا القاسم، ما منّا إلّا وهو قائمٌ بأمرِ الله عزَّ وجلَّ، وهادٍ إلى دين الله، ولكنَّ القائمَ الّذي يُطهِّر اللهُ عزَّ وجلَّ به الأرضَ من أهل الكفر والجحود، ويملؤها عدلاً وقسطاً، هو الّذي تخفى على النّاس ولادتُه ويغيبُ عنهم شخصُه ويَحرُم عليهم تسميتُه، وهو سَمِيُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكَنِيُّه، وهو الّذي تُطوى له الأرض، ويذلّ له كلّ صعب، [و] يجتمعُ إليه من أصحابه عدّة أهل بدر: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض "..." فإذا اجتَمَعتْ له هذه العدّة من أهل الإخلاص أظهرَ اللهُ أمرَه، فإذا كَمُلَ له العقد -وهو عشرة آلاف رجل- خرجَ بإذن الله عزَّ وجلَّ..**».

---

* نقلاً عن الموقع الإلكترونيّ لشبكة الإمام المهديّ عجل الله فرجه

أهلُ يقينٍ وعبادةٍ وولايةٍ، شعارهم «يا لثَارات الحسَين»

روى السّيّد عليّ بن عبد الحميد في كتاب (الغَيبة) عن الإمام الصّادق عليه السلام، قال:

«.. **رجالٌ لا ينامون اللّيل، لهم دَوِيٌّ في صلاتهم كدويِّ النّحل، يبيتون قياماً على أطرافهم ويُصبحون على خيولِهم، رُهبانٌ باللَّيل لُيوثٌ بالنَّهار، هم أطوَعُ له من الأَمَةِ لسيِّدها، كالمصابيح، كأنَّ قلوبَهم القناديل، وهم من خشيةِ الله مُشفقون، يدعون بالشَّهادة ويتمنّون أن يُقتلوا في سبيل الله، شعارهم: يا لِثَاراتِ الحُسَين. إذا ساروا يسيرُ الرُّعب أمامَهم مسيرةَ شهر، يمشون إلى المولى أرسالاً**، [أرسالاً أي جماعةً جماعة] **بهم ينصرُ اللهُ إمامَ الحقّ**».

أولو قوّةٍ ورُكنٍ شديدٍ

روى الصَّدوق في (كمال الدِّين) مسنداً عن الإمام الصّادق عليه السلام، قال: «**ما كان قولُ لوطٍ عليه السّلام لقومه: ﴿..لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾** هود:٨٠، **إلَّا تمنّياً لقوّة القائم عليه السّلام، ولا ذَكَرَ إلَّا شدّةَ أصحابه، وإنّ الرّجل منهم ليُعطى قوّة أربعين رجلاً، وإنّ قلبَه لأَشدُّ من زُبُرِ الحديد، ولو مرّوا بالجبال لقَلعوها، ولا يكفُّون سيوفَهم حتّى يرضى الله عزَّ وجلَّ**».

المتوسِّمون

ورد في (بحار الأنوار) أنّ الفضل بن شاذان روى عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**كأنّي أنظرُ إلى القائم وأصحابه في نجف الكوفة** ".." **وقد وصفَهم اللهُ تعالى بالتّوسّم في كتابه العزيز بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾** الحجر:٧٥».

يعصمُهم الله

روي الطّبرسيّ في (الاحتجاج) عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في حديثٍ أنّ أباه عليّاً عليه السّلام، قال: «**يَبعثُ اللهُ رجلاً في آخرِ الزَّمان، وكَلَبٍ من الدّهر** [أي شدّة]، **وجَهْلٍ من النّاس، ويؤيّده بملائكتهِ ويعصمُ أنصارَه**».

قضاة، حكّام، فقهاءُ لا يَشتبه عليهم شيءٌ

روى الشّيخ أبو جعفر الطّبريّ الإماميّ في كتاب (دلائل الإمامة) بسنده، عن الإمام الصّادق عليه السلام حديثاً طويلاً ذكر فيه خاصّة أصحاب المهديّ عجل الله فرجه، وفي نهاية الحديث سأل الرّاوي -وهو أبو بصير- الإمامَ قائلاً: «جُعِلتُ فداك، أَلَيسَ على الأرض يومئذٍ مؤمنٌ غيرهم؟ فقال عليه السّلام: **بلى ولكنّ هذه** [يعني عدّة أهل بدر من أصحابه]، **الّتي يُخرِجُ اللهُ فيها القائمَ، وهم: النّجباءُ والقضاةُ والحكّامُ والفقهاءُ في الدِّين، يمسحُ اللهُ على بطونِهم وظهورهم فلا يشتبهُ عليهم حكمٌ**».

التصاقُهم بالقرآن

في (نهج البلاغة) عن الإمام عليّ عليه السلام، قال في خطبةٍ يشير فيها إلى غَيبة الإمام المهديّ وإلى أصحابه عجّل الله تعالى فرجه: «.. **ثمّ لَيشحذنّ فيها قومٌ شحذَ القَيْنِ** [الحدّاد] **النَّصْلَ، تُجلى بالتّنزيل أبصارُهم ويُرمى بالتّفسير في مسامعهم، ويُغْبَقُونَ** [يُسقون] **كأسَ الحكمةِ بعد الصَّبُوح..**». [الصَّبُوحُ كلّ ما أُكل أو شرب صباحاً]

يحيطون بما بين الخافقَين

روى الشّيخ الصَّدوق في (كمال الدِّين) مسنداً عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «**كأنّي بأصحاب القائم عليه السّلام وقد أحاطوا بما بين الخافقَين، فليس من شيءٍ إلَّا وهو مطيعٌ لهم، حتّى سباعُ الأرض وسباعُ الطَّير، يطلبُ رضاهُم في كلّ شيءٍ، حتّى تفخرَ الأرضُ على الأرض، وتقول: مرَّ بي اليوم رجلٌ من أصحاب القائم عليه السّلام**».

هذه بعض الصّفات والمقامات الّتي ذُكرت لأصحاب الإمام المهديّ عجل الله فرجه، وذكرنا بعض المصادر النّاصّة عليها.

أذان بلال فوق الكعبة للمرّة الأولى
هكذا واجهه عُتاةُ قريش

السّيّد جعفر مرتضى العامليّ

كيف كان وقعُ أوّل أذانٍ أمَرَ به الرّسول الأعظم ﷺ على مشركي مكّة المكرمة عام ٨ للهجرة؟ في هذا النّصّ الّذي اخترناه من موسوعة السّيّد جعفر مرتضى العامليّ (الصّحيح من سيرة النّبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله) [ج ٢٢/ ص ٣١٤]، رواياتٌ توضح وقائع بعض ما جرى عقب فتح مكّة وتحطيم الأصنام المنصوبة داخل الكعبة وخارجها.

عن ابن عبّاس، ورواه عن بعض أهل العلم، وعن عُروة، وعن أبي سلمة، ويحيى بن عبد الرّحمن بن حاطب، وعن ابن أبي مليكة، ومحمّد بن عمر عن شيوخه: أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، لمّا حان وقتُ الظّهر أمر بلالاً أن يؤذّن بالظّهر يومئذٍ فوق الكعبة، ليغيظَ بذلك المشركين، وقريشٌ فوق رؤوس الجبال، وقد فرَّ جماعةٌ من وجوههم وتغيَّبوا.

(قال الواقديّ: خوفاً أن يُقتلوا، فمنهم مَن يطلب الأمان، ومنهم مَن قد أُومن).

وأبو سفيان بن حرب، وعتّاب -ولفظ ابن أبي شيبة: خالد بن أُسيد، والحارث بن هشام- جلوسٌ بفناء الكعبة.

فقال عتّاب -أو خالد بن أسيد: «لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون يسمع هذا، فيسمع ما يغيظُه».

وقال الحارث: «أما والله، لو أعلمُ أنَّه محقٌّ لاتَّبعتُه».

فقال أبو سفيان: «لا أقول شيئاً، لو تكلَّمْتُ لأخبرَتْ عنِّي هذه الحصا».

وقال بعضُ بني سعيد بن العاص: «لقد أكرمَ اللهُ سَعيداً إذ قبضَه قبل أن يرى هذا الأسودَ على ظهر الكعبة».

وقال الحكَمُ بنُ أبي العاص: «هذا والله الحدثُ العظيم، أن يصيحَ عبدُ بني جمح على بنيّة أبي طلحة». "..."

فأتى جبريلُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله فأخبرَه خبرَهُم، فخرج عليهم رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال: «**قد علمتُ الَّذي قلتُم**».

فقال الحارث وعتّاب: «نشهد أنَّك رسولُ الله، ما اطَّلعَ على هذا أحدٌ كان معنا، فنقول: أخبركَ».

وفي رواية: أنَّ الحارث بن هشام قال: «ما وَجَدَ محمّدٌ غيرَ هذا الغراب الأسود مؤذِّناً؟!» "..." إلى أن قال: فخرج عليهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله، فقال لهم: «**لقد علمْتُ الّذي قلتُم**». ثمَّ ذكر ذلك لهم، فقال: «**أمَّا أنت يا فلان فقد قلتَ كذا، وأمَّا أنت يا فلان فقد قلتَ كذا، وأمَّا أنت يا فلان فقد قلتَ كذا**». فقال أبو سفيان: «أمَّا أنا يا رسول الله فما قلتُ شيئاً»، فضحك رسول الله ﷺ. "..."

***

وعند الرّاونديّ: أنّه صلّى الله عليه وآله أَمَرَ بلالاً عند وقت صلاة الظّهر، فصعد على الكعبة، فقال عِكرمة: «أكره أن أسمع صوت أبي رباح ينهق على الكعبة». وحمدَ خالدُ بن أسيد اللهَ على أنَّ أبا عتاب توفّي ولم يرَ ذلك. وقال أبو سفيان: «لا أقول شيئاً، لو نطقتُ لظننتُ أنَّ هذه الجُدُر ستخبر به محمّداً». فبعث إليهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله، فأُتي بهم "..."

***

وفي نصٍّ آخر: أنّه لمّا بلغ بلالُ: «**أشهدُ أنَّ محمّداً رسول الله**» قالت جويريّة بنت أبي جهل: «قد لَعَمري رفعَ لكَ ذكرَك، أمّا الصّلاة فسنصلّي، [ولكن] واللهِ لا نحبّ مَن قتلَ الأحبّة أبداً! ولقد كان جاءَ أبي الّذي جاءَ محمّداً من النّبوّة فردَّها، ولم يُرِد خلاف قومه»!

***

قالوا أيضاً: دخل النّبيّ صلّى الله عليه وآله مكّة، وكان وقت الظّهر، فأمر بلالاً فصعد على ظهر الكعبة فأذّن، فما بقي صنمٌ بمكّة إلّا سقطَ على وجهه، فلمّا سمعَ وجوه قريش الأذان، قال بعضهم في نفسه: «الدُّخول في بطن الأرض خيرٌ من سُماع هذا».

من أذكارِ سيِّد النّبيّين

مختاراتٌ من سُنَنِه صلّى اللّه عليه وآله

العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ رحمه الله

«إنّي لَأَكْرَهُ للرَّجُلِ أن يموتَ، وقد بَقِيَ خِلَّةٌ من خِلال رسول الله صلَّى الله عليه وآله لم يأتِ بها»

الإمام الصّادق عليه السلام.

معلومٌ أنّ التّأدّب بآداب رسول الله صلى الله عليه وآله، والتّخلّق بأخلاقه، والاتّصاف بظاهر سنّته وباطنها هو الكمالُ الأقصى والغاية القصوى؛ وفيما يلي مجموعة من سُننه صلّى الله عليه وآله مقتطفة من كتاب (سُنن النّبيّ صلّى الله عليه وآله) للعلّامة الطّباطبائيّ صاحب (تفسير الميزان).

* قال أبو عبد الله الصّادق عليه السلام: «**ألا أُخبركُم بما كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله يقول إذا أوى إلى فراشه؟** قلت [الرّاوي]: بلى: قال: **كان صلَّى الله عليه وآله يقرأُ آيةَ (الكرسيّ)، ويقول: بِسْمِ اللهِ، آمَنْتُ بِاللهِ وكَفَرْتُ بِالطَّاغُوتِ، اَللّٰهُمَّ احْفَظْنِي فِي مَنَامِي وفِي يَقَظَتِي**».

(الكافي، الكليني)

* عن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى الرّضا عليهم السلام [الإمام الهادي عليه السلام] قال: «**لنا أهلُ البيت عند نومنا عشرُ خصال: الطّهارة، وتوسُّدُ اليَمين، وتسبيحُ الله ثلاثاً وثلاثين، وتحميدُه ثلاثاً وثلاثين، وتكبيرُه أربعاً وثلاثين، ونستقبلُ القبلة بوجوهنا، ونقرأُ (فاتحة) الكتاب، وآيةَ (الكرسيّ) و﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ آل عمران:١٨، فمن فعلَ ذلك فقد أخذَ بحظِّه من ليلتِه**».

(فلاح السّائل، ابن طاوس)

[علّق السّيّد ابن طاوس بأنّ الرّاوي عن الإمام الهادي عليه السلام ذكر عشر خصال، ثمّ عدّد تسعاً، فاحتمل أنّه سها عن ذكر سورة القدر أو الإخلاص، مشيراً إلى أنّ المرويّ في خصالهم صلوات الله عليهم عند النّوم أكثر من تسع، كما هو محقّقٌ في محلّه]

* قال الصّادق عليه السلام: «**عليكم بصلاة اللّيل، فانّها سنّةُ نبيّكم**».

(تهذيب الأحكام، الطّوسيّ)

* وعنه عليه السّلام: «**ما استيقظَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من نومٍ إلّا خَرَّ لله عزّ وجلّ ساجداً**"..." **وإذا قام للصّلاة قال: (الحمدُ للهِ نورِ السّماوات والأرض، والحمدُ للهِ قيُّومِ السّماواتِ والأرض، والحمدُ للهِ ربِّ السّماوات والأرض ومَن فيهنّ، أنت الحقُّ وقولُك الحقُّ، ولقاؤك الحقُّ، والجنّةُ حقّ، والنّارُ حقّ، والسّاعةُ حقّ، اَللّٰهمّ لكَ أسلمْتُ وبكَ آمنتُ، وعليكَ توكَّلتُ وإليك أُنيبُ [أَنَبْتُ]، وبكَ خاصمتُ وإليكَ حاكمتُ، فاغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ وما أسررْتُ وما أعلنْتُ، أنت إلهي لا إلهَ إلّا أنت)، ثمّ يَستاكُ قبلَ الوضوء**».

(مكارم الأخلاق، الطّبرسيّ)

***

* «..كان رسول الله صلى الله عليه وآله يَحمدُ الله بين كلّ لقمتَين».

(بحار الأنوار، المجلسيّ)

* «..كان النّبيّ صلى الله عليه وآله، إذا أكل بعضَ اللّقمة قال: **اَللّٰهمَّ لك الحمدُ، أطعمتَ وسقيتَ وأرويتَ، فلك الحمدُ غير مكفورٍ، ولا مودَّعٍ، ولا مستغنًى عنك**».

(إقبال الأعمال، ابن طاوس)

* «..كان صلَّى الله عليه وآله إذا شربَ الماء قال: **الحمدُ للهِ الَّذي لم يجعَله أُجاجاً بذنوبنا، وجعله عَذْباً فُراتاً بنعمتِه**».

(إرشاد القلوب، الدّيلميّ)

***

* عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله إذا عزّى قال: آجَرَكم اللهُ ورحِمَكُم، وإذا هنّأَ، قال: بارَكَ الله لكم وبارَكَ الله عليكم**».

(مُسكِّن الفؤاد، الشّهيد الثّاني)

* «..عنه صلَّى الله عليه وآله أنّه كان إذا أصيب بمصيبةٍ، قام فتوضأ وصلَّى ركعتين، وقال: **اَللّٰهمّ قد فعلتُ ما أمرتَنا فأنجِز لنا ما وعدْتَنا**».

(مُسكِّن الفؤاد، الشّهيد الثّاني)

* «كان النّبيّ صلى الله عليه وآله إذا حزنه أمرٌ استعانَ بالصَّوم والصّلاة».

(مجمع البيان، الطّبرسيّ)

مع شيخ الفقهاء العارفين، المرجع الدّينيّ الشّيخ محمّد تقي بهجت دام ظله:

* الحاجةُ إلى المحتاج، تكشفُ عن شدّتها إلى المُحتاج إليه

* على جاهل فضائلِ المعصومين التّعلُّم، وعلى العلماء التّعليم

إعداد: أسرة التّحرير

قبل عشرين عاماً، وجّه نفرٌ من المؤمنين مجموعة أسئلة عقائديّة إلى شيخ الفقهاء العارفين، المرجع الدّينيّ الشّيخ محمّد تقي بهجت دام ظله، راجين إيّاه الإجابةَ عليها، وعرضَ الرّأي العلميّ السّليم الذي تتبنّاه المرجعيّة والحوزة العلميّة المباركة، بما هي «الحصن المنيع المشمول برعاية مولانا صاحب العصر والزّمان صلوات الله عليه»، دَرْءاً لفتنة «الخطوط الالتقاطيّة» الّتي نشأت على هامش حالاتٍ إسلاميّة، فشنّت هجمة «فكريّة» منظّمة -ربّما عن غير قصدٍ- لتشويه الفكر الإسلاميّ الأصيل، وهي تحسبُ أنّها تُحسنُ صنعاً. ما يلي، مجموعة مختارة من هذه الأسئلة، وقد وُجّهت لسماحته على دفعتَين، فأجاب عنها بما يروي غليل السّائل، ويدحض «حجّة» المعاند.

*** الفقهاء العدول الجامعون لشرائط الفتوى والتّقليد الّذين هم الأمناء على فقه آل محمّد صلى الله عليه وآله، هل هم أمناء على العقائد أيضاً؟ هل يصحّ أن يقول البعض: «إنّهم يؤيّدون الخرافات والأساطير ويتبنّونها مراعاةً للعوامّ، خوفاً منهم أو حرصاً على استمرار الاتّصال بهم»؟**

ج: الاعتقاد بالعقائد الخمسة، الّتي بعضها من ضروريّات الدّين، وبعضها من ضروريّات المذهب الحقّ، شرطٌ للائتمام والمراجعة إلى العلماء، فلا يراجع إلى المشكوك منه ذلك.

*** ما هو حدُّ الغلوّ؟ وهل تصحّ عقيدة المؤمن إذا رأى أنّ للأئمّة صلوات الله عليهم مقاماً لا يبلغه ملكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مُرسل؟ أو إذا اعتقد بالمضامين الّتي جاءت في الزّيارة الجامعة الكبيرة؟ وهل يشمل اللّعن في الآية: ﴿..يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ..﴾ المائدة:٦٤، القائلينَ إنّ الله فوّض إلى الأئمّة عليهم السّلام الأحكام الشّرعيّة وشؤون الخَلق والرّزق؟..**

ج: اللّازم علينا الاعتقاد بالعقائد الخمسة، الّتي هي من ضروريّات الدّين أو المذهب الحقّ، وفي غيرها الاعتقاد الاجماليّ، بأن نعتقد فيهم صلوات الله عليهم ما يعتقدونه في أنفسهم عليهم السلام. وإذا صحّ لواحدٍ تفصيل شيءٍ من ذلك، فلا يتعدّاه اعتقاداً وعملاً والله الموفّق.

وقد صحَّ عنهم عليهم السلام: «**نحن النُّمْرُقَةُ الوسطى، بها يلحقُ التّالي، وإليها يرجعُ الغالي**»، وقد صحَّ عنهم مضمون ما نُسِب إليهم صلوات الله عليهم: «**نزّلونا عن الرّبوبيّة**» وهي أوّل الأوائل وغايةُ الغايات «**وقُولوا فينا مَا شئتُم**»، يعني ما يصدّقه العقلُ والنّقل المسلّم. فعلينا التّصديق لهم في ما علمنا، والتّسليم إليهم في ما لم نعلم، والاعتقاد الإجماليّ في الثّاني، والتّفصيليّ في الأوّل. والله هو الهادي.

الولاية التّكوينيّة، والعِصمة

*** ما هي الولاية التّكوينيّة المدّعاة لأهل البيت عليهم السلام، وما الفرق بينها وبين الولاية التّشريعيّة؟ وهل يلزم من القول بالولاية التّكوينيّة شبهة التّعطيل؟ ولِمَن هذه الولاية ثابتة؟ وهل تعمّ غير المعصوم؟ وهل يمكن لَمن هي ثابتة له أن يتصرّف في قلوب البشر؟ وإذا أمكنه هل يقع منه؟ ومتى يصحّ وقوعه؟ وهل هناك منافاة بين إعمال هذه الولاية كذلك، وبين كون الإنسان مختاراً أم لا؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿سبحان ربّي هل كنتُ إلّا بشراً رسولاً﴾؟**

ج: لا مانع من وساطة مثل جبرائيل وميكائيل في أمورٍ خاصّة في عالم الأسباب، فكذا الأنبياء والأوصياء في جريان الأمور بإذنهم وإمضائهم ليلة القدر ونحو ذلك. ولا مانع منه ثبوتاً، والدّليل عليه قائمٌ عند أهله إثباتاً. والولاية التّشريعيّة مربوطةٌ بالأحكام الشّرعيّة الجعليّة، والتّكوينيّة مربوطةٌ بسائر المقدّرات الخارجيّة غير الجعليّة. ولا يلزم التّعطيل كما في وساطة الملائكة. وثبوت الولاية الكاملة الكلّيّة لغير المعصوم ممنوعة عقلاً. وأمّا كون الإنسان مختاراً، فلا ينافي أقدريّة بعض أفراد البشر بالنّسبة إلى البعض. وأمّا فعليّة القدرة فلا كلام فيها للمعصوم، وأمّا غيره فالله تعالى غالب، وله أن ينصر المظلوم لمصلحة، وأن لا ينصر لمصلحةٍ علمَ بها، كما وقع ذلك كثيراً.

*** هل إنَّ المعصومين عليهم السلام قد عصمَهم الله تعالى نتيجةً لجهدهم وجهادهم في سبيل الله، من باب ﴿والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا﴾؟ أم أنّ الله تعالى عَصَمَهم ابتداءً؟ وعلى الاحتمال الأوّل، هل يحكم عليهم بالعصمة من أوّل أمرهم حتّى في فترة المجاهدة هذه؟ وهل يكون المعلول قبل علّته؟ وعلى الاحتمال الثّاني، كيف تدفعون شبهة الجبر في المقام؟ وأيُّ فضلٍ لِمَن عصمتُه من الله بدون اكتساب؟ وما وجهُ تخصيصه بها دون غيره من الأنام؟ أم أنّ هناك احتمالاً آخر ترونه في المقام؟ أفيدونا مأجورين.**

ج: إعطاء ملكة العصمة للبعض منوطٌ بالمصلحة المحقّقة لديه تعالى، ومنها ما يعلمُه من الوفاء بالعهود السّابقة في بعض الأفراد دون بعض. وليست العصمةُ مانعةً من الاختيار، بل هي ملَكةٌ كاملةٌ من العدالة، يَستقبحُ معها صاحبُها العصيان، ويراه كأفعال المجانين، وليست غير اختياريّة من العقلاء.

*** هل يصحّ القول في غير الأنبياء والأئمّة عليهم السّلام أنّه معصوم، كالسّيّدة الحوراء زينب عليها السلام، وأبي الفضل العبّاس عليه السلام، وهل للعصمة مراتب؟**

ج: العصمة شرطُ المنصب في الأنبياء والأوصياء، فهي واجبةٌ فيهم، لا أنّها ممتنعة في غيرهم. والشّاهد أنّ كلّ أحدٍ مكلّفٌ بترك المعاصي كلّها في كلّ حالٍ وزمانٍ إلى آخر عمره، ولازم قسم منه العصمة، فهل يكون الكلّ مكلّفاً بالمحال على غير الأنبياء والأوصياء؟ هذا وقد وُجد دعوى التّرك المطلَق للمعاصي في جماعةٍ من الصّالحين الصّادقين من أهل البيت، وسائر الصّالحين الكاملين.

*** يرى البعضُ أنَّ معرفة منزلة الأئمّة عليهم السلام ومقاماتهم، ومعجزاتهم، وأفضليّتهم على الخلق أجمعين، ليس بالأمر المهمّ، وأنّه نوعٌ من التّرف الفكريّ، لأنّ ما يجب الاهتمام به هو تطبيق تعاليمهم، والعمل بإرشاداتهم، والاهتمام بالجانب الأوّل يشغل ويؤثّر سلباً في الجانب الثّاني، فما هو رأيكم؟**

ج: التّرقّي في معرفة الأئمّة بالطُّرق المعلومة، يستلزم التّرقّي في معرفة الله تعالى، وهو يُوجد الازدياد في الإيمان والعمل لا النّقص، لكنّه فوق المعارف الواجبة على الكلّ، وهو من الكمالات والفضائل، وليس من شروط الإسلام أو الإيمان، بل من مكمّلاتها.

*** هناك مَن يُنكِر فضائل الزّهراء عليها السلام ويقول: «إنّها امرأةٌ عاديّة مثل سائر النّساء، غاية الأمر أنّها جاهدت وعبدت فبلغَت مقاماً عالياً، يمكن لغيرها من النّساء أن تبلغه إذا ما مضت على الطّريق**

نفسه، وتوافرت لها الظّروف نفسها»، ويقول: «لنجرّب أن نجد أكثر من فاطمة في أكثر من موقع»! ويشكّك في مصائبها وما جرى عليها من القوم من كسر الضّلع، وإسقاط الجنين، وكونها استُشهدت إثر تلك الجرائم الفظيعة.. ما رأيكم في ذلك؟

ج: مَن ينكر فضائل الأربعة عشر المعصومين صلوات الله عليهم، أو تفضيلهم على الكلّ، فإنْ كان معانداً متعمّداً في إنكاره، فهو ناصبٌ وخارجٌ عن الدّين، وإن كان جاهلاً غير قاصر فعليه التّعلّم، وعلى العلماء التّعليم. ومَن أقرَّ بالشّهادتَين ولم يُعلم تعمُّده خلافهما، فهو بحكم المسلمين.

الشّهادة الثّالثة والرّجعة

*** ما حكم الشّهادة الثّالثة في كلٍّ من الأذان والإقامة؟ وما حكم العمد إلى تركها، خصوصاً على المآذن العامّة، مع الأمن من الضّرر، وعدم وجود ما يدعو إلى التّقيّة؟**

ج: الشّهادة الثّالثة ليست من الأجزاء بل هي من المستحبّات العامّة المؤكّدة في الموارد المناسبة الّتي هما من أوضحها، ولا يجوز قصد الجزئيّة. وأمّا المتعمّد إلى التّرك بعد اعتياد الفعل في المآذن العامّة، أو مع غلَبة الشّيعة الغالبة، أو في مواضعهم مع عدم التّقيّة من الجاهلين، فهو نقصٌ بعد الكمال، بل يُنتزع منه بعض العناوين المذمومة، بل القبيحة مع اعتياد التّرك. وأيضاً، إنّ قول (**إنَّ عليّاً عليه السّلام خليفة رسول الله صلّى الله عليه وآله بلا فصل**) مثل الشّهادة بالولاية. وكذا قول (**إنّ آل محمّدٍ خيرُ البريّة**)، ونحوها.

*** ما هو قولكم في الرّجعة؟ وهل يصحّ عدّها من أصول المذهب؟ وما هو حُكم الجاهل أو المنكر لها؟**

ج: الرّجعة بعد الموت وظهور الإمام المهديّ عليه السلام ثابتةٌ محقّقةٌ عند الإماميّة، ولا يُعتنى بمخالفة غير المقتبسين من أنوار أهل البيت عليهم السلام، الّذين هم أدرى بما في البيت، وقد أمرنا النّبيّ صلّى الله عليه وآله بالتّمسّك بحبلهم.

ج: الرّجعة عندنا ثابتة، وإنكار الثّابت إذا لم يكن من الضّروريّات لا يوجب الكفر، وإنْ أوجب الخروج عن عقائد أهل الحقّ، أعني الشّيعة الإماميّة.

الزّيارة والتّوسُّل

*** ما هو الوجهُ في استثناء قبور الأنبياء والأوصياء والصّلحاء والعلماء من مكروهات الدّفن كتجديد القبر والبناء عليه واتّخاذه مسجداً؟ وما هو رأيكم في الزّخارف والتّزيينات الموجودة في هذه المقامات؟**

ج: الكراهة فيما ثبتت تزول بالمرجّحات، بل ربّما تتبدّل إلى الوجوب، كما إذا لزم من ترك التّجديد أو التّجصيص انكشافُ المؤمن وانهتاكه. والألزم في إثبات الكراهة ونفيها، في الموارد المخصوصة، الاطّلاع على الأحكام بمراجعة كتب الفتوى للمقلّد، وكتب الاستدلال والأدلّة للمجتهد. وأمّا السّيرة المستمرّة في البناء على قبور الأنبياء والأوصياء، والأقرب فالأقرب، وما فيه من المصالح، الّتي منها تعظيم الشّعائر، فلا ينبغي إنكارُها إلّا من غير مطّلع أو غير المؤمن بالمعنى الأخصّ، بل الأعمّ أيضاً. والله الهادي.

*** هل يجوز للمكلَّف أن يزور الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام بأيّ شيءٍ يبدو له، كما جاز الدُّعاء كذلك؟ ولو صحَّ ذلك فهل له فضيلة الزّيارات المنصوصة؟ أو أنّه يلزم التّقيُّد بالرّوايات المأثورة عنهم عليهم السّلام الواردة في هذا الشّأن؟**

ج: يجوز الزّيارة بما جرى على اللّسان، ووافق القلب، مع الصّدق والصّحّة، وإن كان الأحوط الأَولى عدم التّعدّي عن المأثورات، فإنّهم أعرف بحقِّهم.

*** كيف صحَّ في الدُّعاء أن يُقال (بحقّ محمّدٍ وآلِ محمّدٍ)، وهل أنَّ لأحدٍ حقّاً على الله تعالى؟ وما هو؟ وكيف استحقَّه؟**

ج: حقُّهم عليهم السّلام في تفضّلات الله تعالى بجعلٍ منه، كما جعل استحقاق الجنّة لِمَن أطاعه، بل غيرها في الدّنيا أيضاً، ﴿.. وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ..﴾ الطّلاق:٢-٣. فحيث إنّهم عليهم السّلام رضوا بإفناء النّفس وما لها لله تعالى، فجعْل الشّفاعة المطلقة لهم في جميع الأمور الممكنة لا مانع منه ثبوتاً، والدّليل قائمٌ عند أهله إثباتاً، وكذلك سائر الحقوق الّتي جعلها اللهُ لهم، وثبوت ذلك في الأدعية غير منكَر، والتّجنّب منه في غير محلّه، ومن زيادة الفرع على الأصل.

*** هل لمن يخاطب المعصوم ويطلب منه حاجةً ما، أن يخاطبه بالتّشفّع له إلى الله تعالى في طلبها وتحقيقها فقط، وليس له أن يطلب منه -وهو ميت- أن يقضي له حاجته؟ أم أنَّ الأمر ليس كذلك؟ وإذا جاز الأمران، فأيّ الاحتمالين أقرب إلى الرّجحان؟**

ج: إذا كان المقصود من طلب الحاجة الاستشفاع، أو العمل بإذنه تعالى، فلا فرق في التّعبير عنه بقوله: (افعل) أو (اشفع).

*** هل يصحّ التّوسّل بغير الله تعالى ما دام الإنسان قادراً على التّوسّل به تعالى؟ وما الغرض أو الفائدة المترتّبة على ذلك؟**

ج: نعم يصحّ، وذلك لإظهار مقام الشّفيع عند الله وزيادة قربه منه تعالى، وأيضاً فإنَّ الحاجة إلى المحتاج تكشف عن شدّة الحاجة إلى المحتاج إليه، وهو الله تعالى.

*** ما مستند دعاء التّوسّل المعروف، الّذي يُقرأ في ليلة الأربعاء عادةً، وما مدرك استحبابه؟ هل هو نصٌّ خاصّ أم عامّ؟ وما وجه التّخصيص بهذه اللّيلة دون غيرها؟ وهل صحيح ما قيل أو يقال إنّ هذا الدّعاء من إنشاء المحقّق نصير الدّين الطّوسيّ أعلى الله مقامه الشّريف، أو غيره من العلماء؟**

ج: وقت التّوسّل وقت الدّعاء، ووقته الاحتياج، وتذكّر الاحتياج، وبعضُ الأزمنة والأمكنة أولى في طلب الحاجة والتّوسّل. ودعاء التّوسّل من ما أُثر عن المعصومين، ومنه ما أنشأه غيرهم، وللدّاعي أن يدعو بما شاء، ويتوسّل بما شاء، مع الصّحّة، وإن كانت تبعيّة المأثور أولى.

تأويلُ القرآن الكريم

*** هل للقرآن بطن؟ وهل الرّوايات الواردة في ذلك صحيحة معوَّل عليها؟ وما هو معنى البطن؟ وهل كلُّ شيءٍ ليس بظاهر يعدّ من الباطن؟ وأيضاً ما المعيار في عدّ الظّاهر ظاهراً، إذ قد يظهر لواحدٍ ولا يكون كذلك لآخر؟ وهل يجوز تفسير القرآن بالبطن؟ ولِمَن يجوز ذلك؟ وهل يعدُّ هذا من التّفسير بالرّأي؟**

ج: أمّا أنّ للقرآن تأويلاً، فهو منصوصٌ في القرآن، وأنّه مخصوصٌ بالرّاسخين في العلم، وأمّا الظّهور المعلوم بالوضع، أو بالقرائن الّتي يطّلع عليها كلّ مجتهد متخصّص، فهو مختلف باختلاف أنظار المجتهدين وأفهامهم. وأمّا البطن والتّأويل، فيختصّ بالأوحديّ الرّاسخ في العلم، وهم على اختلاف المراتب. والمختصّ بالنّبيّ والوصيّ معرفة كلّ القرآن ظاهراً وباطناً، وهذا معلومٌ فيهما. فمن التّأويل ما يطّلع عليه الرّاسخون بمقدّمات عديدة، دقيقة عالية، يختصّ فهمها بهم، وبمَن يعلّمونه؛ ومنه معرفة النّزول في جميع الآيات، والمحكم والمتشابه، والعام والخاصّ، والقرينة و[ذو القرينة] في جميع القرآن. وليس لغيرهم دعوى هذه المعرفة الكاملة، بل القرآن دالٌّ على أنّه تبيانٌ لكلّ شيءٍ، والكلّ يعترفون بأنّهم لا يرجون جميع ما يحتاجون إلى معرفته من القرآن، غير مَن ذكرناه من النّبيّ والأوصياء سلام الله عليهم.

خاتميّةُ النّبيّ الأعظم ﷺ
عالميّة الإسلام وخلودُه

د. عبد الله نصري

إنَّ الدِّينَ الخاتم لا بدَّ من أن يكون خالداً، فالدِّينُ العالميُّ والخالد ينبغي أن يستوفيَ خصائص معيَّنة، منها تلبية جميع متطلّبات الإنسان في مختلف عصوره.

ولكي ندخل إلى البحث في خلود الدِّين علينا أن نتعرَّف إلى أسبابه أوَّلاً، تلك الأسباب الّتي تجعل هذا الدِّين عامّاً لأفراد الجنس البشريّ كافّة، وليس خاصّاً بقوم أو شعب معيَّنَين. إنَّ القولَ بخلود الدِّين يعني أنَّ الإسلامَ لم يأتِ للعرب وحدهم أو لأولئك الّذين عاصروا نزول القرآن. ثمَّ إنَّ عالميّةَ الإسلام وخلوده دليلان أيضاً على خاتميّة نبيِّه، إذ لو بُعِث دينٌ من بعده لم يبقَ ديناً خاتماً، وانتهت صلاحيّة الالتزام بفرائضه والعمل بتعاليمه.

في هذه المقالة إضاءةٌ على مفهوم الخاتميّة والخلود للباحث والمفكِّر الإسلاميّ الإيرانيّ الدّكتور عبد الله نصري.

لأجل إثباتِ عالميّة الإسلام وخلودِه علينا أنْ نعتمد، في استدلالِنا، على الكتاب الكريم، حيث نستطيع تصنيف الآيات المرتبطة بهذا البحث إلى عدّة طوائف على النّحو التالي:

١ – ما يُصرِّح منها بكَون الإسلام جاء لهداية النّاس جميعاً. وهذه الآيات تؤكِّد أنَّ القرآنَ والنّبيَّ قد بُعِثا للعالمين: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ التكوير:٢٧. ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان:١.

٢– آياتٌ تعمِّمُ الخطابَ للنّاس جميعاً، ولا تَخصُّه بقومٍ معيَّنين أو نفرٍ محدَّد. ولو كان القرآنُ نازلاً لِقومٍ معيَّنين، لَلَزِمَ أنْ يوجَّهَ الخطابَ إليهم وحدهم، ولا يوسِّع دائرته بالشّمول الّذي يستعمله. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا..﴾ الأعراف:١٥٨. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ..﴾ يونس:١٠٨.

٣– آياتٌ تتحدَّث عن عموميّة رسالةِ النّبيِّ وشمولِها، ويؤكِّد القرآنُ في بعض آياته أنَّه إنذارٌ لكلِّ مَن بَلَغَه. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا..﴾ سبأ:٢٨. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء:١٠٧. ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ..﴾ الأنعام:١٩.

٤– الآيات الّتي تتحدّث عن ظهورِ الإسلام على سائرِ الأديان. أي أنَّ الإسلام سيكونُ الغالب لها والمُهيمن عليها جميعاً. ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ التّوبة:٣٣، الفتح:٢٨، الصّف:٩. ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ..﴾ المائدة:٤٨.

وعلاوة على هذا الكمّ من آياتِ الكتابِ العزيز الدالّة على عالميّة الإسلام، هناك الشّموليّة الّتي تميَّزت بها أحكام الشّريعة الإسلاميّة، إذ لو كانت أحكامُ الشّريعة خاصّة بقومٍ وشعبٍ معيَّنين لَمَا وجّه الخطاب فيها للجميع، ولَوَرَد التّنويهُ باختصاصها بقومٍ أو فئةٍ محدودةٍ، ولم يحدث ذلك أبداً، ففي الحالات المختصَّة بفئةٍ معيّنةٍ كان الحكمُ فيها يقيَّدُ بذكرِهم، كَحُكمِ الجزْية المقرَّر على أهل الكتاب.

وقد حاول بعضُهم التّشكيكَ في عموميّة الرّسالة بالاستناد إلى جملةٍ من الأدلّة، أهمُّها:

١- ورود الإشارة، في بعض الآيات، إلى اختصاص دعوة النّبيّ بذَوي قُرباه وقومه: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا..﴾ الأنعام:٩٢. ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء:٢١٤.

وللجواب على هذا الإشكال، ينبغي القول: إنّ هذه الآيات نزلت في أوّل دعوةِ النّبيّ، حيث كان من الطّبيعيّ أنْ يبدأَ النّبيُّ دعوتَه بذَوِي قُرباه وقومِه، ثمّ يوسّعها مع مرور الوقت لِتَشملَ النّاسَ كافّة. والتّاريخُ شاهدٌ على أنّ النّبيَّ بقيَ مدّةً من الزّمن مُقتصراً في دعوتِه على ذَوي قُرباه ومُقَرّبيه، لكنّه صلّى الله عليه وآله، ما إنْ واتَتْهُ الظُّروف حتّى شَرَعَ بتعميمِها وتوسيعِ دائرتِها.

٢- تأكيدُ بعض الآيات أنّ النّبيَّ مأمورٌ بتوجيه الخطاب لِنَمَطٍ محدودٍ من النّاس، وهم أولئك الّذين يعيشون الغفلة أو العناد، أو الّذين لم يُبعَث فيهم نبيّ. ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ يس:٦. ﴿.. بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ..﴾ السجدة:٣.

> **خطاب القرآن الكريم خطابٌ عالميّ، وأحكام الشّريعة شموليّة لا تختصّ بقومٍ أو زمنٍ محدّدَين.**

لكنَّ الآيات المتقدِّمة لم تَقصد تَضييق نطاق دعوة النّبيّ، لأنَّ نزولَ بعض الآيات في شأن ظروف ومواقف وأحداث خاصّة، ومخاطبتها لنمطٍ معينٍ بذلك الظّرف أو الموقف أو الحدث، لا يعني اقتصارُ الهدايةِ على هذا النَّمط أو الشّريحة من النّاس، وهذا هو شأنُ آياتِ الإنذار لا شكّ.

٣- تأكيدُ عددٍ من الآيات ثلاثةَ مقاييسٍ لِسعادةِ الإنسان: الإيمان بالله، والإيمان بالآخرة، والعمل الصّالح، من دون التّطرُّق إلى ضرورة التزام الإسلام بوصفه ديناً خاتماً وعالمياً، فللنّاس أن يختاروا ما شاؤوا من الأديان، شريطة أن يعملوا الصّالحات ويؤمنوا بالله واليوم الآخِر. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ المائدة:٦٩. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ الحجّ:١٧.

غير أنَّ هذه الآيات وأمثالها نزلت في مقام الرّدّ على مواقف اليهود والنّصارى وسواها من الدّيانات، إذ كان كلٌّ منهم يعتقدُ بأنّ الجنّة وقفٌ له ولا مكانَ لِغيرِه فيها. فأجابهم القرآن: إنَّ معيارَ الفوزِ ليس مجرّد الانتساب إلى الدِّين، بل لا بدَّ من أنْ يكونَ ذلك مشفوعاً بالتزامٍ عمليٍّ بالدّين، نابعٍ من الإيمانِ بالله واليومِ الآخِر، وعلى المؤمن بهذه الأديان أنْ يعلمَ أنَّ المناطَ الأخير هو الدِّينُ الخاتم. فالقرآنُ لم يكُن في صدَدِ إقرارِ الأديان كافّة، إنّما أراد تثبيتَ معايير الإيمان الأساسيّة، وعلى مَن يؤمنُ بالله أنْ يؤمنَ بالأنبياءِ وكُتُبِهم، لا سيَّما النّبيّ الخاتم صلّى الله عليه وآله، والقرآن الّذي بُعِث به، وأنْ يَستقصيَ مصادرَ سعادتِه في دِينه الّذي جاء به.

خصائص الدِّين العامّ الخالد

يتميَّزُ الدِّينُ العامُّ الخالدُ بخصائص كثيرة، منها:

١- **الاهتمام بحقيقة الإنسان**: فالدِّين الشّامل ينبغي له أنْ تتوفَّر فيه معرفة عميقة بحقيقة الإنسان، أي لا بدَّ من وجودِ إحاطةٍ في دين مثل هذا بالإنسان بجميع أبعاده، أي أنْ:

- يتحدَّث عن سرِّ وجود الإنسان.
- يُبيِّن حقيقةَ الإنسان بنَحوٍ دقيق.
- يبيِّن موقعَ الإنسان في عالَم الوجود.
- يقدِّم للإنسان عواملَ تكامُله وعناصرَ هذا التّكامل.
- يُشخِّص عقبات مسيرة الإنسان التّكامليّة.
- يحدِّد متطلّبات الإنسان وسُبُلَ تلبيتِها.
- يحدِّد أساليبَ نضجِ الإنسان وسُبُله.
- يعطي تصوُّراً وافياً في شأن العلاقات الأربع، وهي: علاقةُ الإنسان بنفسِه، وبربِّه، وبالكَونِ، وبالآخرين.
- يؤشِّر على السُّنن الإلهيّة الّتي تخضع لها حياة الإنسان الفرديّة والاجتماعيّة.

٢- **الانسجام مع الفطرة**: فالدِّينُ الّذي يوجّه خطابَه للإنسان، في أيِّ عصرٍ وُجِد، لا بدَّ من أنْ يكونَ مُتطابقاً مع الفطرة، لأنَّ الفطرةَ تُمثِّل البُعدَ الثّابت في حياة الإنسان، والقاسمَ المُشترَك بين بَني البشر، حاضراً وغابراً، والإنسانُ إنسانٌ بفطرته، وهي أساسُ حاجةِ الإنسان إلى أحكامٍ خالدةٍ وثابتةٍ.

والإسلامُ دينُ الفطرة، بمعنى أنَّ جميعَ تعاليمِه جاءت منسجمة مع فطرةِ الإنسان، وهذا هو سرٌّ من أسرارِ خلودِه، يقول تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الرّوم:٣٠.

فاشتراكُ النّاسِ في طبيعةٍ واحدةٍ، يُشكِّلُ أساساً مهمّاً للاعتراف بوجود دينٍ خالدٍ، لأنَّ ذلك يجعل من الممكنِ تقديم تعاليم وأحكام عامّة لجميع البشر طوال التّاريخ. فلو أنَّ أحداً رفض هذا المبدأ، لعجز عن الدِّفاع دفاعاً منطقيّاً عن مبادئ الدِّين الثّابتة.

٣- **التّعاليم المتكاملة**: يتوجَّب على الدّين العامّ والخالد أن يكون متكاملاً قياساً بأهدافه؛ فالدّين الّذي يحمل هدفاً بالمستوى الفرديّ، ينبغي أن تكون تعاليمُه مستوفية لذلك الهدف، أمّا الدّين الّذي يَتصدَّى لتلبية أهداف الإنسان على المستوى الاجتماعيّ أيضاً، فعليه أن يقدّم للبشريّة أحكاماً وتعاليم تستوعب الحياة الاجتماعيّة، وتَفي بمتطلّباتها.

والدِّينُ الأمثل، من بين الأديان، هو ذلك الدّين الّذي يسوق الإنسان باتّجاه غاية وجوده، المتمثّلة في تكامله ورقيّه، وذلك من خلال رفده ببرامج تصل به إلى غايته.

وقد طرح الإسلام نفسه بوصفه الدّين الّذي يحيي النّاس ويَهب لهم سعادتهم في الدّنيا وفي الآخرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال:٢٤.

٤- **المرونة**: كما ينبغي للدّين الخالد أيضاً أن يتمتّع بالمرونة، ليكون قادراً على مواكبة متطلّبات جميع العصور، لأنَّ الدِّين الّذي لا يُبيِّن سوى عددٍ من الأحكام والتّعاليم الثّابتة، ولا يخطِّط لمتغيِّرات العهود المتعاقبة من حياة الإنسانيّة، فذلك دينٌ محلّيٌّ لا قدرةَ له على البقاء، بل هو خاصٌّ بظرف نزوله، ومحدودٌ بعصر ظهوره. كذلك فإنَّ الدّين الفاقد لمبدأٍ ثابتٍ لا حظَّ له من الخلود، لأنّه سرعان ما يفقد أصالته مع توالي القرون وتتابُع العصور.

٥- **العقلانيّة**: فلا بدَّ من أن تقوم تعاليم الدّين العامّ على أساس العقل والمنطق، فليس في تعاليمه وأحكامه ما هو غير عقلانيّ، فالأحكام جميعاً قائمةٌ على المصالح الّتي تُعِدّ للإنسان ظروف تكامله.

> **من خصائص الدّين الخالد اهتمامُه بحقيقة الإنسان، واتّسامُه بالعقلانيّة، وانسجامُه مع الفطرة.**

لكنّ عقلانيّة الدّين لا تعني أنَّ البشر قادرون على اكتشاف فلسفة جميع أحكامه، بل المقصود منها عرضُ الدّين على النّاس بنحوٍ ينفي اشتماله على حكمٍ غير عقليّ، بغضّ النّظر عن قدرة الإنسان على اكتشاف مقاصده أو عجزه عن ذلك. كما لا بدَّ من أن تكون أحكام الدِّين العامّ والخالد وفرائضه قابلة للتّفسير والتّعليل المنطقيّ، أي يجب أن تتوافر أسباب معقولة لقبولها، كي يكون التزامُ الإنسانِ بها نابعاً من ضرورةٍ عقليّة. مثال ذلك، أنّ مسألة الإيثار والشّهادة من المفاهيم الّتي عجزت الكثيرُ من المذاهب عن تقديم تعليلٍ عقلانيٍّ لها، في حين يستطيع الإسلام أنْ يُضفيَ عليها توجيهاً مقنعاً وفق متبنّياته العقيديّة.

٦- **انسجام أركان الدِّين**: والدِّين الشّامل العامّ يجب أن تكون أجزاؤه منسجمةً بعضها مع بعض. فالدِّينُ الكاملُ والخالدُ هو ذلك الدِّينُ القادرُ على تحقيق الانسجام الكامل بين تعاليمه وأحكامه. فلو أنَّ ديناً أكَّد الجانب الاجتماعيّ للإنسان، لكنّه دعا في الوقت نفسه إلى الرّهبنة ورَغَّب فيها، لَوَقَع التّنافرُ بين أجزائه وانخرَمَ انسجامُ بعضها مع بعض. وعلى الدّين الخالد أن يتمتّع بالقدرة على التّكيُّف مع جميع التّحوُّلات والتّطوُّرات الاجتماعيّة، وهذا يتطلَّب السّعة في مضامينه من جهة، والانسجام بين أجزائه وأركانه من جهةٍ ثانية.

الإيمان

بحثٌ كلاميّ في معانيه ومراتبه

المحقّق السّيّد عليّ خان الشّيرازيّ

في القرآن الكريم والحديث الشّريف المنقول عن المعصومين عليهم السلام، وَرد الكثير حول الإيمان ومقاصده ومعانيه، والمنازل الّتي يقطعها المؤمنون في سلوكهم وسَيرهم إلى القرب من جناب الحقّ تعالى.

في هذا النّصّ الّذي تقدّمه «شعائر» إلى قرّائها، تأصيلٌ لمفهوم الإيمان، في دلالته اللّغويّة والاصطلاحيّة، وكذلك في ما ورد فيه من معانٍ في كُتُب التّفسير، وما قاله فيه أئمّة الهدى عليهم السلام.

نشير إلى أنّ هذا النّصّ مقتطف من كتاب (رياض السّالكين في شرح صحيفة سيّد السّاجدين) للمحقّق السّيّد عليّ خان الشّيرازيّ رحمه الله.

الإيمان: إفعالٌ من الأمن الّذي هو خلاف الخوف، ثمّ استُعمِل بمعنى التّصديق، فالهمزة فيه إمّا للصّيرورة، كأنّ المصدِّق صار ذا أمنٍ من أن يكون مكذّباً، أو للتّعدية، كأنّه جعل المصدِّق آمناً من التّكذيب والمخالفة.

ويعدّى بالباء لاعتبار معنى الإقرار والاعتراف، نحو: ﴿..يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ..﴾ البقرة:٣.

وباللّام لاعتبار معنى الإذعان، نحو: ﴿..وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ..﴾ يوسف:١٧، هذا معناه اللّغويّ.

وأمّا في الشّرع فقيل: هو المعرفة، فقومٌ بالله، وقومٌ به وبما جاءت به رسُلُه إجمالاً.

وقيل: هو كلمتا الشّهادة.

وقيل: هو التّصديق معهما.

وقيل: هو أعمال الجوارح، فقومٌ [قالوا] هو الطّاعات بأسرها فرضاً أو نفلاً، وقومٌ [قالوا] هو الطّاعات المفترضة دون النّوافل.

وقيل: هو مجموع الثّلاثة؛ فهو تصديقٌ بالجَنان، وإقرارٌ باللّسان، وعملٌ بالأركان.

وقيل: هو التّصديق بالله ورسوله وبما جاء به إجمالاً والولايةُ لأهلها. وهو الحقّ، لدلالة الآيات والأخبار عليه، نحو قوله تعالى: ﴿..أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ..﴾ المجادلة:٢٢، ﴿..وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ ..﴾ الحجرات:١٤، ﴿..وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ..﴾ النّحل:١٠٦، دلّت على أنّه أمرٌ قلبيّ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ..﴾ الحجرات:٩، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ..﴾ البقرة:١٧٨، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ..﴾ الأنعام:٨٢، دلّ اقترانُ الإيمان بالمعاصي فيها على أنّ العمل غيرُ داخلٍ فيه حقيقةً.

وقوله تعالى: ﴿..ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ..﴾ البقرة:٢٥ دلّ على التّغاير، وأنّ العمل ليس داخلاً فيه، لأنّ الشّيء لا يُعطَف على نفسه، ولا الجزء على كلّه.

وقول الرّسول صلى الله عليه وآله: «**يا معشرَ مَن أسلم بلسانه ولم يَخلص الإيمانُ إلى قلبه، لا تذمّوا المسلمين**»، وقول الصّادق عليه السلام: «**الإيمان وَقرٌ في القلوب، والإسلام ما عليه المناكح**». وقوله عليه السلام: «**يُبتلى المؤمن على قدرِ إيمانه وحُسنِ أعماله**».. دلّت على محلّيّة القلب للإيمان ومغايرته للعمل، على أنّ كون الإيمان عبارة عن التّصديق المخصوص المذكور لا يفتقر إلى نقله عن معناه اللّغويّ الّذي هو التّصديق مطلقاً، لأنّ التّصديق المخصوص فردٌ منه، بخلاف ما إذا كان المراد غيره من المعاني المذكورة، فإنّه يستلزم النّقل وهو خلاف الأصل، ولو كان منقولاً لَتبيّن للأمّة نقله بالتّوقيف، كما تبيّن نقلُ الصّلاة والزّكاة ونحوهما، ولاشتهرَ اشتهار نظائره، بل هو كان بذلك أَوْلى.

وأمّا ما ذهب إليه المحقّق الطّوسيّ من أصحابنا، من أنّ الإيمان مركّبٌ من الإقرار والتّصديق، واستدلّ على أنّ الأوّل وحده -وهو الإقرار باللّسان- ليس بإيمان، بقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ..﴾ الحجرات:١٤، فقد أثبت الإقرار اللّسانيّ ونفى الإيمان، فعلم أنّ الإيمان ليس هو الإقرار باللّسان.

وعلى أنّ الثّاني وحده -وهو التّصديق- ليس بإيمان، بقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ..﴾ النّمل:١٤، أثبت للكفّار الاستيقان النّفسيّ وهو التّصديق، فلو كان الإيمان نفس

التّصديق لزم اجتماع الكفر والإيمان في شخصٍ واحدٍ في آنٍ واحدٍ، ولا شكّ في أنّهما متقابلان لا يمكن اجتماعهما كذلك.

ففيه أوّلاً: أنّ التّصديق لمّا كان مقروناً بالإنكار كان غير مُعتبَر، لأنّ التّصريح بالنّقيض ربّما كان مانعاً من القبول والاعتبار، ولذلك اشتُرط فيه عدم الإنكار باللّسان.

وثانياً: أنّ هذه الآية إنّما تدلّ على أنّ التّصديق وحده ليس بإيمان، ولا تدلّ على أنّ الإقرار باللّسان جزء من الإيمان، لجواز أن يكون شرطاً له، والمشروط ينتفي بانتفاء الشّرط كما أنّ الكلّ ينتفي بانتفاء الجزء.

ومن ثمّ حمل المتكلّمون، القائلون بأنّ الإيمان نفس التّصديق، الأخبار الدّالّة على جزئيّة أعمال الجوارح للإيمان على أنّها للكمال، بمعنى أنّ العمل ليس جزءاً للإيمان بحيث يعدم الإيمان بعدم العمل، بل إضافة العمل إليه إضافةُ كمال، وكذا حملوا الأخبار الدالّة على جزئيّة الإقرار باللّسان على أنّه شرطٌ في الإيمان لا جزء منه، وعلى هذا حملوا الأخبار المختلفة الدّالّ بعضها على أنّ الإيمان نفس التّصديق والعمل، وبعضها على أنّه التّصديق والإقرار.

ثمّ كون الإقرار باللّسان شرطاً في كون التّصديق القلبيّ إيماناً هو مذهب طائفة من العامّة أيضاً. قال التّفتازانيّ في (شرح العقائد): «فرقة تقول: الإقرار شرطٌ لصحّته». وقال الدّوانيّ في شرحه (العقائد العضديّة): «والتّلفّظ بكلمتي الشّهادة مع القدرة عليه شرط، فمَن أخلّ به فهو كافر مخلّد بالنّار»، انتهى.

وقال بعض أصحابنا: «إنّما يشترط عدم الإنكار باللّسان، وأمّا كون الإقرار شرطاً في قبول الإيمان القلبيّ فلا».

الزّيادة والنّقصان في الإيمان

اختُلف في الإيمان، هل يقبل الزّيادة والنّقصان أم لا؟ فذهب إلى كلٍّ طائفةٌ.

وقال كثيرٌ من المتكلّمين: هو بحثٌ لفظيّ، لأنّه فرعُ تفسير الإيمان.

فإنْ قلنا: هو التّصديق فلا يقبلهما، لأنّ الواجب هو اليقين، وإنّه لا يقبل المتفاوت لا بحسب ذاته ولا بحسب متعلّقه. **أمّا الأوّل**، فلأنّ التّفاوت إنّما هو لاحتمال النّقيض، وهو ولو بأبعد وجه ينافي اليقين، فلا يجامعه. **وأمّا الثّاني**، فلأنّه جميعُ ما عُلم بالضّرورة مجيءُ الرّسول به، والجميعُ من حيث هو جميعٌ لا يُتصوَّر فيه تعدّد، وإلّا لم يكن جميعاً.

وإن قلنا: هو العمل وحده أو مع التّصديق فيقبلهما، وهو ظاهر. وما ورد في الكتاب والسّنّة ممّا يدلّ على قبوله إيّاهما فباعتبار الأعمال، فيزيد بزيادتها وينقص بنقصانها. وقال المحقّقون من الفريقَين: الحقّ أنّ التّصديق يقبل الزّيادة والنّقصان بحسب ذاته وبحسب متعلّقه.

أمّا الأوّل، فلأنّ التّصديق من الكيفيّات النّفسانيّة المتفاوتة قوّةً وضعفاً، فيجوز أن يكون التّفاوت فيه بالقوّة والضّعف بلا احتمالٍ للنّقيض، وللفرق الظّاهر بين إيمان النّبيّ وآحاد الأمّة.

وأمّا الثّاني، فلأنّ التّصديق التّفصيليّ في أفراد ما عُلم مجيءُ الرّسول جزءٌ من الإيمان، يُثاب عليه ثوابه على تصديقه بالإجمال، فكان قابلاً للزّيادة.

وقوله تعالى: ﴿..وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي..﴾ البقرة:٢٦٠ ناظرٌ إلى الأوّل، لأنّ عين اليقين أقوى من علم اليقين، ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لو كُشِف الغطاء ما ازددْتُ يقيناً**».

وقوله تعالى: ﴿..وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا..﴾ الأنفال:٢ ناظرٌ إلى الثّاني.

إذا عرفت ذلك فقوله عليه السلام: «**بلّغ بإيماني أكمل الإيمان**»، يحتمل أن يكون المراد به نفس التّصديق وهو أصل الإيمان الكامل، وأن يكون المراد به الإيمان الكامل وهو التّصديق مع العمل، فإنّ لكلٍّ منهما درجات ومراتب متكثّرة متفاوتة بعضها فوق بعض، وأدناها في التّصديق أصلُ المعرفة، لأنّ زواله يُوجبُ الكفر، و[أدناها] في العمل القيامُ بالمفروضات واجتنابُ المنهيّات، وأعلاها فيهما غاية الكمال للبرّ، وهي في التّصديق كمرتبة عين اليقين، أو أعلى منها وهي مرتبة حقّ اليقين، وفي العمل صرفُ جميع الجوارح في جميع الأوقات في جميع ما خُلقتْ له، وقد وردت أخبار كثيرة في أنّ الإيمان درجات.

فعن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام أنّ «**الإيمان عشرُ درجاتٍ بمنزلة السُّلَّم، يصعد منه مرقاةً بعد مرقاة**». "..."

وعنه عليه السلام أنّ الإيمان: «..**منه التّامّ المنتهي تمامُه، ومنه النّاقصُ البيّنُ نقصانُه، ومنه الرّاجحُ الزّائدُ رجحانه**».

قال بعض الشّارحين: التّامّ المنتهي تمامه كإيمان الأنبياء والأوصياء، والنّاقص البيّن نقصانه هو أدنى المراتب الّذي دونه الكفر، والرّاجح الزّائد رجحانه على مراتب غير محصورة، باعتبار التّفاوت في الكمّيّة والكيفيّة، والله أعلم.

الفقيهُ المجدِّد، والمحدِّثُ المتبحِّر

العلّامة الشّهيد الشّيخ حسين آل عصفور البحرانيّ

إعداد: سليمان بيضون

*** جاء في (موسوعة طبقات الفقهاء): كان شيخ الأخباريّة في عصره، متبحِّراً في الفقه والحديث، طويلَ الباع، كثير الاطّلاع، يُضرب بقوّة حافظته المَثل.**

*** أكثر مؤلّفاته في الفقه، أشهرها (الأنوار اللّوامع في شرح مفاتيح الشّرائع)، و(سداد العباد ورشاد العُبّاد).**

*** كان مواظباً على إقامة عزاء سيّد الشُّهداء عليه السلام كلّ يوم بعد إلقاء درسه، ولو صفحة من كتاب في المقتل.**

*** شيَّدَ بعد عودته من النجف الأشرف حوزة علميّة في البحرين، تخرّج منها الكثير من العلماء الأفاضل.**

*** توفّي شهيداً متأثّراً بجُرح بليغ أُصيب به عقب غارةٍ للخوارج على البَحرين، وتمنّى قبيل وفاته أن يموت ودموعه تجري على سيّد الشّهداء عليه السلام.**

هو الشّيخ حسين ابن الشّيخ محمّد ابن الشّيخ أحمد ابن الشّيخ إبراهيم ابن الحاجّ أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور الدّرازيّ. كان والده عالماً محدّثاً، له كُتب، منها كتاب (مرآة الأخبار في أحكام الأسفار). وجدّه الشّيخ أحمد فقيهٌ محدّثٌ مجتهد، وصفَه تلميذه الشّيخ عبد الله السّماهيجيّ بأنّه ماهر في أكثر العلوم العقليّة والرّياضيّة، أما عمّه، فهو الشّيخ يوسف المعروف بالمحقّق البحرانيّ، صاحب موسوعة (الحدائق النّاضرة في أحكام العترة الطّاهرة)، وجدّه لأمّه هو العلّامة الشّيخ سليمان بن عبد الله الماحوزيّ صاحب كتاب (الأربعون حديثاً في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام)، وكان الزّعيم الدّينيّ للبحرين في زمانه.

أمّا أولاده فكلّهم علماء فضلاء، وهم: الشّيخ محمّد، والشّيخ عبد الرّضا، والشّيخ عليّ وقد مات في حياة والده، والشّيخ حسن وقد هاجر إلى إيران وتولّى القضاء والإفتاء، والشّيخ عبد الله، والشّيخ عبد عليّ توفّي أيضاً في حياة والده، والشّيخ أحمد.

نشأتُه العلميّة

تتلمذ الشّيخ حسين على يده والده الشّيخ محمّد، ثمّ هاجر إلى النّجف الأشرف بمعيّة ابن عمّه الشّيخ خلف ابن الشّيخ عبد عليّ، حيث تتلمذا هناك على يد عمّهما الشّيخ يوسف البحرانيّ، الّذي منحهما الإجازة المسمّاة بـ (لؤلؤة البحرين في الإجازة لقُرّتَي العين)، وذلك سنة ١١٨٢ للهجرة، كما تتلمذ على يد غير عمّه من العلماء الأجلّاء.

جاء في بعض الكلمات الّتي أُلقيت في الذّكرى المائتين لرحيله في البحرين سنة ١٩٩٦ للميلاد: «وقد تأثّر شيخنا المترجَم كثيراً

مسجد وضريح الشيخ حسين آل عصفور

بعمّه المذكور [الشّيخ يوسف] منهجاً وأسلوباً وصياغةً وتحقيقاً وتنميقاً وتحبيراً، كما تشهد به كُتبه ومصنّفاته، بل وصيّةُ عمّه له بإكمال ما لم يستطع إكمالَه من مصنّفاته إذا عاجلتْه المنيّة والأجل المحتوم أكبرُ شاهدٍ على ذلك، إذ امتثَل أمرَه في تتميم ما سنحَ له الأجلُ تتميمه من كتاب (الحدائق النّاضرة)، حيث صنّف كتاب (عيون الحقائق الفاخرة)».

وجاء فيها أيضاً: «ولمّا عاد إلى البحرين آلتْ إليه المرجعيّة والزّعامة الدّينيّة، وأصبحت له حوزة ذائعة الصّيت يقصدها مُريدو العلم والفضل من كلّ مكانٍ، وقد تخرّج من تحت عباءته الكثير من العلماء الأفاضل والأفذاذ الفطاحل، وكانت داره محطَّ رحال العلماء ومفزعَ الجهابذة الفضلاء، يستصبحون بضوئه ويستضيئون بمشكاته، فربّى جيلاً من العلماء الأعلام المرموقين اللّامعين في سماء المرجعيّة..».

بعضُ ما قيل فيه

* تلميذه الشّيخ مرزوق الشّويكيّ في (الدُّرر البهيّة): «هذا الشّيخ أجلّ من أن يُذكر، وفضلُه وشرفه أعظم من أن يُشهر، قد انتهت إليه رئاسةُ الإماميّة حيث لم تَسمع الآذان ولم تُبصِر الأعيان مثيلاً له في عصره، قد بلغَ النّهاية وجازَ الغاية، كان محقّقاً مدقّقاً، مصنّفاً، ماهراً، وَرِعاً، زاهداً، أديباً».

* الميرزا محمّد النّيسابوريّ (ت: ١٢٣٣ للهجرة): «أمينُ الشّريعة ومعجزُ الشّيعة، سيّدنا وأستاذنا الشّيخ حسين العلّامة من آل عصفور».

* الشّيخ عليّ بن حسن البلاديّ البحرانيّ (ت: ١٣٤٠ للهجرة) في كتابه (أنوار البدرَين): «العلّامة الفاضل، الفهّامة الكامل، خاتمة الحفّاظ والمحدّثين، وبقيّة العلماء الرّاسخين الأخباريّين، الفقيه النّبيه «..» كان رحمَه الله تعالى من العلماء الرّبّانيّين، والفضلاء المتتبّعين، والحفّاظ الماهرين، من أجلّة متأخّري المتأخّرين وأساطين المذهب والدّين، بل عدَّه بعض العلماء الكبار من المجدّدين للمذهب على رأس ألف ومائتَين..».

* الشّيخ محمّد عليّ العصفوريّ (ت: ١٣٦٥ للهجرة) في (تاريخ البحرين): «وهو أحدُ أولئك الأجلّة، وواحدُ تلك البدور والأهِلّة، ناشر لواء التّحقيق، جامعُ معاني التّصوّر والتّصديق، سيّد المشايخ والمحقّقين، وسَندُ المجتهدين والمحدّثين، الشّيخ الأكبر، والمجدّد للمذهب في القرن الثّاني عشر «..» ذكرَه شيخُ الجواهر في كتابه، وسمّاه بالبحر الزّاخر». [وصفه صاحب الجواهر أيضاً بالفاضل، وبالمحدّث المتبحّر، وأورد طائفة كبيرة من آرائه في غير باب]

* السّيّد محسن الأمين (ت: ١٣٧١ للهجرة) في (أعيان الشّيعة): «كان شيخَ الأخباريّة في عصره وعلّامتهم، متبحّراً في الفقه والحديث، طويل الباع، كثير الاطّلاع، انتهت إليه الرّياسةُ والتّدريس، واجتمعَ طلبةُ العلم عليه من تلك البلاد وبلاد القطيف والأحساء وغيرها».

* الشّيخ آغا بزرك الطّهرانيّ (ت: ١٣٨٩ للهجرة) في (الكرام البَررة): «كان من كبار علماء عصره ومشاهيرهم، زعيم الفرقة، وشيخها المتقدّم، وعلّامتها الجليل، وكان من المصنّفين المُكثرين، المتبحّرين في الفقه والأصول والحديث وغيرها».

من ملامح شخصيّته

تكشف عبارات المدح والثّناء الّتي مرّت في كلام العلماء المترجمين له عن سمات جليلة وخصالٍ نبيلة، نتوقّف -باختصار- عند أبرزها نقلاً عن كتاب (علماء البحرين) لمحمّد باقر النّاصريّ، ومصادر أُخَر.

* **العلّامة المجدِّد**: لم يكتسب الشّيخ حسين آل عصفور هذا اللّقب من فراغ، إنّما جاء نتيجة تضلُّعه في الفقه، وسطوع نجمه بين العلماء والفقهاء في عصره، وتفوّقه عليهم في الفتوى والدّرس، ومتانة استدلالاته وجودة تقريراته، وذلك ما تشهد به كثرةُ مؤلّفاته الفقهيّة، واشتهار فتاواه في عددٍ من البلدان الإسلاميّة، وكَثرة من تخرّج وتربّى على يديه.

* **الشّيخ المحدّث**: يُعدّ الشّيخ حسين آل عصفور قطباً من أقطاب الإجازة والرّواية، فهو المحدّث الكبير المُجيز والمُجاز، الّذي يروي عن جماعةٍ من المشايخ، الّذين لهم في هذا العلم قدمٌ راسخ، وقد حرّر الكثير من الإجازات المختصرة والمطوّلة والمتوسّطة شفهيّاً وتحريريّاً، وأجاز واستجاز جملة من المحدّثين والعلماء الأعلام، فهو مجازٌ من عمّه المحدّث الشّيخ يوسف البحرانيّ، إلى جانب ما ألّف في الحديث، وهما كتابان: (الحدق النّواظر في تتميم النّوادر)، والأصل للفيض الكاشانيّ (ت: ١٠٩١ للهجرة)، وكتاب (الخمائل).

* **الحافظ العبقريّ**: كان الشّيخ حسين أعجوبةً في الحفظ والاستذكار، فقد ذُكر أنّه كان يحفظ اثنَي عشر ألفاً من الأحاديث مع أسانيدها. ونُقل عنه أنّه أملى كتابه (النّفحة القدسيّة في الصّلاة اليوميّة) على تلميذه الشّويكيّ في ثلاثة أيّام، يذكر فيه الأقوال والأدلّة بشكلٍ إجماليّ. كذلك فقد أملى كُتبه الاستدلاليّة الموسّعة كـ (الأنوار اللّوامع) وهو شرح (مفاتيح الشّرائع) للفيض الكاشانيّ، و(رواشح العناية الرّبّانيّة في شرح الكفاية الخراسانيّة)، وكتاب (السّوانح النّظريّة) في شرح (بداية الهداية) للحرّ العامليّ، على بعض تلامذته اعتماداً على حفظه للأقوال وأدلّة كلّ مسألة بجزئيّاتها التّفصيليّة في سابق عهده بها في سِنِيّ دراسته.

* **العاشق لأهل البيت** عليهم السلام: وكما اشتهر الشّيخ، رحمه الله، بكثرة البحث والمطالعة والتّدريس، اشتهر كذلك بالمواظبة على إقامة العزاء على سيّد الشّهداء عليه السلام في بيته كلَّ صباح بعد إلقائه الدّروس، ما يُنبئ عن تعلّقٍ وثيقٍ بأهل بيت العصمة عليهم السلام وولاءٍ صادقٍ لهم والتّأثّر بمصائبهم؛ وله عدّة مؤلّفات في ذلك: فقد كتب كتاب (الفوادح الحسينيّة والقوادح البينيّة) كمقتل، عُرف

بـ (مقتل آل العصفور) ليُقرأ كلّ صباح ومساء في عشرة محرّم.

كما أنّه ألّف سلسلة من الكتيّبات تتناول وفيّات الأئمّة، من الإمام زين العابدين إلى الإمام الحسن العسكريّ عليهم السلام، لكلّ كتابٍ منها اسمٌ مستقلّ، وذكر مع تلك الأخبار ما يناسبها من الأشعار. وكتب كذلك الكثير من الأشعار في رثاء أهل البيت عليهم السلام، فله ديوان شعر كبير في رثاء الإمام الحسين عليه السلام، فيه ما يزيد على سبعة آلاف بيت.

ولم ينسَ ذكرَهم والبكاء عليهم حتّى في آخر حياته، ورجا أن تكون خاتمة أعماله البكاء على أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ فقد نقل الأستاذ محمود طرادة عن الشّيخ أحمد العصفور أنّه لمّا حضرت الشّيخ حسين الوفاة، طلب منشداً ينشدُ على الإمام الحسين عليه السلام، وعندما سُئل عن ذلك قال: **حتّى ألقى اللهَ ودموعي جاريةٌ على الحسين عليه السّلام.**

من كراماته

يذكر الشّيخ باقر العصفور (ت: ١٣٩٩ للهجرة) في كتابه (الدّرّة)، نقلاً عن الشّيخ طاهر الخاقانيّ (ت: ١٤٠٦ للهجرة) في كتابه (المسائل الشّيرازيّة)، قولَه عن المترجَم الشّيخ حسين رضوان الله عليه: «وكان في علوّ مقامه أنّ السّيّد بحر العلوم رأى صاحب الزّمان عليه السلام في المنام في ثلاث ليالٍ متواليات، يأمرُه بوجوب احترام شخصٍ قد خرجَ من البحرين لزيارة قبور آبائه الأئمّة عليهم السلام، وأنّ القادمَ هو حجّة الإسلام، وانظُره بالعين الّتي تراني بها؛ فاستقبلَه السّيّد بعد مسيرة خمسة أيّام، وأجلسَه في مجلسه، وحلفَ ألّا يجلس ما دام الشّيخُ جالساً، وكلّما طلبَ منه الشّيخُ الجلوس، فإنّ السّيّد يأبى ويقول: إنّ سيّدي أمرَني بذلك».

تلاميذه والمجازون منه

ربّى الشّيخ حسين آل عصفور قدّس سرّه جيلاً من العلماء المتميّزين، وجماعةً من طلائع الفقهاء البارزين، أفاضَ عليهم من زاخر علمِه ونور حكمته، وكَلَأَهم بحُسن رعايته وعنايته، وكان من أبرزهم:

١. الشّيخ أحمد بن زين الدّين الأحسائيّ (ت: ١٢٤١ للهجرة).
٢. الشّيخ عبد المحسن اللّويميّ الأحسائيّ (ت: ١٢٥٠ للهجرة).
٣. الشّيخ حسن بن عبد المحسن اللّويميّ الأحسائيّ.
٤. الشّيخ عليّ بن عبد الله بن يحيي الجَدحفصيّ (ت: ١٢٢٧ للهجرة).
٥. الشّيخ محمّد بن خلف السّتريّ.
٦. الشّيخ محمّد عليّ القطريّ البلاديّ.
٧. الشّيخ عبد الله بن عبّاس السّتريّ (ت: ١٢٦٧ للهجرة)، له (كنز المسائل) في شرح المختصَر النّافع) للمحقّق الحلّيّ.
٨. الشّيخ عبد عليّ القطيفيّ.
٩. الشّيخ مرزوق الشّويكيّ، مرّ ذِكرُه.
١٠. الشّيخ موسى ابن الشّيخ محمّد ابن الشّيخ يوسف آل عصفور (ت: ١٢٣٦ للهجرة).
١١. السّيّد عبد القاهر ابن السّيّد حسين التّوبليّ، وغيرهم.

أطلال الحوزة العلميّة التي أسّسها الشيخ حسين آل عصفور في البحرين

مؤلّفاته

كان الشّيخ حسين آل عصفور منكبّاً على التّأليف، عاكفاً على التّصنيف، كرّس حياته في مدارسة العلم وممارسة نشره عبر التّصنيف والكتابة، والتّدريس والخطابة دون تعبٍ وكَلَلٍ، وكان ثمرة هذه الجهود العظيمة ثروة طائلة من المؤلّفات أغنى بها المكتبة الإسلاميّة، وهذا الإنتاج الغزير لا يتيسّر إلّا لمن يستغلّ أوقاته في اللّيل والنّهار، والعشيّ والإبكار، ولا يصرف ساعة من عمره إلّا في اكتساب عِلم ومطالعة أو تصنيف ومراجعة، فله ما يربو على خمسين كتاباً، والكثير من الرّسائل والمنظومات في الفقه والعقائد والأخلاق والحديث.

*** مؤلّفاته الفقهيّة:**

١. (سداد العباد ورشاد العُبّاد): من أشهر كُتبه، وهو كتاب فقهيّ على طريقة الرّسالة العمليّة، اشتمل على أهمّ المسائل العباديّة والمعاملاتيّة. [انظر «قراءة في كتاب» من هذا العدد]
٢. (الحقائق الفاخرة في تتميم الحدائق النّاضرة).
٣. (الرّواشح السّبحانيّة): وقيل اسمه (رواشح العناية الرّبانيّة في شرح الكفاية الخراسانيّة)، وهو شرح مزجيّ واستدلاليّ مفصّل

على كتاب (كفاية الأحكام) للمحقّق السّبزواريّ الخراسانيّ (ت: ١٠٩٠ للهجرة).
٤. (النّفحة القدسيّة في الصّلاة اليوميّة).
٥. (الفرحة الأنسيّة في شرح النّفحة القدسيّة).
٦. (الأنوار اللّوامع في شرح مفاتيح الشّرائع).
٧. (السّوانح النّظريّة)، وهو شرح واضح مفصّل لـ (بداية الهداية) للشّيخ الحرّ العامليّ، وهو أحد الكتب الدّراسيّة في العصور السّالفة.
٨. (أجوبة المسائل الشّيرازيّة).
٩. (أجوبة المسائل القطيفيّة).
١٠. (الجُنّة الواقية في أحكام التّقيّة).
١١. (الأشراف في المنع عن بيع الأوقاف).
١٢. (حاسمة القال والقيل في تحديد المَثيل).
١٣. (إسكات أهل الإخفات وإخفات أهل الإسكات).
١٤. (البراهين النّظريّة في أجوبة المسائل البصريّة).
١٥. (رسائل أهل الرّسالة ودلائل أهل الدّلالة).
١٦. (رسالة في الحَبوة وما يختصّ به الولد الأكبر).
١٧. (هداية القلوب والحواسّ في أحكام الزّكاة والأخماس).
١٨. (ذريعة الهداة في بيان معاني ألفاظ الصّلاة).
١٩. ثلاثة كتب في المناسك، كبير ومتوسّط وصغير.
٢٠. رسالة (جلاء الضّمائر في أجوبة الشّيخ باقر).
٢١. (الرّسائل المتفرّقة في الفروع والأصول).
٢٢. (رسالة الأنام في أحكام الصّيام).
٢٣. (كتاب المتاجر والمكاسب).

* **مؤلّفاته العقائديّة:**

١. (محاسن الاعتقاد).
٢. (الأنوار الوضيّة في شرح الأحكام الرّضويّة)، وقيل: (الأنوار الضّويّة).
٣. (المحاسن النّفسانيّة).
٤. (منظومة في التّوحيد).
٥. (القول الشّارح في التّوحيد).
٦. (شارحة الصّدور)، منظومة مختصَرة في أصول الدّين.
٧. (الحجّة لثمرات المهجة)، في المعارف الإلهيّة.

وله في تفسير غريب القرآن (مفاتيح الغَيب والتّبيان في تفسير غريب القرآن).

* **له في النّحو واللّغة:**

١. (أرجوزة في «ظنَّ» وأخواتها).
٢. (رسالة في العوامل السّماعيّة والقياسيّة).

شهـــادتُـــه

أبى المولى سبحانه وتعالى لهذا العالِم الجليل، الشّيخ حسين آل عصفور البحرانيّ، إلّا أن يستكمل أسبابَ الكمال والفضيلة، وأن يختم حياته، الّتي مِلؤها الفضل والعلم والجهاد والتّقوى والسّداد، بالشّهادة، فنال بذلك أطراف السّعادة. وكانت شهادتَه ليلة الأحد الحادي والعشرين من شوّال سنة ١٢١٦ للهجرة، بعد ثلاثة أيّام من إصابته بجرحٍ بليغٍ إثر هجوم للإباضيّين (الخوارج) على البحرين، وقد ترجم له العلّامة الأميني (صاحب الغدير) في كتابه (شهداء الفضيلة).

هذا، وأُرّخ عن وفاته بـ: (طَوْدُ الشّريعةِ قَد وَهى وتَهَدَّما)، وبـ: (قمرُ الشّريعةِ أَفَل). وقبرُه رحمه الله في قرية سُكناه «الشّاخورة» (٨ كلم غرب المنامة)، وله فيها مزارٌ مشهور.

وقد أُقيمت له احتفاليّة في الذّكرى المائتين لاستشهاده سنة ١٤١٦ للهجرة في البحرين، وقد أبّنه عددٌ من الشّعراء بقصائد، منها هذه الأبيات:

ضريح العلامة الشيخ حسين آل عصفور البحراني

بَحْرُ العُلومِ وَمَا لَهُ مِن سَاحِلٍ
تَاهَ الأَنَامُ بِغَوْرِهِ وَعُبابِهِ
إنْ يَقتلوا الجسدَ المُطهَّرَ فَاسْمُهُ
باقٍ مَدَى الأجيالِ فِي تَرْحَابِهِ
بِاسْمِ الحُسَيْنِ سَمِيِّهِ نَالَ العُلا
حَتَّى المَلَائِكُ شُرِّفُوا بِرِكَابِهِ

إيمان ما بعد الحداثة*

الغرب محكوماً بهواجس المسيحيّة

محمود حيدر**

جرى سؤالُ الدّين على لسان الغرب مجرى خطاب الحداثة برمّته. فلو عاينّا قليلاً، شيئاً منه، لا سيّما الفلسفيّ والسّوسيوتاريخيّ، لَعثرنا بيُسرٍ على أصله الدّينيّ، كما لو كان أمر الحداثة في حقيقته أمراً دينيّاً. حتّى أنّ هناك مَن مضى إلى أنّ للحداثة صفةَ التّعالي، فرأى إليها، رغم دنيويّتها الصّارمة، بوصفها ميتافيزيقا، أو هي على قاب قوسين أو أدنى لتغدو كذلك. فالحداثة قبل أن تشرّع سيوفَها شرّعت أسئلتَها؛ وهي أوّل ما سألت، ساءلت المسيحيّة المؤسّسيّة كخصيمٍ بلا هوادة. لكنّها حين مضت في السّؤال لتمنح نفسها بعض اليقين، هبطت إلى عمق الزّمان الدّينيّ. كانت الحداثة حين فعلت هذا، ميتافيزيقيّة، لأنّها بحثت عن اعتلائها الأرضيّ في تاريخ الدّين، أرادت أن تحتلّه لتقوم مقامه، حتّى وإن قُضي الأمرُ على أبحرٍ من الموتى.

كان سؤال الحداثة في الغرب إذن، ميتافيزيقيّاً. فإنّ كلّ سؤالٍ على هذا النّحو يحيط دائماً بمجمل إشكاليّة الفضاء الّذي منه جاء، ويكون في كلّ مرّة هو هذا المجمل نفسه. وإذاً -كما يقول «مارتن هايدغر» Heidegger- لا يمكن لأيّ سؤالٍ ميتافيزيقيٍّ أن يُطرح، من دون أن يكون السّائل، بما هو سائل -مُتَضَمناً- هو نفسه في السّؤال، أي عالقاً في هذا السّؤال. هكذا لم تغادر المسيحيّة هواجس الغرب، لا في حداثتها الأولى، ولا في طـورها الما بعد حداثيّ، ظلّت الكنيسة باعث الحراك الفكريّ، والفلسفيّ، والاجتماعيّ. دائماً ظلّ كلُّ تجاوزٍ يتأسّس عليها، كما لو كانت المؤسّسة الدّينيّة هي الضّدّ الّذي يظهر على صفحاته الملساء حُسنُ الحداثة المزعوم. فالدّين -على ما يبيّن فلاسفة التّنوير- لم يكُفّ عن كونه وظيفة أبديّة للرّوح الإنسانيّ، وعليه، سوف ينبّه هؤلاء إلى ضرورة ألّا تتنازل الفلسـفة يوماً عن حقّها في بحث المشكلات الدّينيّة الأساسيّة وحلّها.

كان «بردايئيف» Berdyaev، مثلاً، يبيّن أنّ لليقظات الفلسفيّة دائماً مصدراً دينيّاً، وهو يميل إلى الاعتقاد أنّ الفلسفة الحديثة عموماً، والفلسفة الألمانيّة خصوصاً، هي أشدّ مسيحيّةً في جوهرها من فلسفة العصر الوسيط؛ فلقد نفذت المسيحيّة إلى ماهيّة الفكر نفسه ابتداءً من فجر العصور الحديثة.

حطّت المنازعةُ بين الحداثة والكنيسة على أرض الفصل بين الدّين واللّاهوت، بين جوهر المسيحيّة وسلطان الكنيسة. لم تتوقّف غاية الحداثة، إذ نازعت الكنيسة مقامها، على وقف تدخّلها في السّياسة والاجتماع وأمر الدّولة، فإذا بها وهي ترى أغراضها بأمِّ عينها، ستمضي إلى نهاية الرّحلة لتطيح الكنيسة بما هي مصدر الحقيقة. بل هي ستمضي لتطيح ما أنجزته الفلسفة الحديثة في صعيدها المتعالي. لقد تحوّلت مقولةُ الواجب عند «كانط» Kant إلى مجرّد طاعة مطلقة «للأمير الحديث». ذلك الأمير الّذي نزع من الحداثة أخلاقها حين نزع جوهرها المسيحيّ، ثمّ راح بعيداً في «ضراوته» إلى أن لم يُبقِ من الكنيسة إلّا حجارتها الصمّاء..

***

لقد انتصرت الحداثة على اللّاهوت، ابتنت علمانيّتها الحادّة بعقلٍ بارد، ونظرت إلى الكنيسة بوصفها نابض إرجاعٍ للزّمن، وللمؤمنين بوصفهم كائنات أسطوريّة تُغرِقُ العالمَ بالظّلمات. انتصرت الحداثة على اللّاهوت، لكنّها لم تستيقظ من نوام انتصارها بعد..

ثمّة مَن رأى من الفرنسيّين، أنّ الجمهوريّة لم تنتصر إلّا بدَحر الكنيسة، لكنّ انتصارها كان أشبه بانتصار فرنسا على نصفها الآخر.

حين نُقِدت الحداثةُ من أهلها، قيل يومئذٍ إنّها عادت إلى جاهليّة من نوعٍ آخَر؛ جاهليّة الهوَس بعالمٍ صار عبداً لأوهامه وأشيائه. لقد صوّر اللّاهوتيّ «ديتريش بونهوفر» Bonhoeffer هذا الهوَس الحداثيّ بقوله: صار سيّدُ الآلةِ عبداً لها. ثارت الخليقةُ ضدّ بارئها. لقد انتهى تحرُّر الجماهير إلى رعب المقصلة، والقوميّة أدّت إلى الحرب. وتفتّحت مع الحداثة أبواب العدميّة. هكذا يبدو غرب ما بعد الحداثة على أحرّ من الجمر بالنّسبة إلى المسيحيّة المعاصرة.

* مختصر من افتتاحية العدد الثّالث من مجلّة (مدارات غربيّة)

** باحث في الفلسفة السياسيّة

وصايا

من وصايا رسول الله صلّى الله عليه وآله:

* آيةُ الكرسيّ أعظمُ ما أنزل الله تعالى

عن (معاني الأخبار) للشّيخ الصّدوق

شَذَرات مختارة من وصايا سيّد الخَلق أجمعين صلّى الله عليه وآله للصّحابيّ الجليل أبي ذرٍّ الغفاريّ نقلاً عن كتاب (معاني الأخبار) للشّيخ الصّدوق أبي جعفر بن بابويه القمّيّ، نقدّمها للقارئ الكريم، على أن يكون لنا وقفات أُخَر مع عيون الحكمة البالغة لوصايا المعصومين الأطهار عليهم السّلام.

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في المسجد جالساً وحده، فاغتنمتُ خلوَتَه، فقال لي: «**يا أبا ذرّ، إنَّ للمسجد تحيّةً**»، قلت: وما تحيّته؟ قال: «**ركعتان تركعهما**».

ثمّ التفتُّ إليه، فقلتُ: يا رسولَ الله، إنّك أمرتَني بالصّلاة، فما الصَّلاة؟ قال: «**خيرُ موضوعٍ، فمَن شاء أقلَّ ومن شاء أَكثَر**».

قال: قلتُ: أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ؟ قال: «**إيمانٌ بالله وجهادٌ في سبيله**».

قلت: فأيّ المؤمنين أكملُ إيماناً؟ قال: «**أحسنُهم خُلُقاً**».

قلت: وأيّ المؤمنين أفضل؟ قال: «**مَن سَلِمَ المسلمون مِن لسانه ويدِه**».

قلت: فأيُّ اللّيل أفضل؟ قال: «**جوفُ اللّيل الغابر**».

قلت: فأيُّ الصَّلاة أفضل؟ قال: «**طولُ القنوت**».

قلت: فأيُّ الصَّدقة أفضل؟ قال: «**جهدٌ من مُقِلّ إلى فقيرٍ في سرّ (في سِنّ)**».

قلت: فما الصَّوم؟ قال: «**فرضٌ مجزيٌّ، وعند الله أضعافٌ كثيرة**».

قلت: فأيُّ الرّقاب أفضل؟ قال: «**أغلاها ثمناً وأنفَسها عند أهلها**». [المقصود عتْق عبدٍ أو أَمَة]

قلت: فأيُّ الجهاد أفضل؟ قال: «**مَن عُقِر جوادُه وأُهرق دمُه**».

قلت: فأيُّ آيةٍ أنزلَها اللهُ عليك أعظَم؟ قال: «**آية الكرسيّ**».

ثمّ قال: «**يا أبا ذرّ، ما السّماواتُ السّبع في الكرسيّ إلّا كحَلقةٍ ملقاةٍ في أرضِ فلاةٍ، وفضلُ العرش على الكرسيّ كَفضلِ الفلاة على تلك الحلقة**».

قلت: يا رسولَ الله، كم (الأنبياء)؟ قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ**».

قلت: كم (الرُّسُل) منهم؟ قال: «**ثلاث مائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً**».

قلت: مَن كان أوّلُ الأنبياء؟ قال: «**آدم**».

قلت: وكان من الأنبياء مُرسلاً؟ قال: «**نعم، خلَقَهُ اللهُ بيده ونفخَ فيه من روحِه**».

ثمّ قال: «**يا أبا ذرّ، أربعةٌ من الأنبياء ".." من العرب: هود، وصالح، وشُعيب، ونبيّك محمّد، وأوّلُ نبيٍّ من بني إسرائيل موسى، وآخرُهم عيسى..**».

صِلْ قرابتَك وإنْ قَطَعوك
صِلْ قرابتَك وإنْ قَطَعوك
صِلْ قرابتَك وإنْ قَطَعوك
عليكَ بِحُبِّ المساكين
عليكَ بِحُبِّ المساكين
عليكَ بِحُبِّ المساكين
قُلِ الحقَّ وإنْ كان مُرّاً
قُلِ الحقَّ وإنْ كان مُرّاً
قُلِ الحقَّ وإنْ كان مُرّاً
لا تَخَف في اللهِ لومةَ لائمٍ
لا تَخَف في اللهِ لومةَ لائمٍ
لا تَخَف في اللهِ لومةَ لائمٍ

قلت: يا رسولَ الله، كم أنزَلَ اللهُ تعالى من كتاب؟ قال: «مائة كتابٍ وأربعة كُتُب: أنزل اللهُ تعالى على شِيث عليه السّلام خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التّوراةَ والإنجيلَ والزَّبور والفُرقان».

قلت: يا رسولَ الله، فما كانت صُحُف إبراهيم؟ قال: «كانت أمثالاً كلّها: أيّها المَلِكُ المُبتلى المغرور، إنّي لم أبعَثْكَ لِتجمعَ الدُّنيا بعضَها على بعض، ولكنّي بعثْتُكَ لتردَّ عنّي دعوةَ المظلوم فإنّي لا أردُّها وإنْ كانت من كافرٍ. وعلى العاقلِ ما لم يكُن مغلوباً على عقلِه أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربَّه عزَّ وجلَّ، وساعة يُحاسِب فيها نفسَه، وساعة يتفكَّر في ما صَنعَ اللهُ تعالى، وساعة يَخلو فيها بحظِّ نفسِه من الحلال، وإنَّ هذه السّاعة عَوْنٌ لتلك السّاعات، واستجمامٌ للقلوب وتفريغٌ لها. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مُقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، فإنّه مَن حَسب كلامَه مِن عملِه قلَّ كلامُه إلّا في ما يَعنيه. وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث [ة]: مرمَّةٍ لمعاشٍ، وتزوُّدٍ لمعادٍ، وتلذُّذٍ في غير محرَّم». قلت: يا رسول الله، فما كانت صُحف موسى؟ قال: «كانت عِبَراً كلُّها: عجبتُ لِمَن أيقنَ بالموت لِمَ يفرح؟! ولِمَن أيقنَ بالنَّار لِمَ يضحك؟! ولِمَن يرى الدُّنيا وتقلُّبَها بأهلها لِمَ يطمئنُّ إليها؟! ولِمَن أيقنَ بالقَدَر لِمَ يَنصب [يتعب]؟! ولِمَن أيقنَ بالحساب لِمَ لا يعمل؟!».

طولُ الصَّمت مطرَدَةٌ للشّيطان

قلت: يا رسول الله، هل في أيدينا ممّا أنزل اللهُ تعالى عليك ممّا كان في صحف إبراهيم وموسى؟! قال: «يا أبا ذرّ، اقرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ الأعلى:١٤-١٩».

قلت: يا رسول الله، أَوْصِني. قال: «أُوصيك بتقوى الله، فإنَّه رأسُ الأمرِ كلِّه». قلت: زِدْني، قال: «عليكَ بتلاوةِ القرآن، وذِكْرِ اللهِ كثيراً، فإنَّه ذِكْرٌ لك في السَّماء، ونورٌ لكَ في الأرض». قلت: زِدْني، قال: «عليكَ بطولِ الصَّمت، فإنَّه مَطْرَدَةٌ للشّياطين وعَوْنٌ لك على أمرِ دِينك». قلت: زِدْني، قال: «إيّاك وكَثرة الضَّحِك، فإنّه يُميتُ القلبَ ويذهبُ بنورِ الوجه».

لا تَجد على النّاس في ما تأتي مثلَه

قلت: يا رسول الله، زِدْني، قال: «انظُر إلى مَن هو تَحتك ولا تَنظُر إلى من هو فوقك، فإنَّه أَجدرُ أن لا تَزدريَ نعمةَ الله عليك».

قلت: يا رسولَ الله، زِدْني، قال: «صِلْ قرابتَك وإنْ قَطَعوك». قلت: زِدْني، قال: «عليكَ بِحُبِّ المساكين ومجالَستِهم».

قلت: زِدْني، قال: «قُلِ الحقَّ وإنْ كان مُرّاً». قلت: زِدْني، قال: «لا تَخَف في اللهِ لومةَ لائمٍ». قلت: زِدْني، قال: «ليَحجزكَ عن النّاس ما تعلمُ من نفسِك، ولا تَجد [تَعْتَب] عليهم في ما تأتي مثلَه». ثمّ قال: «كفى بالمرء عَيباً أن يكون فيه ثلاثُ خصالٍ: يعرفُ من النّاسِ ما يَجهلُ من نفسِه، ويَستحي لهم ممّا هو فيه، ويؤذي جليسَه في ما لا يَعنيه». ثمّ قال: «يا أبا ذرّ، لا عقلَ كالتّدبير، ولا وَرَعَ كالكفّ، ولا حَسَبَ كَحُسنِ الخُلُق».

أكملُ المؤمنين إيماناً، أحسنُهم خُلُقاً

نحو تحالفٍ مشرقيٍّ ضدّ الوهّابيّة
معركةُ التّخلُّص من الانحراف

أحمد فاخر*

فَرَضَ الانتصارُ السّوريُّ واقعاً جديداً في المنطقة، ويبدو أنَّ أعداء الشُّعوب في هذه المنطقة قرّروا أن يَزجّوا بثقلهم الدّمويّ العنيف في كلِّ الأرجاء، أملاً بتغيير معادلة هذا الانتصار الكبير. من هنا يمكن الفهم أنّ هذا السّعار الصّهيو- وهّابيّ المُنفَلت من عقالِه، ومن دون أيِّ ضابطٍ أخلاقيٍّ أو إنسانيٍّ، ليُلقي بظلاله الوحشيّة على سوريا والعراق ولبنان وفلسطين، ومهدِّداً الأردنّ بعنفٍ دمويٍّ ليس له مثيل، ودون أن ننسى جرائمه اليوميّة المتكرِّرة في مصر.

يدركُ التّحالف الصّهيو- وهّابيّ أنّه يخوضُ معركته الأخيرة في ضوء المتغيِّرات الدّوليّة، وخاصّةً في منطقتنا العربيّة، هذه المتغيِّرات الّتي تحمل مشروع الخلاص من السّيطرة الاستعماريّة.

ويدركُ هذا التّحالف المجرم أنَّ انكفاءَ حليفِه الأكبر الولايات المتّحدة الأميركيّة عن منطقة الشّرق الأوسط، سَيضطرّ الوهّابيّة السّعوديّة إلى دفعِ فاتورةٍ ثقيلةٍ، نتيجة لسياساتها كأداةٍ ماليّةٍ وإجراميّةٍ في أيدي أسيادها الإمبرياليّين.

سياسة البترودولار الخائبة

منذ سبعينيّات القرن المُنصرم، وسياسة البترودولار القائمة على تحالف أموال النّفط الخليجيّة مع السّياسات الإمبرياليّة للولايات المتّحدة الأميركيّة، عملت على فرض سياساتٍ قهريّةٍ على شعوب العالم. لَعبَت أموالُ النّفط دورَ المحرِّك الشّيطانيّ لِقمْعِ توجُّهات الشُّعوب وطموحاتها بالاستقلال الوطنيّ في كلِّ أرجاء المعمورة، وبالأخصّ في منطقتنا العربيّة، عدا عن أفريقيا وآسيا وأميركا اللّاتينيّة، وقد أَنتَجت هذه السّياسات الرّجعيّة الحمقاء «تنظيم القاعدة»، والحركات الإسلاميّة المتطرّفة، للتّصدّي لحركات التّحرّر الوطنيّ، واستغلال المشاعر الدّينيّة العفويّة لدى الغالبيّة العُظمى من المسلمين، عبر خلقِ أفكارٍ همجيّةٍ وإجراميّةٍ، والتّأسيس لوهّابيّةٍ دوليّةٍ تضمُّ كلّ الحركات الإسلاميّة السّنّيّة المتطرِّفة، ابتداءً بجماعة «الإخوان المسلمين»، إلى المجموعات السّلفيّة، للانخراط في عداءٍ شَرِسٍ مع الآخَر، بغضِّ النّظر عن دينِه ومذهبِه وجنسِه، وشوَّهت الحركةُ الوهّابيّةُ معنى الدِّين الإسلاميّ أمام العالم وشعوبه.

> **منذ سبعينيّات القرن المُنصرم، وسياسة البترودولار مع السّياسات الإمبرياليّة للولايات المتّحدة الأميركيّة، عملت على فرض سياساتٍ قهريّةٍ على شعوب العالم.**

تحت شعاراتها الإجراميّة، أطلَقَت الحركةُ الوهّابيّة حملةً إرهابيّةً دمويّة في العراق، وعندما بَدأتْ نُذُر المؤامرة على سوريا تتجمّع، قامت الصّهيو- وهّابيّة بإطلاق المئات من التّنظيمات الإسلاميّة المختلفة في سوريا، من أجلِ خلقِ حربٍ طائفيّةٍ شعواء ضدّ كلّ فئات المجتمع السّوريّ، وجَلَبَت عشرات الآلاف من الشّباب المسلم البسيط، مُستغِلّةً جهلَهم وفقرَهُم، وعملت على تشويه مفاهيمهم الدّينيّة بحقدٍ أعمى على كلّ الفئات الاجتماعيّة السّوريّة، بِمَن فيهم المسلمون السّنّة المخالفون والمعترضون على الفكر الوهّابيّ.

أَنفقت الوهّابيّة السّعوديّة والخليجيّة المليارات من الدّولارات لفرضِ المذهب الوهّابيّ، وتقديمِه كمذهبٍ خامسٍ مُعتَمَدٍ ومرجعٍ وحيدٍ للسُّنّة، وكان هذا جزءاً من سياسة البترودولار، هذه السّياسة الّتي فَرَضَت ظلالَ الجهل، والتّخلُّفِ، والقَهرِ، والرّجعيّة، على شعب الجزيرة العربيّة.

إنَّ العملَ الإجراميّ الأخير في بيروت الموجّه ضدّ السّفارة الإيرانيّة وحزب الله، ليس سوى خدمة معتادة لمصالح الصّهيونيّة، ومحاولة جرِّ أتباعِ المذهب السّنّيّ لعداءِ الشّيعة تحت

* عضو الأمانة العامّة لحركة اليسار الاجتماعيّ - الأردنّ.

حجَّة الخطر والمدّ الشّيعيّ، ويُعدّ هذا التّفجير جزءاً من سلسة العمليّات الإرهابيّة الّتي تنفِّذها الوهّابيّة السّعودية في لبنان الشّقيق، كمحاولةٍ للتّأثير في الهزيمة النّكراء الّتي يتلقّاها حلفاؤها وأتباعُها على الأرض السّوريّة. وهي تعرف تماماً أنّها بلا جدوى، إلّا أنَّ الثّمن المرتفع من الدّماء والضّحايا والّذي يدفعه الشّعب اللّبنانيّ، هو محاولة مُستميتة لفرضِ سياساتٍ وهّابيّةٍ عبر حلفائها اللّبنانيّين، والّتي ستقود حتماً إلى خروج النّفوذ السّعوديّ من لبنان نهائيّاً وإلى الأبد.

> **أنفقت الوهّابيّة السّعوديّة والخليجيّة المليارات من الدّولارات لفرضِ المذهب الوهّابيّ، وتقديمه كمذهبٍ خامسٍ مُعتَمَد ومرجعٍ وحيدٍ للسُّنّة.**

الثّمن الباهظ للرّعونة سيُدفَع

إنَّ دولَ المشرق تعرف أنَّ معركتَها مع الوهّابيّة السّعوديّة هي معركةُ الانتصار، والوُلوجُ إلى مستقبلٍ آخَر تُحقِّق فيه أمنياتها بالتّحرُّر والتّقدُّم والدّيموقراطيّة، وبالتّالي فإنَّ أحد سُبُل الانتصار لشعوب المشرق في معركتها هو تصفية الحساب مع الوهّابيّة السّعوديّة، وبالتّأكيد سيكون الثّمنُ باهظاً نتيجةً لجنونِ القادة السّعوديّين ورعونتهم، وعدم تقديرهم نتائج هذه الجرائم الوحشيّة الّتي سيكون عليهم دفع حسابها الثّقيل. إنَّ المعركة ضدّ الوهّابيّة تتطلَّب جهوداً مشتركة من كلِّ الأطراف المُتضرِّرة من هذه السّياسات الإجراميّة، وتحالفاتها المُشينة مع الصّهيونيّة، والّتي لم تَعُد تَخجل بها أو تداري عليها.

هذه المعركة مع الوهّابيّة معركةٌ مُتعدِّدةُ الأوجُه، ابتداءً من إلحاق الهزيمة العسكريّة السّاحقة بها في سوريا والعراق ولبنان، وإبعاد خطرها عن الأردنّ، وذلك بمنع أميرِها من الإقامة فيه، أمّا في جانبها السّياسيّ فتتطلَّب جهوداً سياسيّةً وفكريّةً وثقافيةً وقانونيّةً لِتعريَة الوهّابيّة كَحركةٍ رجعيّةٍ لا تمتُّ إلى الدِّين الإسلاميّ بِصِلَةٍ، بل هي حركةٌ إجراميّةٌ دخيلةٌ ذاتُ أهدافٍ وتطلُّعاتٍ سياسيّةٍ معاديةٍ للشُّعوب والإنسانيّة، وبالتّالي ضرورة عزلِها وتجريمِها وملاحقتِها أسوةً بالحركات النّازية والفاشيّة، وملاحقة مسؤوليها ومتعهِّديها أمام المحاكم الدّوليّة بِتُهَمِ الإبادة والتّطهير العرقيّ والدّينيّ. والشّواهدُ والأدلّةُ على جرائمهم تمتدُّ موغلةً في القِدم عبر تاريخ الوهّابيّة كحركةٍ سياسيّةٍ إرهابيّةٍ منذ نشوئها، والّتي لم تُدارِ في يومٍ من الأيّام توجُّهاتها الإجراميّة ضدّ البشريّة.

إنَّ انتصارَ فكرة المشرقيّة، وتأسيس التّحالف المشرقيّ القائم على العلمانيّة والدّيموقراطيّة، وتحقيقَ التّنمية الوطنيّة الشّاملة، والتّحالف الكبير مع القوى العالميّة الصّاعدة «دول البريكس»، وتحالف أميركا اللّاتينيّة المناهض للإمبرياليّة، هو أحدُ أوجُه الانتصار السّياسيّ على الفكر الوهّابيّ، وتكتسبُ الفكرةُ المشرقيّة فخرَها وعدالتَها في أنَّ دُولها هي الأكثر تحمُّلاً للإرهاب الوهّابيّ، وبالتّالي تعمل على مساعدة شعب الجزيرة العربيّة والخليج على التّخلُّص من هذا الفكر المنحرف، وانفتاح شعب الجزيرة على العالم بروحٍ أُخرى مختلفة، تعرفُ قِيَمَ التّسامح والتّعاطف مع الشُّعوب الأخرى، والاشتباكَ مع الآخَر بروحٍ توّاقة إلى الاندماج مع العالم المعاصر. فالواجبُ الأخويُّ لشعوب الدّول المشرقيّة يلزم عليها تبنِّي قضايا الشّعوب المضطَهدة والّتي يقودُها حكّامُها باتّجاهٍ مغايرٍ للتّاريخ الإنسانيّ.

> **إنَّ المعركة ضدّ الوهّابيّة تتطلَّب جهوداً مشتركة من كلِّ الأطراف المُتضرِّرة من هذه السّياسات الإجراميّة، وتحالفاتها المُشينة مع الصّهيونيّة.**

يجب على قوى اليسار المشرقيّ أنْ تعملَ جاهدةً من أجل تشكيل المنظّمات القانونيّة والحقوقيّة على المستوى العربيّ والعالميّ، لِخَوضِ معركةٍ قانونيّةٍ سياسيّةٍ لإدانة الفكر الوهّابيّ واعتباره فكراً إجراميّاً، وسَوْقِ مُمَوِّليه ورعاتِه إلى المحكمة الجنائيّة الدّولية بِتُهَمِ الإبادة الجماعيّة ضدّ الأعراق والطّوائف الدّينيّة.

وثيقة على هامش (مجموعة الجُباعيّ)

تواريخ وفيّات أجداد الشّيخ البهائي العاملي

«مركز الفقيه العامليّ لإحياء التّراث»

الصّورة المدرَجة في هذه الصّفحة عبارة عن وثيقة تاريخيّة تظهر فيها تواريخ وفيّات أجداد الشّيخ محمّد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثيّ، المعروف بالشّيخ البهائيّ العامليّ (ت: ١٠٣٠ للهجرة)، وقد نعى اللّاحقُ منهم السّابقَ على التّوالي، ممّا يُظهِر أنَّ الكتاب الّذي كُتِبَت فيه هذه الوثيقة وهو (مجموعة الجباعيّ)، لم يخرج من هذا البيت الشّريف إلى أيدٍ غريبة، بل استمرَّ حفظُه وتوارثُه أكثر من مائتَي سنة، حتّى وصل للشّيخ البهائيّ نفسه.

وإليك ما وردَ في الوثيقة، وأوّل مَن سطَّر فيها العلّامة الشّيخ شمس الدّين محمّد بن عليّ الجباعيّ العامليّ، صاحب المجموعة المشار إليها والمسمّاة باسمه، قال:

ماتت والدتي، رحمها الله، فاطمة ابنة الحاجّ حسين بن إبراهيم بن علامة أوّل يومٍ من شهر الله رمضان سنة خمس وخمسين وثمان مائة، حشرها الله مع الأئمّة الميامين بحقّ محمّدٍ وآله الطّاهرين.

ومات والدي، رحمه الله، عليّ بن حسين بن محمّد بن صالح اللّويزانيّ في جمادى الأولى سنة إحدى وستّين وثمانمائة، وخلّف خمس أولاد ذكور: محمّد، ورضيّ الدّين، وتقيّ الدّين [هو الشّيخ إبراهيم الكفعميّ مؤلّف كتابَي المصباح والبلد الأمين] **وشرف الدّين، وأحمد،** [صاحب كتاب زبدة البيان في عمل شهر رمضان]

بعد هذا النّصّ، كتَب ابنُه الشّيخ عبد الصّمد (وهو جدّ البهائيّ) ما يلي:

ومات كاتبه محمّد بن عليّ بن حسين بن محمّد بن صالح اللّويزانيّ الشّهير بالجباعيّ في شهر شوّال سنة ستّة وثمانين وثمانماية وعمره أربع وستّين سنة، وخلّف ابنَين.

وبعد هذا النّصّ كتب ابنُ كاتبه وهو الشّيخ حسين بن عبد الصّمد العامليّ الجبعيّ (والد البهائيّ) ما يلي:

ومات كاتبه عبد الصّمد بن محمّد بن عليّ الجباعيّ في نصف ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين وتسعمائة، وخلّف أربع ذكورٍ وأنثى: عليّاً ومحمّداً وحسناً وحسيناً وفاطمة. وعمّر ثمانين سنة.

وبعد هذا النّصّ كتب ابنُه العلّامة الشّيخ بهاء الدّين العامليّ ما يلي:

ومات كاتبُه والدي العلّامة، رحمه الله، حسين بن عبد الصّمد بن محمّد الجبعيّ في ثامن ربيع الأوّل سنة أربع وثمانين وتسع مائة.

***

ملاحظة: في (الذّريعة) للشّيخ الطّهراني ذِكرُ مجموعتَين للجباعيّ (١٩٩٥ و١٩٩٦)، إحداهما في (مكتبة الملك) بطهران، وكان (صاحب البحار) أكثرَ النّقل عنها في مجلّد الإجازات، ومن ثمّ صارت في حوزة (صاحب المستدرك)، وفيها (أرجوزة الإمامة) نظم الشّيخ الحسن بن داود الحلّيّ الرّجاليّ.

أمّا الثّانية، ففي (مكتبة مدرسة السّيّد البروجردي) بالنّجف الأشرف، وفي أوّلها (القصائد السّبع العلويّات).

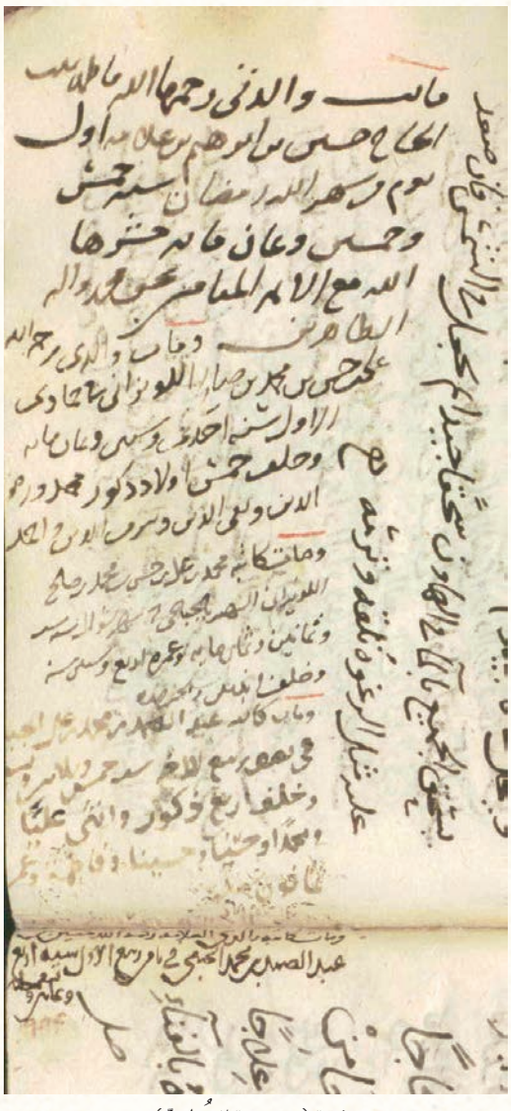

وثيقة (مجموعة الجُباعيّ)

من مخطوطات
مركز الفقيه العاملي لإحياء التراث
www.alameleya.org

دوائر ثقافية

هو الحبيبُ الذي تُرجى شفاعتُه لكلّ هَولٍ من الأهوال مُقتَحَمِ

موقف	وهل يخشى المؤمن مغادرة هذا العالم؟!	الإمام الخميني قدس سره
فرائد	الاستشفاء بتربة سيّد الشّهداء عليه السلام	إعداد: «شعائر»
قراءة في كتاب	«سَدادُ العِباد ورَشادُ العُبّاد» للفقيه البحراني	قراءة: سلام ياسين
بصائر	قومٌ مالت أرواحُهُم إلى معرفتِنا..	العلّامة المجلسيّ قدس سره
مصطلحات	الخُلُق	المحقّق السّيّد علي خان رحمه الله
مصطلحات	الاستراتيجيّة والتّكتيك	مهى أرسلان
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو
إصدارات	عربية. أجنبية. دوريات	إعداد: ياسر حمادة

..وهل يخشى المُؤمن مغادرة هذا العالم؟!

الابتلاءات ألطافٌ ربّانيّة

الإمام الخميني قدس سره

هاتان الفقرتان نقلاً عن (صحيفة نور) الحاوية لخطابات الإمام الخمينيّ وبياناته ورسائله، رضوان الله عليه. الأولى وردت في خطاب له، قدّس سرّه، ألقاه في (المسجد الأعظم) أمام حشد من الحوزويّين وأهالي مدينة قمّ المقدّسة، في الثّاني من شهر ذي الحجّة سنة ١٣٨٣ للهجرة (١٩٦٣م) عقب إطلاق سراحه من سجن النّظام الملكيّ البائد.

والثّانية مقتطفة من كلمة له موضوعها (تهذيب النّفس والمحافظة على الوحدة)، ألقاها في (مسجد الشّيخ الأنصاريّ) في مدينة النّجف الأشرف بحضور مجموعة من فضلاء الحوزة وطلبتها، وقد أُرّخت الكلمة في (الصّحيفة) ما بين عامَي ١٩٦٥ و١٩٦٧ للميلاد.

١- لم أخشَ أحداً حتّى الآن! وحتّى في ذلك اليوم الّذي أخذوني (معتقلاً)، كانوا هم الخائفين، وكنت أنا الّذي أُواسيهم أنْ لا تخافوا! فلا دينَ لنا لو أنّنا خشينا [تجنّبنا] ما تحمّلَ الأنبياءُ من الويلات لتحقيق الأهداف الإسلاميّة، وضحّى الأولياء العِظام بأنفسهم من أجلها، وأُحرق علماءُ الإسلام العظام في سبيلها، وقطّعت رؤوسهم وسُجِنوا ونُفوا..

وهل يَخشى المُتديّنُ مغادرةَ هذا العالَم؟! فإنْ كنّا نعتقد بما وراءَ هذا العالم، فعلينا أن نشكر الله، لأنّنا نُقتل في سبيله ونلحَق بالشُّهداء. أَنَخشى؟! وممَّ نخشى؟! يجب أن يخشى مَن لا مكان له غير هذا العالم [أي من لا يعتقد بالمعاد]. لقد وَعَدَنا الله تبارك وتعالى، أنّه إذا عملتُم بِدِيني، فإنَّ لكم عاقبةً حسنةً، و[نحن] نأمل أن نعمل به. لماذا نخشاكم؟ [مخاطباً السّلطة] كلّ ما تستطيعون عملَه هو أن تعدمونا، وهذا يعني بدايةَ حياة الرّاحة لنا وخلاصنا من هذا العذاب وهذه المِحَن، وقد قال مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام: «**واللهِ لَابنُ أبي طالب آنَسُ بالموتِ من الطّفلِ بثَدي أُمّه**»، ونحن شيعتُه، وإنْ كنّا نخافُ من الموت، فهذا يعني أنّنا لا نؤمن بما وراءَ الطّبيعة.

٢- إنَّ الله تبارك وتعالى ذو عنايةٍ بعباده، أعطاهُم العقلَ، وأعطاهُم القدرةَ على تهذيب أنفسِهم، ولم يَكتفِ بذلك، بل أرسلَ إليهم الأنبياء، وأنزلَ عليهم الكُتُب، وأرسلَ الأولياء، وأرسلَ المُهذِّبين. وإذا لم يحقّق كلُّ ذلك أثراً على العباد، فإنَّ اللهَ تعالى يعرِّضُ عبيدَه للقَيد والخناق، ويعرِّضُهم للسّجن، فيَمنعونهم [يريد أنّ الحكومات الجائرة هي التي تمنع] من بعض الأعمال، ويخلعون عمائمَهم، ويُهينونهم آلافَ الإهانات.

إنَّ ذلك كلّه عنايةٌ من الله بكم، غير أنّنا لا ندرك مدى اللُّطف في ذلك.

ومع كلّ ذلك، إذا لم يَصلُح أمرُ الإنسان فإنّ الله تعالى يبتليه بالأمراض، وإذا لم يؤثّر فيه ذلك أيضاً، فإنَّه تعالى يضيِّق عليه كثيراً «عند النَّزْع»، وإذا لم تنفع تلك الأمور أيضاً، فإنَّ هناك مهالك وعقبات في البرزخ، إنْ لم تنفع هي الأخرى يتعرَّض في يوم القيامة إلى ضغوط عظيمة، كلّ ذلك من أجل ألّا ينتهي به الأمر إلى جهنّم، ولكن ماذا لو لم ينفع معه كلُّ ذلك؟

حينها سينتهي به الأمر إلى «آخر الدّواء الكيّ»، لا سمحَ الله.

فرائد

ماذا أَعْدَدْتَ لها؟

قام ثوبان مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال: بأبي وأمّي يا رسول الله، أخبرني متى قيام السّاعة؟

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **ماذا أَعْدَدْتَ لها؟**

فقال ثوبان: ما أعدَدتُ لها كثيرَ عَملٍ، إلّا أنّي أحبُّ اللهَ ورسُولَه.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **وإلى ماذا بَلَغَ حُبّك لرسول الله** صلّى الله عليه وآله؟

قال: والّذي بعثك بالحَقّ نبيّاً، إنّ في قلبي محبّتكُم ما لو أنّي قُطِّعْتُ بالسّيُوف، ونُشِرْتُ بالمناشير، وقُرِّضْتُ بالمقاريض، وأُحرِقْتُ بالنّيران، وطُحنْتُ بأرحاء الحجارة، كان أحَبَّ إليّ وأسهَل عَلَيّ من أن أجِد لك في قلبي غشّاً أو دغَلاً [الدّغَل: الفساد] أو بُغضاً، ولا لأحَدٍ من أهل بيتك وأصحابك، وأَحَبُّ الخلقِ إليّ بعدَك أحبُّهم لك، وأبغضُهم إليَّ من لا يحبُّك، ويبغضُك ويبغضُ أحداً ممّن تحبُّه. يا رسول الله، هذا ما عندي من حبِّك وحبِّ مَن يحبُّك، وبُغضِ مَن يُبغضك أو يُبغضُ أحداً ممّن تحبّه، فإنْ قُبِلَ هذا منّي فقد سُعِدْتُ، وإنْ أُريدَ منّي عملٌ غيره، فما أعلمُ لي عملاً أعتمدُه وأعتدُّ به غير هذا "..."

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **أَبشِر، فإنّ المرءَ يُحشَر يوم القيامة مع مَن أحبّ. يا ثوبان، لو أنّ عليك من الذُّنوب ملءَ ما بين الثّرى إلى العرش لانحَسَرَت وزالتْ عنك بهذه الموالاة، أسرع من انحدار الظّلّ عن الصّخرة الملساء المستوية إذا طَلعت عليها الشّمس، ومِن انحسارِ الشّمس إذا غابت عنها الشّمس.**

(التّفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام)

الاستشفاء بتربة سيِّد الشّهداء عليه السلام

روى الشّيخ المتبحّر الصّالح إبراهيم الكفعميّ في كتاب (البلد الأمين) عن المهديّ صلّى الله عليه وسلّم: **مَن كتب هذا الدُّعاء في إناءٍ جديدٍ، بتربةِ الحسين عليه السّلام وغسّلَه وشربَه، شُفِي من علّته:** (بسم الله الرَّحمن الرّحيم، بسمِ اللهِ دواءً، والحمدُ للهِ شفاءً، ولا إلهَ الّا اللهُ كفاءً، هو الشّافي شفاءً، وهو الكافي كفاءً، أُذهِبُ البأسَ بربّ النّاس شفاءً لا يُغادره سقمٌ، وصلّى الله على محمّدٍ وآله النُّجباء).

ورأيتُ بخطِّ السّيّد زين الدّين عليّ بن الحسين الحسينيّ رحمه الله، أنّ هذا الدُّعاء تعلّمه رجلٌ كان مجاوراً بالحائر، على مشرّفه السّلام، عن المهديّ سلام الله عليه في منامه، وكان به علّةٌ فشكاها إلى القائم عجل الله فرجه، فأمَرَه بكتابته وغَسله وشُربه، ففعل ذلك فبَرأ في الحال.

(المحدّث النّوريّ، النّجم الثّاقب).

أشهدُ أنَّك الخَليل

عن جعفر بن محمّد [الإمام الصّادق] عليه السلام قال: **إذا سافرَ أحدُكم فقَدِم من سفره فليأتِ أهلَه بما تيسَّر، ولو بحجرٍ، فإنّ إبراهيم صلوات الله عليه، كان إذا ضاقَ أتى قومَه. وإنّه ضاق ضيقةً فأتى قومَه فوافقَ منهم أزمةً فرجعَ كما ذهب، فلمّا قَرُبَ من منزله، نزلَ عن حماره فملأَ خِرجَهُ رملاً، إرادةً أنْ يُسكِّن من رَوح سارة، فلمّا دخلَ منزلَه أخذَ الخرج عن الحمار، وافتتَح الصَّلاة. فجاءت سارة، ففتحت الخرجَ فوجدته مملوءاً دقيقاً، فاعتَجنتْ منه واختَبَزت، ثمّ قالت لإبراهيم: انفتِل من صلاتِكَ فَكُل، فقال لها: أنَّى لكِ هذا؟ قالت: من الدّقيق الّذي في الخرْج، فرفع رأسَه إلى السَّماء، فقال: أشهدُ أنَّك الخليل.**

(الحرّ العامليّ، وسائل الشّيعة)

دَعوه يَشكو بَثَّه

عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله:

* **«لَولا أنّ المساكينَ يَكذبون، ما أفلحَ مَن رَدَّهم».**
* **«أُنظروا إلى السّائل، فإنْ رَقَّتْ له قلوبُكم فأَعطوه، فإنّه صادق».**
* **«لا تَقطعوا على السّائلِ مسألتَه، دَعوه يَشكو بثَّه** [البَثّ هو الغَمّ] **وَلْيُخبِر بحالِه».**
* وعنه صلوات الله عليه: **«قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأبي ذر الغفاريّ: تَكُفُّ أذاكَ عن النّاس، فإنّه صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بها عن نفسِك».**

(سَدادُ العِباد ورَشادُ العُبّاد)

للفقيه العلّامة الشّيخ حسين آل عصفور البَحرانيّ قدس سره

قراءة: سلام ياسين

الكتاب: (سَدادُ العِباد ورَشادُ العُبّاد)

المؤلّف: آية الله الشّيخ حسين آل عصفور الدّرازيّ البحرانيّ (ت: ١٢١٦ للهجرة)

تحقيق: الشّيخ محسن آل عصفور

النّاشر: محلّاتي، قمّ المقدّسة ١٤٢١ للهجرة

يُعتبر كتاب (سداد العِباد ورشاد العبّاد) لمصنّفه العلّامة المجدِّد الشّيخ حسين آل عصفور الدّرّازيّ البحرانيّ قدس سره، المتوفّى عام ١٢١٦ للهجرة، من الكُتب الفقهيّة الّتي لها وزنها الخاصّ على الصّعيد الفقهيّ الشّيعيّ، لكثرة ما ضمّن مصنّفُه بين دفّتيه من فروعٍ فقهيّة، ومسائل وأحكام جمّة، قلَّما جُمعت في كتابٍ بهذا الحجم، وكلُّ مَن كان من ذوي الاختصاص بالفقه يدرك هذه الحقيقة بجلاءٍ ووضوح.

هذا المُصنَّف المعمول على طريقة الرّسالة العمليّة، وإلى جانب كونه رسالة فقهيّة تشتملُ على أهمّ المسائل في العبادات والمعاملات (من الطّهارة إلى المكاسب)، إلّا أنّ العلّامة البحرانيّ صبغَ متونَه بالمأثور من المستحبّات والمكروهات، فجاءت المسائل العمليّة نابضةً بالحياة، تحثّ على إعمال الفكر، وتُحرّك الرّوح بملامستها الفطرة السّليمة، والوجدان الدّينيّ.

ونظراً إلى أهمّيّة كتاب (سداد العباد ورشاد العبّاد) وقيمتة العلميّة، فقد أُعيدت طباعته مرّات عديدة، وتناوله عددٌ من العلماء بالشّرح، منهم:

١- حفيد المؤلّف، الشّيخ خلف ابن الشّيخ عبد عليّ ابن العلّامة الشّيخ حسين (ت ١٢٧٣ للهجرة/ ١٨٥٦م).

٢- الشّيخ عليّ ابن الشّيخ جعفر أبي المكارم (ت ١٣٦٤ للهجرة/ ١٩٤٤م) وسمّى شرحه: (السّداد في شرح السّداد).

٣- الشّيخ عبد المحسن الدّرازيّ البحرانيّ (ت ١٤٠٨ للهجرة/ ١٩٨٨م) وسمّاه (توضيح المفاد في شرح عبارات السّداد).

٤- كما قام بصياغته صياغة جديدة الشّيخ محسن آل عصفور تحت اسم (فقه السّداد الميسّر)، خرج منه جزء في الطّهارة والصّلاة.

ومن بعده الشّيخ حسن ابن الشّيخ أحمد العصفور، صاغه بكماله وتمامه في حلّة جديدة مبسّطة، تحت اسم (هداية العباد إلى فتاوى صاحب السّداد)، طُبع في قمّ سنة ١٤٢٧ للهجرة.

الدّاعي إلى تأليف الكتاب

دفع العلّامةَ الشّيخ حسين البحرانيّ إلى تأليف هذا الكتاب حاجةُ طلّاب العلم إلى الوقوف على فروع المسائل الفقهيّة، وفي هذا قال في مقدّمة الكتاب: «..قد التَمس منّي مَن هو واجب الإجابة لسؤاله وكلامه، أن أُؤلّف كتاباً جامعاً لفنون المسائل الفقهيّة الفروعيّة من مفتَتحه إلى تمامه، ممّا ظهر لديّ من الكتاب والسّنّة المحمّدية، الكاشفة لأشكال الحكم وإبهامه، لينتفع به المنتهي والمتوسّط والمبتدىء لمطلوبه ومرامه، ويجعله حجّةً بينه وبين ربّه في فتاويه وأعماله وأحكامه، وقد سمّيتُه (سداد العباد ورشاد العبّاد)..».

ترتيب الكتاب وتبويبه

يتميّز هذا الكتاب بحُسن تبويبه، وبسْط العبارة، وعمق التّحليل من دون التّعقيد في إظهار المسائل الفقهيّة، ما سَهَّلَ على طلّاب العلم اعتماده، سواء كانوا غايةً في العلم، أو متوسّطين فيه، أو حتّى مبتدئين. وقد رتّب الفقيه البحرانيّ مؤلّفه على نسق الكُتب الفقهيّة المعتمدة عند علماء الإماميّة، وفي هذا يقول: «ورتّبتُه طريقةَ الفقهاء لكُتبهم الفقهيّة، من الطّهارة إلى الحدود والدّيات [لم يتمّ، انتهى فيه إلى المتاجر والمكاسب]، كتباً مفصّلة بفصول وأبواب ومسائل، لكمال ترتيبه ونظامه..».

وفي ما يلي نموذجان من أنماط تناوله للأبواب الفقهيّة:

أ) كتاب الطّهارة

يبدأ المحقّق البحرانيّ مؤلّفه (سداد العباد ورشاد العبّاد) بكتاب الطّهارة، شارحاً، في الباب الأوّل (يسمّيه طرفاً)، معناها، لغةً

واصطلاحاً، وعمّا تُستحبّ له؛ كالوضوء للصّلاة المندوبة، وقراءة القرآن، وحمْل المصحف، ودخول المسجد، وصلاة الجنازة، والسّعي لقضاء الحاجة، وزيارة المقابر، وعَقيب الحدث لاستمرار الطّهارة واستدامتها، وأفعال الحجّ كلّها، وعند الغضب، وسجدة الشّكر، ولتكفين الميت، ولذكر الحائض، وغير ذلك ممّا ذُكر في هذا الباب. أمّا الغُسل، فإلى جانب ما يوجبه، يُستحبّ الإتيان به للجمعة، ولفرادى شهر رمضان كلّها، وفي كلّ ليلة من العشر الأواخر، وفي اللّيلة الأولى منه، وفي نصفه، وفي سبع عشرة، وتسع عشرة، وإحدى وعشرين، وثلاث وعشرين -أوّل اللّيل وآخره- وليلة عيد الفطر، ويومَي الفطر والأضحى، وليوم المولد الشّريف، وليوم الغدير، وليوم دَحْو الأرض، ويوم المباهلة، ويوم عرفة، وفي النّيروز، وليلتَي النّصف من رجب وشعبان، ولأوّل رجب وآخره، ولزيارة أحد المعصومين عليهم السّلام، وللاستخارة، ولدخول المدينة المنوّرة، ولحَرمها ومسجدِها وكذا مكّة المكرّمة..

الطّرف الثّاني: خصّصه المؤلّف للحديث عن أسباب الطّهارة والموجبات لها ونواقضها. **الطّرف الثّالث**: في الكيفيّة المتعلّقة بالثّلاثة [أي الوضوء والغسل والتّيمّم] ويعقد له ثلاثة فصول:

- الفصل الأوّل: **في الوضوء**؛ وتجب فيه ثمانية (النّيّة، وغَسل الوجه، وغَسل اليدين، ومسح مقدّم الرّأس، ومسح الرّجلين، والتّرتيب بين الأعضاء، والموالاة، والمباشرة له بنفسه). ويلحق به بحثان: الأوّل في مستحبّات الوضوء وسُنَنِه ومكروهاته؛ والثّاني في أحكامه وفروعه.

- الفصل الثّاني: **في الغُسل**؛ وفي ستّة مباحث: الأوّل في الجنابة وكيفيّة الغسل، والثّاني في أحكام الحيض وأحكام غسله، والثّالث في الاستحاضة، والرّابع في النّفاس، والخامس: في غسل الأموات وأحكامه، والسّادس في غُسل مسّ الميت.

- الفصل الثّالث: **في التّيمّم**؛ وفيه أربعة مباحث: الأوّل في مسوّغه، والثّاني فيما يُتيمّم به، والثّالث في الاستعمال وبيان وقته، والرّابع في الأحكام والفروع.

- **الطّرف الرّابع**: في النّجاسات، وفيه مباحث ثلاثة: الأوّل في عددها وحصرها، والثّاني في المطهّرات، والثّالث في الأحكام والفروع.

- **الطّرف الخامس**: في أحكام المياه؛ وهو مشتملٌ على ثلاثة مباحث: الأوّل في [الماء] المُطْلَق، والثّاني في المضاف والأسئار [ماء السّؤر وله أحكامه الخاصّة]، والثّالث في الأحكام والفروع.

واللّافت في كتاب الطّهارة، وكذا في بقيّة أبواب الكتاب، اشتماله على مجمل المستحبّات الّتي ترافق المسألة.

ب) كتاب الصّلاة

ثمّ ينتقل المؤلّف إلى كتاب الصّلاة، وهو بابٌ طويل، إذ يستغرقُ خُمسَ مساحة الكتاب، فيتحدّث عنها، لغةً واصطلاحاً، ويشير إلى أعدادها، ومواقيتها، وأحكام القبلة، ولباس المصلّي، ومكان الصّلاة، وكيفيّة الأذان والإقامة وما يستحبّ فيهما، وعن أركان الصّلاة، وعن الخَلل فيها وكيفيّة معالجته (الشّكّ والسّهو إلخ...) وكلّ ما له علاقة بها، أكانت صلاةً منفردة أو جماعة، ويأتي المؤلّف بجملةٍ كبيرةٍ من المستحبّات، قبل الصّلوات وبعدها، وأنواع المندوبة منها كصلاة جعفر، وصلاة الزّيارة.

ويستمرّ المحقّق البحرانيّ في معالجة بقيّة المسائل المتعارف عليها في رسائل العلماء المراجع الّتي يعتمدها المقلِّدون.

(السّداد) في ميزان العلماء

١- يقول عنه صاحب (الذّريعة إلى تصانيف الشّيعة) الشّيخ آغا بزرك الطّهرانيّ: «متنٌ جامعٌ لفروع المسائل الفقهيّة، برزَ منه مجلّدٌ في العبادات، ومن كتاب الحجّ غيّر الأسلوب وأتى بالاستدلالات على وجه متوسّط بين الإيجاز والإطناب، وبرز من المعاملات مجلّدٌ في المتاجر والمكاسب وطائفة من البيوع..».

٢- يقول صاحب (أنوار الوسائل) العلّامة الشّيخ محمّد طاهر آل شبير الخاقانيّ (ت ١٤٠٦ للهجرة/ ١٩٨٦م): «تجده حاوياً لمهمّات الفروع من العبادة والتّجارة، مع الإشارة إلى الاستدلال والتّفريعات الكثيرة الّتي قلّما يشتمل عليها كتاب فتوائيّ في عصره وما قارب عصرَه، وتراه مقفلاً في جملة أبوابه، وجوهرة لم تفضّ في مبانيه».

٣- ينقل الشّيخ محسن آل عصفور، وهو محقّق الطّبعة الحديثة من الكتاب (٢٠٠٠ ميلاديّة)، عن عمّه المرحوم الشّيخ أحمد، أنّ المرجعَ الأعلى في زمانه السّيد محسن الحكيم قدّس سرّه، كان قد طلَب منه أثناء مجاورته وسُكناه في النّجف الأشرف للدّراسة وتردّده عليه في مجلسه الخاصّ، أن يأتي له بأحد كُتب علماء البحرين الفقهيّة المعروفة، فجلب له نسخةً من كتاب (السّداد)، فأخذَها وعكفَ على مطالعتها أسبوعاً، ثمّ أرجعها إليه وأثنى على الكتاب ثناءً متميّزاً.

بصائر

اجلسْ يا مَيثم، أَوَكُلُّ علمٍ يَحتملُه عالِمٌ؟
قومٌ مالت أرواحُهُم إلى معرفتِنا.. والبحثِ عن أمرنا

العلّامة المجلسيّ قدس سره

أوردَ العلّامة الشّيخ محمّد باقر المجلسي رضوان الله عليه في الباب السّادس والعشرين من الجزء الثّاني من موسوعة (بحار الأنوار)، ستة عشرة ومائة رواية في أنّ حديث المعصومين عليهم السلام صعبٌ مُستصعب، وأنّ كلامَهم ذو وجوهٍ كثيرة، وكذا في فضل التّسليم لهم والتّدبُّر في أخبارهم والنّهي عن ردّها.

ما يلي، أربع روايات نقلاً عن (رجال الكشّيّ)، و(رياض الجنان) للفارسيّ، و(بشارة المصطفى) للطّبري الإمامي، والشّيخ محمّد بن علي الجباعيّ الجدّ الأعلى للشّيخ البهائي العاملي.

(رجال الكشّيّ): حمدويه، عن الحسن بن موسى، عن إسماعيل بن مهران، عن محمّد بن منصور، عن عليّ بن سويد السّائيّ، قال: كتب إليّ أبو الحسن [الإمام الكاظم] عليه السلام، وهو في الحَبس:

أمّا بعد، فإنّك امرؤٌ نزّلك اللهُ من آل محمَّدٍ بمنزلةٍ خاصّةٍ بما ألهَمَك من رُشدِكَ، وبصَّرك من أمرِ دِينكَ بتفضيلِهم، وردِّ الأمور إليهم، والرِّضا بما قالوا.. [إلى أن قال عليه السلام] **وادعُ إلى صراط ربِّك فينا مَن رَجَوْتَ إجابتَه، ووالِ آلَ محمّدٍ، ولا تقُل لِما بَلَغَك عنّا أو نُسِب إلينا: هذا باطل، وإنْ كنتَ تعرفُ خلافَه، فإنّك لا تدري لِمَ قلناه، وعلى أيِّ وجهٍ وَصفناه؟**

آمِن بما أخبرتُك، ولا تُفْشِ ما استَكتمتُك، أُخبركَ أنَّ مِن أوْجَب حقِّ أخيك أن لا تَكتمهُ شيئاً ينفعُه، لا مِن دنياه ولا مِن آخرته.

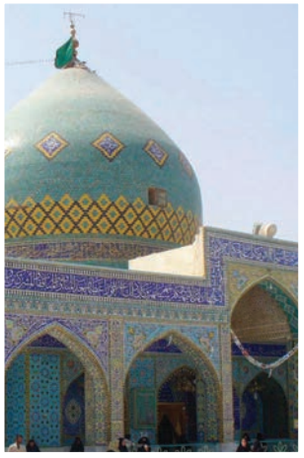

قومٌ خُلِقوا من طينةِ محمّدٍ وذرّيّته صلّى الله عليهم

من كتاب (رياض الجنان) لفضل الله بن محمود الفارسيّ، روى المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّه قال:

إنَّ أمرَنا صعبٌ مُستصعبٌ، لا يَحتملهُ إلَّا صدورٌ مشرقةٌ، وقلوبٌ منيرةٌ، وأفئدةٌ سليمةٌ، وأخلاقٌ حسَنةٌ، لأنَّ اللهَ قد أخذَ على شيعتِنا الميثاقَ؛ فمَن وَفى لنا وَفى اللهُ له بالجنّة، ومَن أبغضَنا ولم يؤدِّ إلينا حقَّنا فهو في النَّار، وإنَّ عندنا سرّاً من الله ما كلَّفَ اللهُ به أحداً غيرَنا، ثمَّ أمَرَنا بتبليغه فبلَّغناه، فلم نجِد له أهلاً ولا موضعاً ولا حَمَلَةً يحملونه، حتّى خلَقَ اللهُ لذلك قوماً خُلِقوا من طينةِ محمّدٍ وذرّيّته صلّى الله عليهم، ومِن نورِهم صَنَعَهُم اللهُ بفضلِ صُنْعِ رحمتِه، فبلَّغناهم عن الله ما أَمَرَنا، فقَبلوه واحتَملوا ذلك ولم تَضطرب قلوبُهم، ومالت أرواحُهُم إلى معرفتِنا وسرِّنا، والبحثِ عن أمرنا. وإنَّ اللهَ خلَقَ أقواماً للنّار وأَمَرَنا أنْ نبلِّغَهم ذلك فبلَّغناه، فاشمأزَّتْ قلوبُهم منه ونَفروا عنه، وردُّوه علينا ولم يَحتملوه، وكَذَّبوا به وطَبَعَ اللهُ على قلوبهم، ثمَّ أطلقَ ألسنتَهم ببعض الحقِّ؛ فهم يَنطقون به لفظاً وقلوبُهم مُنكِرةٌ له.

ثـمَّ بكـى عليـه السّـلام ورفـع يدَيـه، وقـال: **أللَّهُـمَّ إنَّ هـذه الشّرذمـة المُطيعـين لأمـرِك قليلـون؛ أللَّهُـمَّ فاجعَـل مَحياهُـم مَحيانـا ومَماتَهـم مَماتنـا، ولا تُسـلِّط عليهـم عـدوّاً، فإنَّك إنْ سَـلَّطْتَ عليهـم عـدوّاً لـنْ تُعْبَد.**

فأبشِروا ثمَّ أبْشِروا

(بشـارة المصطفـى): محمّـد بـن عـليّ بـن عبـد الصّمـد، عـن أبيـه، عن جـدِّه، عـن أبي الحسـين بـن أبي الطّيّب، عـن أحمد بـن القاسـم الهاشـميّ، عـن عيسى، عـن فـرج بن فـروة، عن مسـعدة بـن صدقـة، عن صالـح بن ميثـم [التّمّار]، عـن أبيه، قال:

بينمـا أنـا في السُّـوق إذ أتـاني أَصبَغُ بـن نباتة، فقـال: وَيحك يا ميثـم، لقد سـمعتُ مـن أمير المؤمنـين عليّ بـن أبي طالب عليه السّـلام حديثـاً صعباً شـديداً، فأيُّنا نكـونُ كذلك؟

قلت: وما هو؟

قال: سـمعتُه يقـول: **إنّ حديثَنا أهلَ البيت صعبٌ مُستصعبٌ، لا يحتملُـه إلّا مَلَـكٌ مقرَّبٌ، أو نبيٌّ مُرسَـلٌ، أو عبـدٌ امتحنَ اللهُ قلبَه للأيمان.**

فقمْـتُ مـن فورتي فأتيـتُ عليّـاً عليه السّـلام، فقلت: يـا أميرَ المؤمنـين، حديـثٌ أخـبَرَني بـه الأصبـغ عنـكَ قـد ضقْـتُ بـه ذرعاً.

قال: **وما هو؟** فأخبرتُه.

قـال: فتبسَّـم ثـمَّ قـال: **اجلـسْ يـا ميثـم، أَوَكُلُّ علـمٍ يَحتملُه عالِـمٌ؟ إنَّ اللهَ تعـالى قـال للملائكتِـه:** ﴿..إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ البقـرة:٣٠. **فهـل رأيـتَ الملائكـةَ احتَمَلـوا العِلـمَ؟**

قال: قلت: هذه وَاللهِ أعظمُ من ذلك.

قـال: **والأخـرى أنَّ مـوسى عليـه السّـلام أَنـزلَ اللهُ عـزَّ وجـلَّ عليـه التَّـوراة، فَظَـنَّ أنْ لا أحـدَ أعلـمُ منـه، فأخـبَره اللهُ عـزَّ وجـلَّ أنَّ في خَلقـي مـن هـو أعلـمُ منـك، وذاك إذ خـافَ على نبيِّـه العُجْـبَ**، قـال: **فدعـا ربَّـه أنْ يرشـدَه إلى العالِـم**، قـال: **فجمَـع اللهُ بينه وبين الخِضْر؛ فخَرَقَ السَّـفينةَ فلـم يَحتمِل ذاكَ مـوسى، وقَتَلَ الغُـلامَ فلم يحتَمله، وأقـامَ الجدارَ فلـم يَحتَمله. وأمَّـا المؤمنـون، فـإنَّ نبيَّنـا صـلّى الله عليه وآلـه أَخذَ يـوم غديرِ خُـمٍّ بيـدي، فقـال: أللَّهُـمَّ مَـن كنتُ مـولاه فـإنَّ عليّـاً مَولاه، فهـل رأيْتَ احتملـوا ذلك إلَّا مَـن عَصَمَهُ اللهُ منهـم؟ فأَبشِروا ثـمَّ أبـشِروا، فـإنَّ الله تعالى قد خصَّكُـم بما لَمْ يخصَّ بـه الملائكة والنّبيّـين والمرسـلين في مـا احتَملتُـم مـن أمـرِ رسـول الله صلّى الله عليـه وآلِـه وعِلمِه.**

* أقـول [العلّامـة المجلسي]: وجدتُ في كتاب (سُـلَيم بن قيس) أنَّ عـليّ بـن الحسـين عليه السلام، قـال لأبـان بـن أبي عيّـاش: **يـا أخا عبـدِ قَيـس، فإنْ وضحَ لـك أمرٌ فاقبَله، وإلَّا فاسـكُتْ تَسـلَم، ورُدَّ علمَـه إلى الله، فإنّـك في أوسـع ممّا بين السّـماء والأرض.**

لا تقولوا: لِمَ صنعَ كذا وكذا، فتُشرِكوا

ووجـدتُ [الـكلام للمجلسيّ] بخـطِّ الشّـيخ محمّـد بـن عـليّ الجباعـيّ قـدّس سرّه، نقـلاً مـن كتـاب (البصائـر) لسـعد بن عبـد الله بـن أبي خلَـف القمّـيّ، عـن الحسـين بـن سـعيد، عـن صفـوان، عـن عبـد الله الكاهـليّ، عـن أبي عبـد الله عليـه السّـلام، أنّـه تـلا هـذه الآيـة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ النّسـاء:٦٥.

فقـال: **لـو أنَّ قومـاً عَبـدوا اللهَ وحـدَه، ثـمَّ قالـوا لـشيءٍ صَنَعَه رسـولُ الله صـلّى الله عليـه وآلـه: لِـمَ صَنَع كـذا وكـذا؟ أو لو صَنَـعَ كذا وكذا خـلافَ الّذي صَنَع، لكانـوا بذلك مشركين.**

ثـمّ قـال: **لو أنَّهـم عبـدوا اللهَ ووَحَّـدوه ثمّ قالـوا لـشَيءٍ صَنَعَهُ رسـولُ الله صـلّى الله عليه وآلـه: لِمَ صنعَ كذا وكـذا؟ ووجدوا ذلـك من أنفسـهم لكانـوا بذلك مشركـين.** ثمَّ قـرأ الآية.

مصطلحات

الخُلُق

أصلُهُ غريزيّ، وكمالُه مُكتَسَب

المحقّق السّيّد عليّ خان رحمه الله*

الخُلُق: بضمّتَين، وقد يُسكَّن، مفردُ الأخلاق.

قال الرّاغب: «هو والمفتوح -في الأصل- بمعنًى واحد، لكن خُصّ المفتوح [خَلْق] بالهيئات والصُّور المدرَكة بالبصر، والمضموم [خُلُق] بالسّجايا والقوّة المدرَكة بالبصيرة».

وعرَّفوه بأنّه مَلَكةٌ للنّفس، يصدرُ عنها الفعل بسهولةٍ من غير رويّةٍ وفكرٍ، وهو قريبٌ من الغريزة، وهي مَلَكةٌ تصدرُ عنها صفاتٌ ذاتيّة، إلّا أنّ للاعتياد مدخلاً في الخُلُق دون الغريزة.

واختُلف في الخُلُق:

١- فقيل: هو غريزيّ من جنس الخلقة، ولا يُستطاع تغييرُه خيراً كان أو شرّاً، كما قال:

وما هذه الأخلاقُ إلّا غرائزٌ

فمنهنّ محمودٌ ومنها مذمَّمُ

ولن يستطيعَ الدّهرَ تغييرَ خُلْقِهِ

لئيمٌ ولن يَسْطِيعَها مُتَكَرِّمُ

ويدلّ عليه قوله صلّى الله عليه وآله: «**مَن آتاهُ اللهُ وجهاً حسناً وخُلُقاً حسناً، فَلْيَشْكُرِ اللهَ**». ومحالٌ أن يمكنَ المخلوق تغييرَ فعل الخالق، فالتّكليفُ بتهذيب الأخلاق تكليفٌ بما لا يُطاق!

٢- وقيل: بل هو كسبيّ، لقوله عليه السّلام: «**حسّنوا أخلاقكم**»، فلو لم يكن كَسْبيّاً لَما أمر به، ولأنّنا نرى كثيراً من النّاس يزاولون ويمارسون خُلُقاً من الأخلاق حتّى يصير ملَكَة.

٣- وقال بعضهم: الحقّ أنّ أصلَه غريزيّ، وتمامَه مُكتسب. وبيانه: أنّ الله تعالى خلق الأشياء على ضربَين:

أحدهما: بالفعل، ولم يجعل للعبد فيه عملاً، كالسّماء والأرض والهَيئة.

والثّاني: بالقوّة، وهو ما خلقَه خَلقاً ما وجعل فيه قوّة، ورشّح الإنسانَ لإكماله وتغيير حالِه، وإن لم يرشّحه لتغيير ذاته، كالنّوى الّذي جعل فيه قوّةَ النّخل، وسهّل للإنسان سبيلاً أن يجعله بعون الله نَخْلاً، وأن يفسدَه إفساداً.

قال: والخُلُق من الإنسان يجري هذا المجرى، في أنّه لا سبيل للإنسان إلى تغيير القوّة الّتي هي السّجيّة والغريزة، وجعلَ له سبيلاً إلى إسلاسها، ولهذا قال تعالى: ﴿وقَد خابَ مَن دَسّاها﴾ الشّمس:١٠، ولو لم يكُن كذلك لبطلت فائدةُ المواعظ والوصايا، والوعد والوعيد، والأمر والنّهي، ولَمَا جوَّز العقلُ أن يُقال للعبد: لِمَ فعلتَ؟ ولِمَ تركتَ؟ وكيف يكون هذا في الإنسان ممتنعاً، وقد وجدناه في بعض البهائم ممكناً؟ فالوحشيّ قد يُنقل بالعادة إلى التّأنُّس، والجامحُ إلى السّلاسة. لكنّ النّاس في غرائزهم مختلفون، فبعضهم جُبِل جِبلَّةً سريعة القبول، وبعضهم بطيئةَ القبول، وبعضهم في الوَسط، وكلٌّ لا ينفكّ من أثرِ قبولٍ وإن قلّ. ومن هنا ما ورد في الأدعية من طلب التّوفيق لمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وفي الأحاديث من الأمر بها والحثّ عليها.

قال الرّاغب الأصفهانيّ: «وأرى أنّ مَن منع تغيير الخُلق فإنّه اعتبر القوّة نفسَها، وهذا صحيح، فإنّ النّوى محالٌ أن يُنبتَ الإنسانُ منه تفّاحاً، ومَن أجاز تغييره فإنّه اعتبر إظهار ما في القوّة إلى الوجود وإمكانَ إفساده بإهماله، نحو النّوى، فإنّه يمكن أن يُتَفقّد فيُجعل نخلاً، وأن يُترَكَ مهملاً حتّى يفسد، وهذا صحيح أيضاً، فإذن اختلافهما بحسب اختلاف نظرَيهما».

* من كتابه (رياض السّالكين في شرح صحيفة سيّد السّاجدين) - شرح دعاء مكارم الأخلاق.

الاستراتيجيّة والتّكتيك
فنّ مطابقة الوسائل مع الغايات

مهى أرسلان

غالباً ما ترِد كلمة «استراتيجيّة» في مجالاتٍ عدّة من مشاغل التّفكير البشريّ؛ في السّياسة، والحرب، والفكر، والثّقافة، والاقتصاد. حتّى أنّ هذه الكلمة تحوّلت إلى مفهومٍ قابلٍ للاستعمال في المجالات المذكورة جميعاً. غير أنّ للكلمة/ المفهوم أصولها الّتي تعود الى حقل النّزاع والتّنافس بين الدّول، وكيفيّة تحقيق الحسم والغلَبة في الحروب النّاشبة في ما بينها.

فيلسوف الحرب كلاوزفيتس يعرِّف الاستراتيجيّة بأنّها: «فنّ استخدام المعارك كوسيلةٍ للوصول إلى هدف الحرب». أي أنَّ الاستراتيجيّة تضع المخطَّط الإجماليّ، وتحدِّد التّطوّر المتوقَّع لمختلف المعارك الّتي تتألّف منها الحرب. لكن، ثمّة من العلماء مَن رأى، أنّ من عيوب هذا التّعريف، أنّه يُدخل هذه الفكرة في حقل السّياسة، او أنّه يضعها في أعلى مستوًى لقيادة الحرب، وهذه أمور تتعلّق بمسؤوليّة الدّولة لا بحدود عمل القادة العسكريّين الّذين تستخدمهم السّلطة الحاكمة ليقوموا بإدارة العمليّات وتنفيذها. وهناك من القادة التّاريخيّين مَن قدّم تعريفاً أكثر وضوحاً، حيث قال: «إنَّ الاستراتيجيّة هي: إجراء الملاءمة العمليّة للوسائل الموضوعة تحت تصرّف القائد إلى الهدف المطلوب».

أمّا المفكّر العسكريّ ليدل هارت فيعرِّف الاستراتيجيّة بأنّها: «فنّ توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكريّة، لتحقيق هدف السّياسة». إذ إنّ الاستراتيجيّة لا تَعتمد على حركات الجيوش فحسب، ولكنّها تعتمد أيضاً على نتائج هذه الحركات، وعندما يؤدّي استخدام واسطة الحرب إلى معركةٍ حقيقيّة، فإنّ الاستعدادات الّتي تُتَّخذ لإعداد مثل هذا العمل وتنفيذه، تشكِّل ما يسمَّى «التّكتيك»، ويمكن الفصل بين الاستراتيجيّة والتّكتيك نظريّاً في أثناء الحديث، بينما يتعذَّر ذلك في الأمثلة العمليّة، نظراً لتشابكهما وتأثير كلّ واحدٍ منها في الآخَر.

ماذا الآن عن الاستراتيجيّة العليا، وما الّذي يميّزها عن الاستراتيجيّة الدّنيا والتّكتيك؟

يلاحظ مفكّرو الحرب وفلاسفتها، أنّ هذه المفاهيم (التّكتيك – الاستراتيجيّة – الاستراتيجيّة العليا) هي مستوياتٌ ثلاثة لمفهومٍ واحدٍ. وهي لا تنفصل عن بعضها البعض عندما يوضَع المخطَّط العامّ موضع النّظر والتّطبيق، فإذا كان التّكتيك هو تطبيق الاستراتيجيّة العليا على مستوًى أدنى، فإنّ «الاستراتيجيّة العليا» ليست سوى السّياسة الّتي تقود سَير الحرب.

ويُستعمل تعبير الاستراتيجيّة العليا لشرح فكرة «السّياسة خلال التّنفيذ»، وإيضاح أنّ دورها الحقيقيّ يكمن في توجيه كلّ إمكانيّات البلاد وتنسيقها، وايجاد التّكامل اللّوجستيّ بين أعضاء الحلف العسكريّ، بغية الحصول على الهدف السّياسيّ.

وينبغي إدراك أنّ القدرة الحربيّة هي عامل من عوامل الاستراتيجيّة العليا، الّتي تدخل في حسابها قوى الضّغط الماليّ، أو السّياسيّ، أو الدّبلوماسيّ، أو التّجاريّ، أو المعنويّ، وكلُّها عوامل مهمّة لإضعاف إرادة الخصم.

يُجمِع الخبراء على أنَّ مدى الاستراتيجيّة محدود بالحرب، ولكنّ الاستراتيجيّة العليا، تنظر إلى ما وراء الحرب، وبالتّالي نحو السّلم الّذي سيعقبها، إنّما عليها أن تنظِّم استخدامها بغية تفادي ما يؤذي السّلم المقبل، الّذي يجب أن يكون ثابتاً ويحقّق حياةً أفضل.

يمكن القول إنّ بين الاستراتيجيّة والسّياسة تَوْأَمة يستحيل فصلها. ولذا فإنّ لكلِّ سياسةٍ معيّنة، استراتيجيّة مثلَّثة الحدود، بينما تسري هذه الحدود والمستويات في كلِّ خطّةٍ سياسيّة، يُراد من خلالها بلوغُ الهدف الأخير.

حِكَم

مِن حِكَم أمير المؤمنين عليه السلام:

* «أَلَا وإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وخُلِعَتْ لُجُمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ، أَلَا وإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ».

* «أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ، وهُمْ نِيَامٌ».

* «مَنْ تَرَدَّدَ فِي الرَّيْبِ وَطِئَتْه سَنَابِكُ الشَّيَاطِينِ».

* «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ».

* «إِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ».

* «العَفافُ زِينَةُ الفَقْر».

* «المَالُ مادَّةُ الشَّهَوَات».

لغة

البَوش والجماعة والعصابة

البَوْشُ: الجماعةُ الكثيرةُ. قال: ابْنُ سِيدَهْ: البَوْشُ والبُوشُ جماعةُ القومِ لَا يَكُونُونَ إِلّا مِنْ قبائِلَ شَتَّى.

وَقِيلَ: هُمَا الجماعةُ والعيَال. وَقِيلَ: هُمَا الكَثْرة مِنَ النَّاسِ، وَقِيلَ: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ الْمُخْتَلِطِين. والأَوْباشُ جمعٌ مَقْلُوبٌ مِنْهُ. وبَوَّشَ القومُ: كثرُوا واختَلطوا. وَتَرَكَهُمْ هَوْشاً بَوْشاً أَي مُخْتَلِطِينَ.

والبَوْشِيُّ: الرَّجُلُ الْفَقِيرُ الكَثيرُ العيال.

وَجَاءَ مِنَ النَّاسِ الهَوْشِ والبَوْشِ، أَي الْكَثْرَةُ؛ عَنْ أَبِي زَيْدٍ.

وباشَ يَبُوش بَوْشاً إِذا صَحِب البَوْشَ، وَهُمُ الغَوْغاءُ. وَرَجُلٌ بَوْشِيّ وبُوشِيّ: مِنْ خُمّان النَّاسِ ودَهْمائِهم.

والجماعةُ: عددُ كلّ شيءٍ وكثْرَتُه. وقد استعملوا ذلك في غيرِ النّاسِ حتّى قالوا: جَماعة الشّجر وجماعة النّبت.

والعُصْبةُ والعِصابةُ: جماعةُ مَا بَيْنَ العَشَرة إِلى الأَربعين. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿..وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ..﴾ يوسف:٨. وكلُّ جماعةِ رجالٍ وخيلٍ بفُرْسانِها، أَو جماعةِ طَيْرٍ أَو غَيْرِهَا: عُصْبةٌ وعِصابَةٌ.

قَالَ الأَخفش: والعُصْبةُ والعِصَابةُ جَمَاعَةٌ لَيْسَ لَهَا وَاحِدٌ. والعَصائبُ: جَمْعُ عِصابة، وَهِيَ مَا بَيْنَ الْعَشَرَةِ إِلى الأَربعين. وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ عليه السلام: «**الأَبْدالُ بِالشَّامِ، والنُّجَباءُ بِمِصْرَ، والعَصائبُ بالعِراق**». أَراد أَنّ التَّجَمُّعَ للحُروب، يَكُونُ بالعِراقِ. وَقِيلَ: أَراد جَمَاعَةً مِنَ الزُّهَّادِ، سَمَّاهم بالعَصائب، لأَنّه قَرَنَهم بالأَبدال والنُّجَباءِ.

(لسان العرب: مواد بوش، وجمع، وعصب – بتصرّف)

تاريخ

زاوية مخصّصة لأوراق من التّاريخ، ترقى إلى مستوى الوثائق السياسيّة

تُعَرِّف أهلَ الشّام أموراً لا نريدُ أن يعرفوها

اتّفقت المصادر على أنَّ أوّل مَن صنّف في السّيرة عُبيد الله بن أبي رافع خادم النّبيّ ﷺ. "..." وكان أبوه أبو رافع رضي الله عنه، مرجعاً في السِّيرة: «كان ابن عبّاس يأتي أبا رافع فيقول: ما صنع النّبيّ ﷺ يوم كذا؟ ومع ابن عبّاس ألواحٌ يكتبُ فيها». (تقييد العلم لابن عبد البرّ: ٩٢؛ والإصابة لابن حجر: ٤ / ١٢٥). فأين هذا الكنز الثّمين: كتاب ابنُ أبي رافع رحمه الله؟! لا تعجب إنْ أحرقَته الحكومات، فقد كان الإحراقُ من سياستهم!

قال الزُّبير بن بكّار في (الموفّقيّات، ص ٢٢٢)، وهو من علماء السُّلطة:

«قَدِمَ سليمانُ بن عبد الملك إلى مكّة حاجّاً سنة ٨٢ للهجرة، فأمر أبان بن عثمان أن يكتب له سِيَرَ النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ومغازيه، فقال له أبان: هي عندي، قد أخذتُها مصحّحةً مِمَّن أثقُ به. فأمر سليمان عشرةً من الكتّاب بنسخها، فكتبوها في رقٍّ. فلمّا صارت إليه، نظر فإذا فيها ذِكرُ الأنصار في العقبَتَين وفي بدر، فقال: ما كنتُ أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل! فإمّا أن يكون أهل بيتي غمصوا [كذبوا] عليهم، وإمّا أن يكونوا ليس هكذا! فقال أبان: أيُّها الأمير، لا يمنعنا ما صنعوا أن نقولَ بالحقّ، هم على ما وَصَفْنا لكَ في كتابنا هذا! فقال سليمان: ما حاجتي إلى أن أنسخَ ذاك حتّى أذكره لأمير المؤمنين لعلّه يخالفه، ثمّ أمر بالكتاب فحُرِق!

ورجع فأخبر أباه عبد الملك بن مروان بذلك الكتاب، فقال عبد الملك: وما حاجتُك أن تَقْدِم بكتابٍ ليس لنا فيه فضل، تُعَرِّفُ أهلَ الشّام أموراً لا نريد أن يعرفوها؟! قال سليمان: فلذلك أمرتُ بتحريق ما نسختُه، فصوَّبَه».

(جواهر التّاريخ، الشّيخ علي كوراني)

بلدان

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديّين

العراق

سُمّي العراقُ عِراقاً لأنّه سفلَ على نجد، ودَنا من البحر، كعِراق القِربة وهو الخرز المثنيّ الّذي في أسفلِها، وهو الّذي يضعُه السقّاءُ في صدره. وقيل: العراقُ في كلامهم الطَّيْر، قالوا: وهو جمع عَرَقة، والعَرَقة: ضربٌ من الطّير.

ويقال أيضاً: العراق جمع عِرق، وقال قطرب: إنّما سمّي العراقُ عراقاً لأنّه دنا من البحر وفيه سِباخٌ [جمع سَبَخَة، وهي أرض ذات ملح وماء] وشَجَر، يُقال: استَعرقتْ إبلُهم إذا أتتْ ذلك الموضع.

وقال الخليل: العراق شاطئُ البحر، وسمّي العراقُ عراقاً لأنّه على شاطئ دجلة والفرات مدّاً حتّى يتصل بالبحر على طوله.

وقال الأصمعيّ: ما دونَ الرّمل عراق، وقال المدائنيّ: عملُ العراق من هيت إلى الصّين والسّند والهند، ثمّ كذلك الرّيّ وخراسان، والدَّيلم وجيلان والجبال، وإصبهان سرّةُ العراق، ومَن وَلِي العراقَ فقد ولي البصرة والكوفة والأهواز وفارس وكرمان والهند والسّند وسجستان وطبرستان وجرجان. ويُقال للبصرة والكوفة، معاً، العِراقان.

والعراق في الطّول من عانة إلى البصرة، والبصرة تُتاخمُ الأهواز، والأهواز تتاخمُ فارس، وفارس تتاخمُ كرمان، وكرمان تتاخم كابل، وكابل تتاخم زرنج [كانت قصبة سجستان]، وزرنج تتاخم الهند.

وقال بعض أهل النّظر: أهلُ العراقِ هم أهلُ عقولٍ صحيحة، وشمائلَ موزونة، وبراعةٍ في كلّ صناعة، مع اعتدال الأعضاء، واستواء الأخلاط، وسُمرة الألوان، وهي أعدلُها وأقصدُها..

(مصادر)

يا خاتَمَ الرُّسلِ بَعْثاً وَهوَ أَوَّلُها

من قصيدة شاعر أهل البيت عليهم السلام السيّد صفيّ الدّين الحِلّيّ

* صَفِيّ الدّين الحِلّي، (٦٧٥ - ٧٥٠ للهجرة)، عبد العزيز بن سرايا بن عليّ بن أبي القاسم، السّنبسيّ الطّائيّ. وُلد ونشأ في الحلّة، بين الكوفة وبغداد، وتُوفّي في الأخيرة.
* هو أوّل مَن نظم في (البديعيّات)، وهي صنفٌ من الشّعر في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله يتضمَّنُ أصنافاً متعدّدةً من البديع، وهو الّذي نظمَ بيتاً لكلّ بحرٍ شعريٍّ سُمِّيت مفاتيح البحور ليَسهلَ حفظُها.
* ما يلي، أبيات من قصيدة طويلة له في مدح النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله.

فَيروزَجُ الصُبحِ أَم ياقوتَةُ الشَّفَقِ ... بَدَت فَهَيَّجَت الوَرقاءَ في الوَرَقِ
أَم صارِمُ الشَرقِ لَمّا لاحَ مُختَضِباً ... كَما بَدا السَّيفُ مُحمَرّاً مِنَ العَلَقِ
وَمالَت القُضْبُ إِذ مَرَّ النَسيمُ بِها ... سَكرى كَما نُبِّهَ الوَسنانُ مِن أَرَقِ
وَالغَيمُ قَد نَشَرَت في الجَوِّ بُردَتَهُ ... ستراً تُمَدُّ حَواشيهِ عَلى الأُفُقِ
وَالسُحْبُ تَبكي وَثَغرُ البَرقِ مُبتَسِمٌ ... وَالطَّيرُ تَسجَعُ مِن تيهٍ وَمِن شَبَقِ
فَالطَّيرُ في طَرَبٍ وَالسُحبُ في حَرَبٍ ... وَالماءُ في هَرَبٍ وَالغُصنُ في قَلَقِ
وَعارِضُ الأَرضِ بِالأَنوارِ مُكتَمِلٌ ... قَد ظَلَّ يَشكُرُ صَوْبَ العارِضِ الغَدِقِ
وَكَلَّلَ الطَلُّ أَوراقَ الغُصونِ ضُحىً ... كَما تَكَلَّلَ خَدُّ الخَودِ بِالعَرَقِ
وَأَطلَقَ الطَّيرُ فيها سَجعَ مَنطِقِهِ ... ما بَينَ مُختَلِفٍ مِنهُ وَمُتَّفِقِ
وَالظِّلُّ يَسرِقُ بَينَ الدَّوحِ خُطوَتَهُ ... وَلِلمِياهِ دَبيبٌ غَيرُ مُستَرَقِ
وَقَد بَدا الوَردُ مُفتَرّاً مَباسِمُهُ ... وَالنَّرجِسُ الغَضُّ فيها شاخِصُ الحَدَقِ
مِن أَحمَرٍ ساطِعٍ أَو أَخضَرٍ نَضِرٍ ... أَو أَصفَرٍ فاقِعٍ أَو أَبيَضٍ يَقِقِ
وَفاحَ مِن أَرَجِ الأَزهارِ مُنتَشِراً ... نَشرٌ تَعَطَّرَ مِنهُ كُلُّ مُنتَشِقِ
كَأَنَّ ذِكرَ رَسولِ اللهِ مَرَّ بِها ... فَأُكسِبَت أَرَجاً مِن نَشرِهِ العَبِقِ
مُحَمَّدُ المُصطَفى الهادي الَّذي اعتَصَمَتْ ... بِهِ الوَرى فَهَداهُمْ أَوضَحَ الطُّرُقِ
وَمَن لَهُ أَخَذَ اللهُ العُهودَ عَلى ... كُلِّ النَبِيّينَ مِن بادٍ وَمُلتَحِقِ
وَمَن رَقى في الطِّباقِ السَّبعِ مَنزِلَةً ... ما كانَ قَطَّ إِلَيها قَبلَ ذاكَ رُقِي
وَمَن دَنا فَتَدَلّى نَحوَ خالِقِهِ ... كَقابِ قَوسَينِ أَو أَدنى إِلى العُنُقِ
وَمَن يُقَصِّرُ مَدحُ المادِحينَ لَهُ ... عَجزاً وَيَخرَسُ رَبُّ المَنطِقِ الذَلِقِ
وَيُعوِزُ الفِكرُ فيهِ إِن أُريدَ لَهُ ... وَصفٌ وَيَفضُلُ مَرآهُ عَنِ الحَدَقِ
عُلاً مَدَحَ اللهُ العَلِيُّ بِها ... فَقالَ إِنَّكَ في كُلٍّ عَلى خُلُقِ
يا خاتَمَ الرُّسلِ بَعْثاً وَهوَ أَوَّلُها ... فَضلاً وَفائِزُها بِالسَّبْقِ وَالسَّبَقِ
جَمَعتَ كُلَّ نَفيسٍ مِن فَضائِلِهِم ... مِن كُلِّ مُجتَمِعٍ مِنها وَمُفتَرِقِ

إصدارات عربية

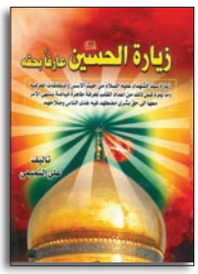

الكتاب: زيارة الحسين عليه السّلام عارفاً بحقّه

المؤلّف: الشّيخ علي التّميميّ

«زيارة الحسين عليه السّلام (عارفاً بحقّه) – الأُسس والمنطلقات المعرفيّة» للشّيخ علي التّميميّ، كتابٌ يتعرّض لـ «زيارة سيّد الشّهداء عليه السّلام من حيث الأُسس والمنطلقات المعرفيّة، وما يلزم قبل ذلك من إعدادِ القلب لمعرفةٍ طاهرةٍ فيّاضة، ينتهي الأمر معها إلى حقٍّ بشريٍّ مضطهد، فيه هُدى النّاس وصلاحهم».

وفي لمحة موجزة، يُمكن القول إنّ الكتاب يستعرضُ –فضلاً عن المنطلقات المعرفيّة المشار إليها– حقائقَ عالم الدّين والمُداينة/ المقامات الحسينيّة بحسب الاصطفاء الإلهي/ الأبعاد المعرفيّة في البكاء/ واقعيّة ما وعدوا به صلوات الله عليهم من آثار الزّيارة/ بيان المراد من (المعرفة) التي حُثَّ عليها، وكذا المراد من (حقّ الإمام) الذي تجب معرفته.

في تمهيده للكتاب، يقول المؤلّف الشّيخ التّميمي: «إنَّ روايات الزّيارة شبكةٌ متكاملةٌ من (معالجاتٍ كونيّةٍ) تفوق البُعد الفرديّ والاجتماعيّ، وتفوقُ البُعد الدّنيويّ، وتفوق البُعد البرزخيّ أو الحسابيّ.. تفوق كلّ هذه الأبعاد لأنّها.. عروجٌ متعدِّد الطُّرق والأنحاء إلى الله سبحانه وتعالى! وأهمّ ما في ذلك أنَّ بعضاً منها ينتهي إلى مشاهد من القُرْب والعطايا الّتي لا نظير لها في شيءٍ من العبادات. «..»

والأئمّة عليهم السّلام مثلما أرشدوا إلى الطّريق، نبّهوا على وجود القدرة عليه لدى الإنسان، كما في المرويّ عن أمير المؤمنين عليه السّلام عندما وصف المتّقين. «..» فما أرشدوا إليه وحثّوا عليه، إنّما هو لاستثارة المكنون من كمالات الفطرة، الوافرة جدّاً، الّتي يمكن من خلالها النّظر ومن ثمّ التّكامل في آثار معرفتهم وولايتهم، عليهم السّلام.

وبهذه النّظرة المعرفيّة التّفاعليّة، ستكون الزّيارة المطلوبة عبارة عن تفاعلٍ روحيٍّ واقعيٍّ «..» فتخرج من دائرة الألفاظ وكتابة الملائكة، إلى ما هو أجلى وأعظم».

تتوزّع مادّة الكتاب على أربعة فصول:

الفصل الأوّل: فقه الزّيارة: الأُسس والمنطلقات المعرفيّة.

الفصل الثّاني: لمحات ممّا ورد في سيّد الشّهداء عليه السّلام من فضائل، وله ارتباط بأبحاث زيارته وأبحاث حقّه صلوات الله عليه في الإمامة.

الفصل الثّالث: في المعرفة الّتي حثَّ عليها الأئمّةُ عليهم السّلام شيعتَهم.

الفصل الرّابع: في (حقّ) الإمام في النّظام المعرفيّ العمليّ لصلاح الإنسان وتكامله.

الكتاب: مفردات القرآن الكريم، تفسيرٌ وبيان

المؤلّف: الشّيخ محمّد هويدي

النّاشر: «دار المحجّة البيضاء»، بيروت ٢٠٠٧م

عن «دار المحجّة البيضاء» في بيروت صدر كتاب «مفردات القرآن الكريم، تفسيرٌ وبيان» لفضيلة الشّيخ محمّد هويدي، حيث الهدف الأساس من إعداده هو «تيسير الفكر القرآنيّ لأوسع قطاعات الأمّة، من خلال شرح مفردات الكتاب الكريم وتفسيرها، واعتماد أحدث الأساليب لاستخراج معاني الآيات والمفردات القرآنيّة بسرعةٍ وسهولةٍ، وبطريقةٍ علميّةٍ وعمليّة».

من مميّزات هذا الكتاب:

- اعتماد صفحات مطابقة لصفحات (المصحف الشّريف بخطّ عثمان طه)، وهو المتداول الآن.
- شرح الآيات ومفرداتها الّتي كثيراً ما نحتاج إليها في استشهادنا بها في حياتنا اليوميّة.
- اعتماد الحجم الصّغير للكتاب حيث يسهل حمله في الحضَر والسّفر.

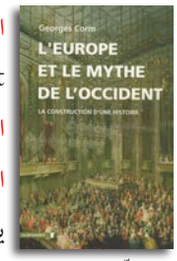

الكتاب: «أوروبا وأسطورة الغرب» L'Europe et le Mythe de L'Occident

المؤلِّف: د. جورج قرم

النّاشر: «La découverte»، باريس ٢٠١٢

يساهم هذا المؤلَّف الّذي صدر باللّغة الفرنسيّة للمفكِّر والباحث اللّبنانيّ الدّكتور جورج قرم، في التّخلّص من هيمنة المقولات والإشكاليّات الأوروبيّة؛ الفلسفيّة، والاقتصاديّة، والسُّوسيولوجيّة المتوغِّلة فيها، ودخول ثقافتنا العربيّة في مرحلة بناء استقلالٍ فكريٍّ، يسمح بوضع نظام معرفيّ وقيميّ ومرجعيّ مستقلّ عن الصُّور النّمطيّة المتبادلة بين تخيُّلات الغرب حول الشّرق وتخيُّلات الشّرق حول الغرب. وستصبح بذلك ثقافتنا متجذِّرة فعليّاً في الواقع العربيّ ومسيرته التّاريخيّة الّتي هي بدورها تحتاج إلى مزيد من البحث النّقديّ لكي نعي كعربٍ ماذا حلَّ بنا من تهميشٍ في حياة الأمم وفي صنع الأحداث، بل من عدم الوجود، ابتداءً من القرن الحادي عشر.

كما أنَّ البحث المعمَّق في واقع المسيرة التّاريخيّة الأوروبيّة المعقَّد، ونقد جميع أنواع الخطابات الإيديولوجيّة حول تاريخ أوروبّا، قد يساعد في توضيح التّاريخ العربيّ المعاصر نظراً لشدّة تأثير التّاريخ الأوروبيّ فيه. وهذا خاصّة بالنّسبة إلى الهيمنة الاستعماريّة الّتي خضعت لها الأقطار العربيّة وأدوات تحديث مجتمعاتها المختلفة، المتأثِّرة باستيراد جميع أنواع العلوم الإنسانيّة من القارّة الأوروبيّة.

وفي هذا الكتاب أيضاً سعيٌ حثيث إلى فهم ماذا حصل بحضارات القارّة الأوروبيّة الّتي أنتجت أرقى أنواع الفنون والأدب، كما وأنتجت أبشع أنواع العنف الفتّاك، سواء في حروب القارّة الدّاخليّة أم في حروبها الخارجيّة. وفي هذا السّياق سعيٌ إلى فهم الآليّات الذّهنيّة الأوروبيّة الّتي أدّت إلى معاداة السّاميّة تجاه اليهود، وإلى المجازر الشّهيرة ضدّهم خلال الحرب العالميّة الثّانية. ويُظهر سرد المعطيات الموضوعيّة حول تصرُّف الشّعوب الأوروبيّة تجاه الأوروبيّين من الدّيانة اليهوديّة، مدى المسؤوليّة الجماعيّة لأوروبّا في بروز ونشر العقيدة الصّهيونيّة، وهي قضيّة أساسيّة قلَّما تُثار في المناقشات والمجالات حول الكيان الصّهيونيّ، وشرعيّته المفقودة في الشّرق العربيّ والإسلاميّ، لتبيان أنّ الشّعوب العربيّة ليست طرفاً في آليّات اضطهاد اليهود في أوروبا. وفي هذا الكتاب، بالتّالي، مادّة فكريّة لتقوية المقاومة السّياسيّة، والمعنويّة، والأخلاقيّة، ضدّ الشّرعيّة الممنوحة أوروبّياً للكيان الصّهيونيّ، الّتي يجب أن تترافق مع المقاومة الميدانيّة لإعطائها مزيداً من الدّعم، والتّأييد، والزّخم.

(نقلاً عن مركز دلتا للأبحاث)

الكتاب: كونه هاى نقد وروش هاى حل تعارض در اخبار عاشورا – تا قرن هفتم هجرى (أساليب النّقد وآليات حلّ التّعارض في أخبار عاشوراء – حتّى القرن الهجري السّابع)

المؤلِّف: علي ملّا كاظمي

النّاشر: «جامعة الإمام الصّادق عليه السلام»، طهران ٢٠١١م

جاء في التّعريف بهذا الكتاب القيّم، الصّادر باللّغة الفارسيّة عن «جامعة الإمام الصّادق عليه السلام» في طهران، أنّ تتبُّع الأخبار والرّوايات الواردة في السِّيَر والمصادر التّاريخيّة حول واقعة عاشوراء يُفضي إلى حقيقةٍ بيّنة، وهي توفُّر ما لا يقلّ عن تسعة أساليب أو آليات يصحّ استخدامُها وتبنّيها لنقد مرويّات تلك المصادر والتّمييز بين الصّحيح والسّقيم منها، وأنّ أجدى هذه الآليّات هي الانطلاق من المسلّمات التّاريخيّة –لا سيّما الدّراسات السكّانيّة والعِلم إنسانيّة– في مدينتَي الكوفة والشّام إبّان خروج سيّد الشّهداء عليه السلام من المدينة إلى مكّة المكرّمة وصولاً إلى كربلاء.

من ناحية أخرى –يُضيف التّعريف– يُمكن حلّ التّعارض بردّ الأخبار المتنافرة إلى المتيقَّن صدورُه عن الأئمّة المعصومين، وقياسِها على ما صحَّ عنهم عليهم السلام، وكذلك قياسها على ما ثبتَ واستفاض من علوّ منزلتهم ومقاماتهم الرّبانيّة.

ومن نافل القول، إنّ ضبط الأخبار على مصادرها الأمّ، والتّثبُّت من وثاقة المؤلّف أو المصنّف تُسهِم إلى حدٍّ بعيدٍ في حلّ التّعارض، متى وُجد، وصولاً إلى حيث يتيسّر لنا تدوينُ تاريخٍ كاملٍ عن واقعة عاشوراء، منزَّهٍ عن الأخبار والمرويّات غير الصّحيحة.

«المنهاج» (٧٠)

عن «مركز الغدير للدّراسات» صدر العدد الجديد من المجلّة الفصليّة الثّقافيّة الإسلاميّة «المنهاج»، وفيها ضمن باب الدّراسات:

- «الاتّجاه القصديّ في التّفسير، دفاع عقلانيّ»، بقلم الشّيخ أحمد واعظي.
- «المنهج الفلسفيّ لصدر الدّين الشّيرازيّ»، للدّكتور الشّيخ مظاهر شهراني.
- «العرب والعلم»، للشّيخ الدّكتور عليّ الحلباوي.
- «منتدى المنهاج» جاء تحت عنوان: «إشكاليّة التّكفير، معالجة في المنهج»، وفيه:
- «الإسلام والكفر في منظار الفريقين»، بقلم علي رضائي.
- «تكفير المسلمين عند ابن تيميّة، قراءة في الأُسس والمرتكزات»، بقلم حبيب عبّاسي.
- «الحركات التّكفيريّة والعالم الإسلاميّ» بقلم نبيل علي صالح.

وورد في هذا العدد في باب قراءات: «تطوير الثّقافة، دراسة اجتماعيّة في مفهوم التّنمية الثّقافيّة عند علي شريعتي».

«الوحدة الإسلاميّة» (١٤٤)

صدر العدد الجديد من مجلّة «الوحدة الإسلاميّة»، وهي شهريّة إسلاميّة، تصدر عن «تجمّع العلماء المسلمين في لبنان».

نقرأ في هذا العدد:

- «المؤامرة في مواجهة المؤامرة»، بقلم الشّيخ مصطفى ملص.
- «إنتاج أسلحة الدّمار الشّامل من منظورٍ فقهيٍّ إسلاميٍّ»، للدّكتور علي ناصر.
- «ماذا عن التّرسانة الكيميائيّة الإسرائيليّة؟»، للشّيخ جمال الدّين شبيب.

أمّا في ملف فلسطين، نقرأ:

- «الفلسطينيّون ونُذُر إعادة إنتاج الانتفاضة»، بقلم مأمون الحسيني.
- «المشهد السّياسيّ الفلسطينيّ، أزماتٌ راهنة.. آفاقٌ مطلوبة»، بقلم عدنان أبو ناصر.
- «الجريمة المنظّمة والفساد السّياسيّ في الكيان الصّهيونيّ»، كتبته ازدهار معتوق.

كما ورد في العدد ترجمة لمجموعة من المقالات الأجنبيّة، وطائفة من أخبار متفرّقة ولَوحات ثقافيّة.

«المعارج» (١٦٥)

عدد جديد صدر من مجلّة «المعارج» الشّهريّة، دارت مواضيعُه على عنوان «في التّواصل الاجتماعيّ وَصِلة الأرحام». وهو ملفٌّ شامل عالج هذه القضيّة الدّينيّة والإنسانيّة، انطلاقاً من القرآن الكريم، والحديث النبويّ الشّريف، وروايات الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

كتب في العدد الجديد جمعٌ من المفكّرين والباحثين من العالم الإسلاميّ، وقد تناولت مقالاتهم العديد من القضايا المتّصلة بالتّراحم ومبدأ التّواصل الاجتماعيّ.

في العدد أيضاً دراسات منوّعة تناولت الموضوع لدى الأديان والحضارات الأُخَر، وعلاقة الإسلام بها، منها:

- «الإمام الحسين عليه السلام وثقافة الحياة الاجتماعيّة».
- «أطايب الكلم في بيان قانون صِلة الرّحم».
- «لقمان الحكيم وابنه في القرآن الكريم».
- «صلة الأرحام كمنهجٍ إسلاميّ».
- «الآثار المعنويّة لصِلة الرّحم».
- «أخلاق أهل البيت عليهم السلام في صِلة الأرحام».

هذا إلى جانب مواضيع أدبيّة وثقافيّة أخرى.

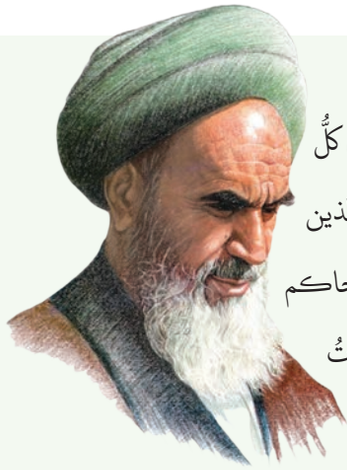

الأنبياء مصدرُ كمال الإنسانيّة

إنَّ هذا المقدار من الكمال الموجود لدى البشر في العالم مصدرُه الأنبياء. لو لم يأتِ الأنبياء، لكان كلُّ النّاس، إلّا القلّة منهم، ينهشُ بعضُهم بعضاً كحيوانات الغابة، بل وأسوأ. والآن أيضاً ترون أنَّ الذين هُم أقرب إلى حدود الإيمان هم الأبعد عن هذه الجرائم. حينما تراجعون عدليّات العالم والمحاكم القضائيّة في كلِّ مكانٍ، لا تجدون للمؤمنين ملفّاتٍ هناك. الملفّات للّذين لا إيمانَ لهم. ملفّاتُ القتل والسَّرقة والفحشاء وما إلى ذلك هي للّذين لا يؤمنون بالإسلام أو بالله تعالى. حتّى هذا المقدار يُعدُّ نجاحاً كبيراً، حيث استطاع الأنبياء تربيةَ جماعاتٍ كبيرةٍ من البشر، ولو بهذا المقدار من التّربية، ولولا هذه التّربية لكان الجميع مثل «كارتر» ومثل «هتلر».

تربيةُ الأنبياء هي الّتي أنقذَت هؤلاء النّاس من حدود الحيوانيّة، ومن جنون الإنسان في نزعته إلى السُّلطة والشَّهوات. حصل نجاحٌ بمقدارٍ كبيرٍ، ولكن ليس بالمقدار وبالشّكل الّذي كان يتطلَّعُ إليه الأنبياء. لم يحصل الشّيء الّذي أراده الأنبياء. كان النّبيّ يَتَحسَّر لأنَّه يدعو وما من إجابة ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ.. ﴾ الكهف:٦. أحدُ هموم الأنبياء هو أنّهم لم يستطيعوا توظيف كلّ تعاليمهم بالشّكل الّذي يقتضيه التّعليم. أراد الرَّسول أن يجعلَ كلّ النّاس على شاكلةِ عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، لكنَّ هذا لم يحصل.

ولو لم يكن لبعثة النّبيّ ﷺ من ثمرة إلّا وجود عليّ بن أبي طالب ووجود إمام العصر سلام الله عليهما لكان هذا نجاحاً كبيراً للغاية. لو أنَّ الله تبارك وتعالى بعث الرَّسول لتربية مثل هؤلاء النّاس المتكاملين لكان هذا جديراً، ولكنّهم أرادوا للجميع أن يكونوا على هذه الشّاكلة، وهذا ما لم يحصل.

الإسلام مجموعة أحكام هدفُها بناء الإنسان. والقرآن كتابٌ لبناء الإنسان، هدفُه أنْ يَصنعَ بشراً. والرّسول منذ أنْ بُعِثَ وإلى حين رحيله عن الدُّنيا، كان بِصَدد صناعة الإنسان. كان مهتمّاً بهذا الأمر. كلّ الحروب الّتي خاضها في الإسلام كانت من أجل إدخال هؤلاء المتوحّشين المفترسين داخل حدود الإيمان، لم يكُن في الأمرِ نزعةٌ إلى التّسلُّط، ولهذا نرى في سيرة النّبيّ الأكرم ﷺ وسائر الأنبياء والإمام عليّ سلام الله عليه والأولياء العظام، نرى أنَّه لم تكن هناك في سيرتهم نزعة تسلُّطيّة أصلًا. ولولا أداء الواجب، ولولا الحرص على بناء هؤلاء البشر، لَمَا قبلوا حتّى هذه الخلافة الظّاهريّة، ولَتنحّوا جانباً، ولكنّه التّكليف. فالتّكليفُ الإلهيّ يجب أن يقبله حتّى يستطيع بناءَ الإنسانِ على قدرِ استطاعته. ولكنّه للأسف لم يَستطِع أنْ يجعلَ معاوية إنساناً، مثلما لم يستطع الرَّسول أنْ يَجعل أبا جهل وأبا لهب وأمثالهم أُناساً صالحين؛ فأمير المؤمنين لم يستطع جعل معاوية وأتباعه أناساً صالحين، لكنّهم جاؤوا لهذا الغرض.

لا تَظُنَنَّ أنَّ الإسلام امتشق السَّيف لأجل السُّلطة كباقي الحكومات. الحكمُ الإسلاميُّ ليس على هذا الغرار. إذا عمل المسلم لأجل السُّلطة وشَهَرَ سيفَه من أجل الاستيلاء على السُّلطة، فهو بعيدٌ عن الإسلام، ولم يدخل في الإسلام، إنَّه مُسلِمٌ في الظّاهر ولكنّه لا يتحلّى بالإيمان الّذي يجب أنْ يتحلَّى به.